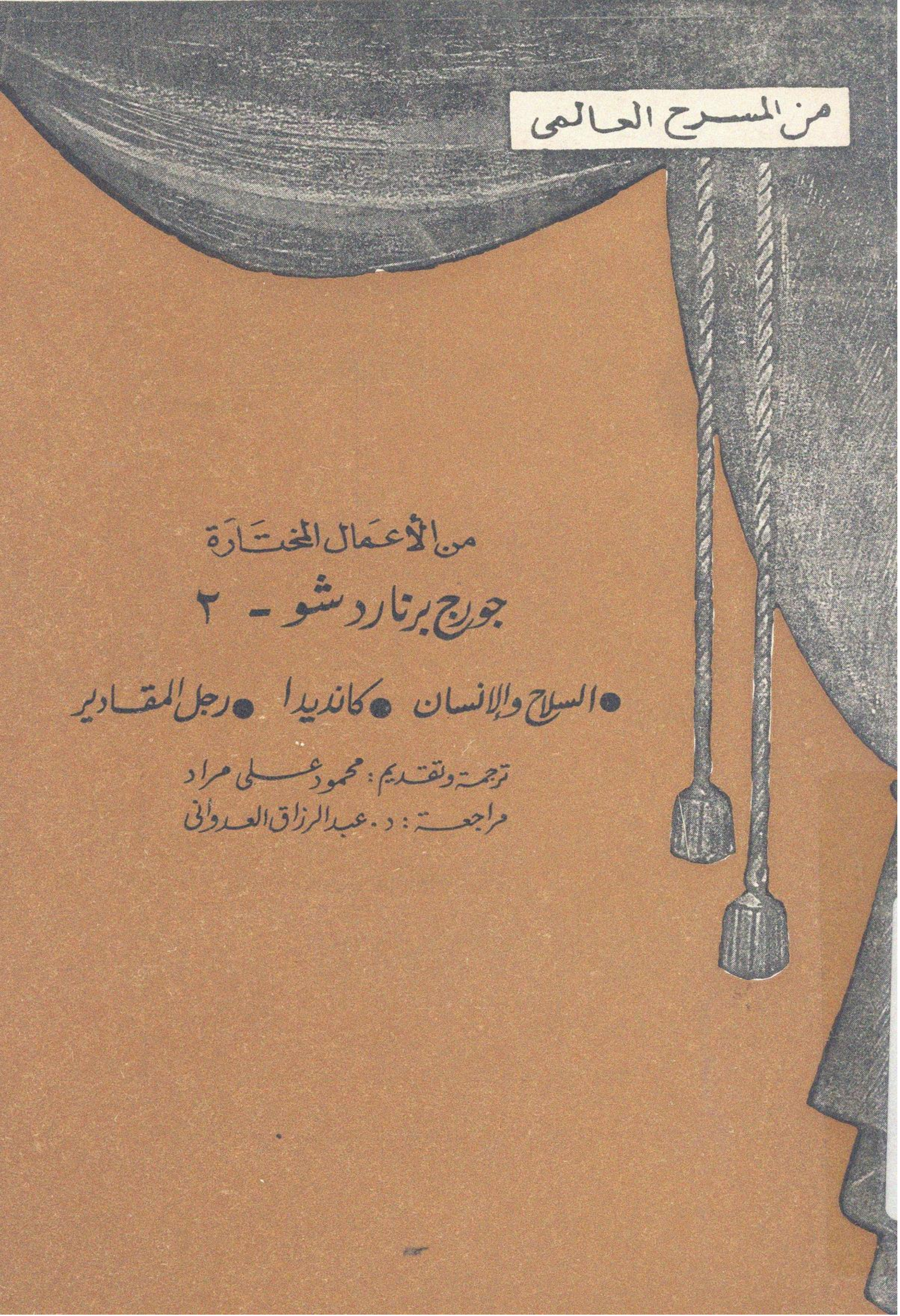


من المسرح العالمى

من الأعمال المختارة

جورج برنارد شو - ٢

• السلاح والإنسان • كانديدا • رجل المقادير

ترجمة وتقديم : محمود على مراد

مراجعة : د. عبد الرزاق العدوانى

مسلسلة
من
المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

أحمد مشاري العدواني

المراسلات باسم :

وزارة الإعلام

الكويت - ص.ب: ١٩٣

من المسرح العالمى
أول ديسمبر ١٩٧٣
شهرية



من الأعمال المختارة

جورج برنارد شو - ٢

• السلاح والإنسان • كانديدا • رجل المقادير

ترجمة وتقديم : محمود علي مراد
مراجعة : د. عبد الرزاق العدواني

تصدر عن : وزارة الإعلام - الكويت

الطبعة التى استعملت بالترجمة

THE COMPLETE PLAYS
of
BERNARD SHAW

مقدمة بقلم المترجم

لمسرحية السلاح والانسان

((١))

الحقيقة فى نظر برنارد شو شيء مقدس ، وكل عدوان عليها يجب ان يحارب وقد جعل دأبه فى كل ما يقوله ـ وكان شو خطيبا مفوها ـ وفي كل ما يكتبه ان يكون داعية لها وان يعلن على اعدائها حربا لا هوادة فيها

وقد وجد شو أن آثاما كثيرة لا تسمى باسمائها ولكن تطلق عليها اسماء مثالية ، وان السلب والنهب ، وتعريض الناس للجوع والمرض ، والجريمة ، والسكر والعربدة ، وكل مافى الحرب العدوانية من قسوة ووحشية، تمارس فى الحياة وتعرض على المسرح باسم التقدم او الاخلاق او الدين او الوطنية والسيادة الامبراطورية والعظمة القومية وغير ذلك من الاسماء التى تطلقها الصحافة .

كذلك وجد ان النزعة الرومانسية فى علاقة الرجل بالمرأة وفي علاقة المرأة بالرجل ، اى عجز كل منهما عن رؤية الاخر على حقيقته وحرصه على احاطته بهالة من الكمال والمثالية لايستحقها ، وهي النزعة التي كانت متفشية فى العصر الفيكتورى نتيجة لتاثير شعراء الرومانتيكية من أمثال اللورد بايرون الانجليزى وبوشكين الروسي لتاثير المدارس المسرحية التي ترى ان رسالة المسرح هي التسلية والترفيه أساسا والتحليق بالمتفرج فى عوالم وأجواء بعيدة كل البعد عن الواقع ـ وجد شو أن هذه النزعة تفسد نظرة الناس لمسائل الحب والجنس والزواج وتفضى بهم الى سلوك وقرارات يترتب عليها في أغلب الاوقات شذوذهم وشقاء الاخرين .

وكان شو يرى ان الناس في حياتهم الخاصة والعامة لو احترموا الحقيقة واحترموا انفسهم وتخلوا عن مثاليتهم ورومانسيتهم العرجاء فان امورهم ، وامور العالم ، ستسير قطعا الى أحسن ، وان للمسرح في هذا المجال رسالة لاتقل اهمية عن رسالة المدرسة والكنيسة نظرا لتأثيره المتزايد على الرأى العام ، وان الكاتب يستطيع ان ينفذ عن طريقه الى طبقات من الجماهير لايصل اليها الخطيب او المفكر او الفيلسوف . وقد قال شو فى هذا الصدد بصراحة وفى غير مواربة انه يكتب

مسرحياته ليحمل الامة على مراجعة اخلاقياتها وليكسبها لافكاره بشأن مسائل الجنس والسياسة والاجتماع .

وكان شو يشترك في هذا الاتجاه مع المؤلف النرويجي ابسن ، ولكنه ـ بخلاف ـ ابسن ـ اختار الشكل الكوميدى لمسرحياته وذلك أولا لان هذا يتفق مع طبيعته المرحة ، التي تلقاها عن أبيه ، وثانيا لاعتقاده ان اقبال الناس على الكوميديا يسهل له عملية اقناعهم بآرائه . كذلك فقد حرص ـ وكان هذا متفقا مع مذهبه فى احترام الحقيقة ـ على ان يكون تصويره لشخصيات مسرحياته تصويرا واقعيا باعتبار ان الانسان خليط من الصفات الحسنة والسيئة وان نسبة الصفات الحسنة الى الصفات السيئة قد تتغير من شخص الى آخر ، ولكنها موجودة دائما . أما الاخيار المنزهون عن المثالب ، والاشرار الذين هم كتلة خالصة من الشر ، الذين كان يحفل بهم المسرح العاطفى الفكتورى ، فنحن لا نجد لهم أثرا في مسرحيات شو .

وقد تبدو آراء شو للقارىء المعاصر فى النصف الثانى من القرن العشرين أمورا مسلما بها . ولكنها لم تكن كذلك حين كتبت فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن الحالي ، بل كانت تعتبر آراء ثورية البت على مؤلفنا عامة النقاد وجعلتهم يتهمونه بانه يسخر من قيم الحياة العليا كالشجاعة والبطولة والحب . ولكن شو كان يتهكم عليهم ويقول ان من غير المستغرب ان تجعلهم رومانسيتهم عاجزين عن فهم واقعيته وان الذى يسخر منه ليس هو الصفات الاصيلة ولكن التظاهر بها والصاقها عشوائيا بكل من هب ودب .

وفى مسرحية **السلاح والانسان** ـ وقد اقتبس اسمها من ملحمة للشاعر اللاتيني القديم « فرجيل » يقص فيها مغامرات « اينياس » أمير طروادة بعد سقوط امارته ـ يهاجم شوالرومانسية او المثالية الكاذبة في مجاليها الرئيسيين وهما الحرب والحب .

وشو يرى ان الحرب التي يخضع بها شعب شعبا آخر شيء يجب ان نستبعده تماما عن مجال الرومانسية وان المجد العسكرى ، لانه مجد يترتب عليه اشقاء الملايين وحرمانهم من حقهم فى الحياة وثمرات الحياة ، مجد لا يستحق ـ لفظاعته ـ ان يمجد ، ويرى كذلك ان الابطال العسكريين الذين يجيئون بالنصر ويكسبون المعارك ، يصورون عادة في صورة الآلهة او انصاف الآلهة مع انهم بشر لهم عيوبهم ونقائصهم كسائر البشر ومع ان انتصاراتهم ترجع أحيانا الى ظروف خارجة عن ارادتهم ، وان من المهم لذلك ان يطرح موضوع الحرب والبطولة الحربية على الناس في هذا الضوء الجديد ليراجعوا آراءهم بشأنهما .

وقد اختار شو كخلفية تاريخية لمسرحية **السلاح والانسان** التى أراد ان يثير فيها هذه المعاني والتي مثلت لاول مرة عام ١٨٩٤ ، حربا قريبة الى اذهان الجمهور هي حرب البلقان . وكانت الدول الاوروبية ، بما فيها انجلترا ، قد تحالفت على الدولة العثمانية التي كانت لها السيادة على دول البلقان منذ ثلاثة قرون ، حتى

اجبرتها بمقتضى معاهدة برلين في ١٨٧٨ على الاعتراف باستقلال الصرب وبلغاريا . وفى الوقت الذى تبدأ فيه احداث المسرحية اى فى نوفمبر ١٨٨٥ دب الشقاق بين الصرب وبلغاريا واعلنت الاولى الحرب على الثانية وكان الامير اسكندر حاكم بلغاريا يمت بصلة قرابة لقيصر روسيا وكان الضباط الروس هم الذين يتولون قيادةالجيش البلغارى بينما كانت النمسا تقف الى جانب الصرب . وقد أحرز الامير اسكندر انتصارات باهرة فى سليفنترا ، وهي قرية بلغارية ، فى ١٩ نوفمبر ثم في تساريبورد في ٢٣ نوفمبر ، ثم عبر الحدود التي تفصل بلغاريا عن الصرب ودخل « بيرث » فى الصرب فى ٢٧ نوفمبر ، وهنا تدخلت النمسا لوقف الزحف البلغارى . وفي الفصلين الثاني والثالث تقلنا شو الى فترة لاحقة لاحداث الفصل الاول بثلاثة شهور اى الى مارس ١٨٨٦ ، وكانت معاهدة بوخارستقد عقدت قبلذلك بثلاثة ايام واقرت السلام بين البلدين .

ولكي يطلعنا شو على رايه فى الحرب وفى البطولة العسكرية جعلنا نلتقي فى المسرحية بضباط ثلاثة من الذين اشتركوا في الحرب البلغارية الصربية ، اثنان منهم ــ احدهما بطل ــ من الفريق المنتصر والثالث من الفريق المنهزم .

ان سيرجيوس هو البطل العسكرى بالمفهوم الرومانسي الشائع . وقد وصفه شو لنا وصفا كاملا في شكله وفى أخلاقه وفى العمل الذى جعل منه بطلا . انه فيما يتعلق بالشكل « ضابط وسيم الى اقصى حد ، يستطيع الانسان ان يلمس هيئته الشامخة ونظرته الثاقبة حتى من خلال الصورة » ثم وصف بالتفصيل هيئته وملامحه والكاره لدى أول ظهوره فى الفصل الثاني وربط بين سماته وبين تشايلد هارولد بطل الملحمة الشعرية المشهورة للشاعر الانجليزى بايرون . وباختصار فان « البطل الذى هو مثل رانيا الاعلى ان لم يتجسد فيه فلن يتجسد فى انسان » . وعن أخلاقه عرفنا انه رجل شجاع في الحرب شجاعة تصل الى حد التهور الجنوني . اما العمل الحربي الذى جعل منه بطلا فهو انه هجم بفرسانه على مدفعية الاعداء وقضى عليها .

لقد كان هذا البطل يتصور انه سيكافأ على شجاعته وعلى انه أحرز لبلده النصر . ولكن الذى حدث انه لم يحظ ــ رغم الحاجة ــ بالترقية التى كان يتوقعها . لم يحظ بالترقية بدعوى انه كسب المعركة بالطريقة الخاطئة ، هذا فى الوقت الذى رقي فيه ضابطان قادا آلايهما الى الهزيمة . وكانت هذه اول خيبة أمل تلقاها فى الجيش : ان تكون العبرة لا للشجاعة ولا للنتائج ولكن للخطط والاساليب ، وان يغمط حقه لمجرد انه قلب خطط القادة وجرح احترامهم لذاتهم . لقد كان لسيرجيوس رأى خاص في الشجاعة . والرجل الشجاع فى رأيه هو « الرجل المستعد لان يتحدى الى الموت اى قوة فى الارض او في السماء تتصدى لارادته وضميره » . اما شجاعة الفقراء الذين سألته عنهم لوكا ، اى شجاعة الغضب والقتل ، فهي فى رأيه شجاعة رخيصة . وهو لايحترم هذا النوع من الجنود الذين يخافون ضباطهم ويتحملون الاهانة والضرب ويشاهد بعضهم بعضا وهم يعاقبون كالاطفال بل ويعاونون فى العملية حين يؤمرون بذلك . انه لايحترم الا الشجاع حقا وقد قال لبلنتشلي الذى

اقترح عليه فى الفصل الثالث ان يهدد الجنود الذين سيكلفهم بحمل الاوامر بمعاقبتهم اذا تأخروا فى تبليغها « اذا كان واحد منهم من الرجولة بحيث يبصق في وجهى لاهانته فسأدفع مكافأة خدمته واعطيه معاشا » . كان سيرجيوس يحسب ان العسكرية والحرب هى السوق التى يستطيع الانسان ان يبيع فيها شجاعته فحمل معه الى هذه السوق صنفا نادرا ونقيا من الشجاعة هو الشجاعة التى لا تهاب الموت والتى تتحدى الرؤساء عند اللزوم ، والتي تحمل النصر في ركابها ، ولكنه اكتشف انه كان مخطئا وان ما كان يعتبره كنزا ثمينا شيء لا قيمة له فى الجيش على الاطلاق ، وقال فى سخرية أنه لو كان قد اشترى خيلا لالايه بدلا من قيادته بطيش الى مواطن الخطر لرقى ربما الى رتبة فيلد مارشال (اى مشير) وهى أعلى رتبة فى الجيش .والنتيجة التي خرج بها سيرجيوس من هذه التجربة الشخصية هي ، كما قال لكاترين ، ان « الجندية هي فن الجبان ، الذى يجب بمقتضاه الهجوم بلا رحمة حين تكونين قوية والبقاء بعيدا عن طريق الخطر حين تكونين ضعيفة » وان هذا هو سر القتال الناجح من ألفه الى يائه : أن تتصدى للعدو حين يكون ميزان القوى ضده وأن تتحاشى دائما وبأى ثمن قتاله بقوة متكافئة » ، وهي أخيرا « ان الهجوم الذى قمت به والذى كان مهد شهرتى ، كان قبرها أيضا » . كل هذه الاعتبارات ازالت الغشاوة — غشاوة الرومانسية — من على عينيه وجعلته يتخذ قرارا بتقديم استقالته من الجيش ، وكان هذا القرار من ناحيته قرارا شجاعا لنكب فيه لمصلحته الخاصة فان بقاءه في الجيش في وقت السلم كان سيضمن له — بعد ان يصاهر بتكوف و « لان النساء فى صفك وسيقمن بالواجب لكي يأخذ العدل مجراه فيما يتعلق بك » مستقبلا زاهرا يحصل فيه على الترقيات التي لم يحصل عليها ببطولته الحربية . وبعد ان اتخذ سيرجيوس هذا القرار اصبحت نظرته الى الحرب اكثر واقعية واصبح جانب الحرب اللا انسانى يصدمه كما لم يكن يصدمه من قبل بحيث انه لم يملك نفسه حين سمع قصة صديق بلنتشلى الذى أحرق مع اثنى عشر مسكينا آخرين فى مستودع لتخزين الخشب من أن يهتف : آه . الحرب . الحرب . حلم المواطنين والابطال . انها خدعة يابلنتشلى . زيف فارغ كالحب ! »

هذا هو راى البطل فى الحرب والبطولة . فما راى المقاتلين الآخرين ؟

ان الميجور بتكوف ليس بطلا ولا هو يدعي البطولة . ولكنه أكبر ضابط بلغارى في الجيش وهو لا يختلف مع سرجيوس في وصفه لسر القتال الناجح ولكنه يرى ان منطق التصدى للعدو حين يكون ميزان القوة ضده وتحاشى قتاله بقوة متكافئة منطق له ما يبرره لان الاعداء فى نظره « لن يتركونا نقاتل قتالا عادلا شريفا » . كذلك فان بتكوف لا يسعه الا ان يعترف بان الحرب « تجارة كأى تجارة أخرى » وهو ما يفهم منه انه ينظر الى الحرب نظرة واقعية ولا يحاول ان يلبسها ثوبا من الرومانسية المفتعلة . وقوله ان الحرب تجارة يعنى ، بالعبارة الحديثة ، ان الحروب تقوم دائما لتحقيق مكاسب اقليمية او لمكاسب تجارية واقتصادية مختلفة .

اما المحارب الثالث — بلنتشلى — فينتمي الى المعسكر الذى خاقت به الهزيمة . ولم يجعل هذا المحارب صربيا ، ولعله رأى — وليس عليه لوم فى ذلك —

ان الحرب اذا كانت هي التي بدأت العدوان فقد تلقت بالهزيمة الدرس الذى كان يريد ان يلقيه على المنتصرين ، او لعله رأى من غير المقبول ان يعهد الى احد أبناء الدولة المعتدية بمهمة محاربة منطق الحرب ، بل جعله ينتمي الى دولة بعيدة عن النزاع لحكمة خاصة هي انه ــ اى شو ــ اراد ان يصور فيه منطقا محايدا قريبا من منطق دولة محايدة كسويسرا . وبلنتشلى يمثل من الجندية صورة عكسية لتلك التي يمثلها سيرجيوس . فهو ضابط محترف عرك الجندية وخبر اسرارها منذ خمسة عشر عاما بينما سيرجيوس ضابط هاو مبتدىء . وفى خلال حياته العسكرية الطويلة اتيح له ان يخوض عدة معارك وان يثبت كفاءته العسكرية العالية وان يحصل على اربع ميداليات للخدمة الممتازة وان يتولى فى الجيش الصربى الذى انضم اليه مؤخرا منصبا لا يقل فى الاهمية عن ذلك الذى تولاه بتكوف فى الجيش البلغارى بدليل انه هو الذى كلف ــ عند انتهاء الحرب ــ بمفاوضته فى صفقة تبادل الاسرى . هو جندى اصيل احترف الجندية بحثا عن المغامرة لا سعيا وراء الرزق فقد كان له فى ثروة ابيه ونشاطه ، ان اراد ، ما يغنيه عن ذلك . وهو انسان شجاع لم تدفعه الى العسكرية قضية وطنية او مصلحة وانما دفعه اليهامجرد العزوفعن الحياة الوادعة والرغبةفىاقتحامالخطروركوب المصاعب . ولا يقدح في شجاعته اطلاقا الحالة السيئة التى كانت عليها أعصابه بعد ثلاثة أيام قضاها فى أتون المعركة دون نوم تقريبا ولا أنه لاذ بالفرار حين رأى الا جدوى من الصمود وأن البقاء معناه الانتحار ولا أنه هدد رانيا بمسدس ولا انه يستخدم العباءة ضدها ولا انه يضع حلوى فى قارب غدارته بدلا من الطلقات . ان واجب الجندى الاول هو ، كما قال ، الحفاظ على حياته . وفى هذا كله لم يكن بلنتشلى بدعا بين المحاربين بل كان يتبع منطقا سائدا ويفعل ما يفعله الآخرون . ان سيرجيوس ، وهو الرجل الشجاع ، لم يتهم بالجبن كما ان زملاءه ورؤساءه فى الجيش الصربى ، كما قال لرانيا ، لم يغضبوا منه لقراره . وقد قدم لنا بلنتشلى في المسرحية أكثر من دليل على شجاعته الحق فقد رفض ان يترك البلغاريين فى بيت بتكوف يقبضون عليه وتأهب ــ رغم قواه المضعضعة ــ ليحاربهم بسيفه فى معركة قال انها ستكون « معركة شياطين » . كذلك فقد قبل تحدى سيرجيوس للمبارزة فورا حتى قبل ان يعرف السبب .

هذا الجندى العريق ، الذى احترف الحرب حبا فى رومانسيتها ، والذى أعطته الحرب كل ماكان يطمع فى الحصول عليه وهو الاثارة والتقدير ، والذى اعترف سيرجيوس انه هو وامثاله هم الذين علموا البلغاريين والصربيين كيف يقاتلون ، ما رايه فى الحرب ؟

لقد اتضح له بعد خمسة عشر عاما من العسكرية انها سراب وانه « اضاع كل فرصة فى الحياة » بحثا عن شيء غير موجود ، ومن ثم قرر هجر الجندية ، وتباحث فى هذا الامر مع سيرجيوس بعد ان وضعت الحرب اوزارها ، واقنعه بوجهة نظره . وقد اتخذ هذا القرار قبل ان يتلقى نبأ وفاة أبيه ويرث ثروته الضخمة .

الحرب اذن خدعة وزيف فارغ فى نظر سيرجيوس • وهي تجارة فى نظر بتكوف . وضياع ؛ فى نظر بلنتشلى ، لكل فرصته في الحياة ، وهذا ما أراد شو ان يصل اليه .

واذا أهدرت رومانسية الحرب اهدرت ، بالتالي ، رومانسية البطولة الحربية . ان رومانسية البطولة ، التى هي فى المسرحية حلقة الوصل بين الحرب والحب ، تتمثل فى هذه الصورة التي وصفت بها كاترين المعركة التي انتصر فيها سيرجيوس : « معركة عظيمة ... انتصار ... والذى كسبها هو سيرجيوس . سيرجيوس اصبح بطل الساعة ومعبود الا لاى . لن تستطيعي ان تحدسى روعة ما حدث . تحدى قادتنا الروس . تصرف دون اوامر وقاد هجوما على مسئوليته الخاصة . تصدر بنفسه الهجوم . جنودنا البلغاريون الصناديد البواسل ، وسيوفهم واعينهم تلمع كالبرق يهدرون فى انقضاضهم كما يهدر الثلج وهو ينهار من قمم الجبال ، ويشتتون شمل الصربيين الاشقياء وضباطهم المخنثين كما تذرو الرياح الهشيم » .وهي صورة حافلة بالمبالغات التي نبتت من خيال كاترين وحده ولم تشملها رسالة زوجها اليه بنبأ المعركة ، فقد رأينا ان بتكوف نفسه لا يشارك زوجته حماسها بشأن سير جيوس . ان رأيه فى كفاءته العسكرية يتناقى تماما مع هذه الصورة الرائعة التي ارتسمت عنه فى مخيلتها . وهو رأى ينطوى على استخفاف وسخرية وقدر غير قليل من الزراية ، فقد رد على كاترين التي كانت تصر على أن يكون لرومانيا على الاقل جنرال منها وعلى أن يكون سيرجيوس هو هذا الجنرال بقوله : « أجل ، لكي تضيع بسببه لواءات كاملة بدلا من الالايات » كما قال لها انه « ليست امامه اقل فرصة للترقية حتى نتأكد تماما من ان السلام سيكون سلاما دائما .» وهو ما معناه انه لا يصلح ضابطا فى زمن الحرب . ان الجمل اللاهثة المتلاحقة التي وصفت بها كاترين هذه المعركة ، الفاظها ، ايقاعها ، والسيوف والاعين التي تلمع فيها كالبرق ، والجنود الذين ينقضون فيها كجليد الجبال ، والآخرون الذين اصبحوا كالهشيم .. كل هذا شعر وليس حقيقة قرأتها كاترين فى الرسالة او رأتها او لمستها بنفسها . انه الصورة المثالية المفترضة للبطولة البلغارية . البطولة البلغارية التي لم تقتصر على سيرجيوس بل عممت حتى شملت الجنود البلغاريين « الصناديد البواسل » ، والصورة المثالية ، المفترضة أيضا ، لعدم البطولة الصربي الذى عمم هو الآخر حتى شمل « جنودهم الاشقياء » وضباطهم « المخنثين » بدون تفريق . وقد بلغ حماس كاترين لسيرجيوس درجة التأليه فختمت كلامها لابنتها بقولها « اذا كان فى عروقك قطرة من الدم البلغارى فستعبدينه عبادة حين يعود » .

لقد ترددت رانيا طويلا — سنة بأكملها — قبل ان تقبل سيرجيوس خطيبا ، ولم تكن بينهما قصة حب بالمعنى الصحيح . وحتى بعد ان تمت خطبتهما كانت الشكوك تساورها فى شأن قدرته الحربية وكانت ؛ كما اسرت لامها ، كثيرا ما تتساءل : ألن يتضح متى خاض معركة حقيقية ان كل البطولة التي يدل عليها

مظهره النبيل وهم من الاوهام ؟ فلما انهت اليها امها امر المعركة التي انتصر فيها سيرجيوس بالوصف السابق الذى تغلب عليه الرومانسية والتهويل ، تبخرت فى نفسها الشكوك والتساؤلات جميعا وبرزت امامها صورة البطل فى كل روعتها ، وسط « جيش كامل من الابطال » وفجأة ولد فى قلبها الحب المثالي الذى لا تحده الحدود ، والثقة المطلقة ، واصبح سيرجيوس فى لمح البصر الها تبتهل اليه « وتعبده عبادة » كما قالت أمها ، وترى نفسها غير جديرة ، واختلط حبها له بحبها لوطنها وبحبها للمثالية ، وارتفعت حرارة عواطفها تجاهه الى درجة الغليان .

هذا هو سيرجيوس فى نظر كاترين وفى نظر رانيا : الكمال مجسما . فهل هو كذلك في الحقيقة ؟ انه هو ذاته يقول وهو يصف نفسه للوكا ان بين جوانحه اثنى عشر سيرجيوس : منهم المهرج ومنهم الدجال ومنهم الوغد ومنهم الجبان . وفوق ذلك فقد رفضت قيادته ان تعتبر هجومه عملا بطوليا يستحق عليه الترقية . وقد راينا ان بكوف من جهته لا يعترف ببطولته . ولكن هناك اكثر من هذا . هناك شاهد عيان حضر المعركة ويعلم من اسرارها مالا يعلمه أحد ، هو بلنتشلي . وطبقا لشهادة بلنتشلي فان سيرجيوس كسب المعركة لا من جدارة ولكن لمجرد ان ذخيرة المدفعية التي هاجم موقعها كانت غير صالحة للاستعمال ، وان هجومه ــ لولا هذا الظرف الطارىء الذى لم يكن له به علم ولا كان لارادته فيه دخل ــ جاء مخالفا لابسط اصول القتال « لان الثابت المحقق ان المدافع اذا انطلقت فلن تسمح لحصان او لرجل بالاقتراب الى مسافة ٥٠ ياردة من خط اطلاق النار » . ان الصورة الحقيقية لسيرجيوس ليست هي الصورة التي تخيلتها كاترين ونقلتها الى رانيا ولكنها الصورة التي رآها بلنتشلي بعيني راسه والتي وضعها فى هذه الكلمة الساهرة : « آه لو رأيت المسكين وهو يجذب حصانه » .. ثم : « فعلها كأنه مغن فى الاوبرا . رجل نظامى وسيم . عينان تبرقان وشارب بديع ، يصيح صيحة الحرب ويهجم كانه دون كيخوته فى انقضاضه على مراوح الهواء . كان زهوا بنفسه كفارع الطبل يتوهم انه أظهر براعة لم يسبق لها مثيل مع انه كان يجب ان يقدم للمحاكمة العسكرية لما فعل . ان مافعله هو وآلايه هو الانتحار بعينه ولكن الرصاصة لم تنطلق ، وبطولته اذن لم تكن بطولة حقا وانما كانت تهورا لا يصدر عادة الا من صغار والاصرار على تسميتها بطولة اصرار على خرافة .

هذا عن الحرب . فماذا عن الحب ؟

لقد جمع سيرجيوس بين الموضوعين فى تلك الصيحة التي أشرنا اليها والتي اطلقها لما علم بمصير صديق بلنتشلي : آه . الحرب . الحرب . حلم المواطنين والابطال. انها خدعة يا بلنتشلى . زيف فارغ كالحب . والصلة بين الموضوعية صلة فعلية فان الحرب اذا كانت هى الصورة التى تتخذها عادة رومانسية الرجال ، محاربين او غير محاربين ، فالحب هو الصورة المضادة لرومانسية النساء ،والصلة بين الحرب والحب فى المسرحية التى نحن بصددها اوثق من ذلك ، فقد بنيت قصة الحب الرئيسية فيها على قصة البطولة الحربية وكانت تسير معها فى اتجاه واحد .

لقد احبت رانيا سيرجيوس ـ او خيل لها انها احبته ـ منذ اللحظة التى توهمت فيها انه بطل ، واذا بلنتشلى يحطم بواقعيته الساخرة ، الصورة الرائعة التي تكونت في ذهنها عنه . واصمت رانيا اذنيها عن كلام بلنتشلى وحاولت ان تتجاهل دلاله وتلقت سير جيوس حين عاد من الحرب بالفاظ يابطلي وياسيدى وحدثته عن « الحب الاسمى » بعبارات مسرحية غاية فى البلاغة ، ولكنها لاتكاد تختلى بأمها بعد ذلك حتى توجه اليها كلمات جارحة وتصارحها بان رغبة شديدة تنتابها فى ان تفعل او تقول لسيرجيوس شيئا فظيعا ، وانه لايهمها أن يكتشف موضوع عسكرى كريمة الشوكلاته بل انها تكاد تتمنى ان يكتشفه . اذن فقد احدث كلام بلنتشلى مفعوله رغم الحب الاسمى ورغم العبارات المسرحية ، واخذت اوهامها بشأن سيرجيوس وبطولته تتبدد . وكانت هذه بداية النهاية فى قصتها الغرامية معه، او لعل الاصح انبداية النهاية حدثت معميلاد القصة الغرامية الاخرى اى قصة ارنيا مع بلنتشلى التى لم تخل هى الاخرى من رومانسية وان تكن رومانسية من طراز مختلف . ان البطل فى هذه القصة الثانية هو رانيا نفسها ، وقد لعبت اوبراارنانى وذلك المشهد العظيم الذى يلجأ فيه ارنانى فى فراره من خصمه الى حضن عدوه اللدود ويرفض النبيل ان يسلمه لان الضيف عنده مقدس فى تكييف مشاعر رانيا هنا دورا شبيها بذلك الذى لعبه وصف امها لانتصار سيرجيوس فى القصة الاولى ، فقد رأت رانيا ان هناك شبها بين حالة بلنتشلى وحالة ارناني وارادت هي ان تقوم حياله بدور العدو النبيل . وهكذا نرى ان رانيا خرجت من قصة رومانسية لتدخل فى قصة رومانسية أخرى ، ولا يمنع من ذلك انها رقت فعلا لبلنتشلى الذى كانت حالته تدعو للرثاء ، ولا يمنع منه ايضا ان شجاعته التى لمستها حين كان يتهيأ للقاء الجماعة التى جاءت للبحث عنه والشهامة التي بدت منه حين رد اليها العباءة والرقة التي اظهرها حين ابى أن يمسك يدها النظيفة بيده القذرة ، قد مست وترا من قلبها . لقد كانت رانيا منذ طفولتها مريضة بداء التمثيل ، وكانت مربيتها ووالداها وسيرجيوس يصدقونها ويحملونها على محمل الجد . والوحيد الذى لم ينخدع بمظهرها النبيل وصوتها المؤثر هو بلنتشلى . وكانت رومانسية رانيا هى التى انقذت حياة بلنتشلى ولكنها تعلمت منه ان تكون طبيعية وان تنطلق على سجيتها وقد رأيناها ، رغم حبه له ، تحتد عليه اكثر من مرة وتوجه اليه كلاما ، اذا قورن بلهجة الحديث الرومانتيكى الذى دار بينها وبين سيرجيوس فى لقائهما الاول بعد عودته من الحرب ، لاتضح لنا مدى الشوط الذى قطعته فى طريق الشفاء من مرض الرومانسية والتمثيل .

اما لوكا فهي لم تقرأ شعر اللورد بايرون ولا شعر بوشكين كما لم تتردد على اوبرا فيينا . انها خادمة وابنة فلاح فقير تعيش على ارض الواقع الصلبة ولا تدعى لنفسها حبا أو جاها او ثراء . كذلك فهي لم تسمع رواية كاترين عن بطولة سيرجيوس . وقد تحالفت كل هذه العوامل وفطنتها ونفسها الابية الصريحة لتجعل

نظرتها الى الامور نظرة بسيطة ليس فيها ذرة من الرومانسية او الخيال . لقد اكتشفت لوكا ان رانيا قد آوت جنديا فارا من جنود الاعداء ، وانها وامها ساعدتاه على الهرب . وخلصت من ذلك الى انهما لا تستحقان الاحترام وانها هي ، لانها تحب وطنها وتكره اعداءه ولا تمد لهم يد المساعدة ، خير من رانيا ومن أمها ، وكذا الى ان رانيا ليستجديرة بسيرجوس . وعندما عاد سيرجيوس من الحرب وحاول مغازلتها وهو مرتبط مع رانيا على الزواج ، اكتشفت انه هو الآخر رجل لا عهد له وانها أفضل منه . اما نيقولا فكانت تحتقره وتحتقر صنعنه التي تجعله يتحمل كل ما يقوله او يفعله سادته ويتستر عليهم ويسعى لكسب رضاهم . واما بلنتشلى فكانت تكرهه . هى رغم اصلها المتواضع ترى نفسها خيرا من هؤلاء جميعا وقد كانت شخصيتها فعلا من أقوى شخصيات المسرحية . وقد اكتشفت لوكا بذكاء فطرى حاد ان رانيا عقدت العزم على أن تتزوج من بلنتشلى بالرضى او بالاكراه ، وان نيقولا يصلح خادما اكثر مما يصلح زوجا لها ، وقررت ان يكون سيرجيوس من نصيبها هي لانها تحبه رغم عيوبه .

وكان لكل من رانيا ولوكا ما ارادت (وشو يرى ان المراة هي التي تصطاد الرجل وليس العكس) . وكان انتصارهما فى الواقع انتصارا لمدرسة الحقيقة والصدق ، فان احدا من الازواج الاربعة لم يكن مخدوعا فى الآخر . ونحن نشعر ان هذه هى أفضل نهاية كان يمكن ان تنتهي اليها قصة هؤلاء الاربعة ، فلو أن سيرجيوس قد تزوج من رانيا لشقى كلاهما حين يكتشف ان حقيقة الآخر تختلف عما صورته له اوهامه المثالية ، ولما أتيحت لبلنتشلى فرصة لتعويض ما ضاع من عمره ، ولشقى كل من نيقولا ولوكا بزواجهما اذا قدر لهما ان يتزوجا . اما انتصار الحقيقة والصدق او « اللارومانسية » وهو الوصف الذى وصف به شو هذه المسرحية ، فقد جعل نظرتهم الى الحياة أسلم ، ووضع الاربعة — ومعهم بتكوف وكاترين ونيقولا — على طريق السعادة والتوفيق . وبالنسبة لكاترين بالذات تكفلت ثروة بلنتشلى الطائلة فى لحظات بالقضاء على نزعة الرومانسية عندها فيما يتعلق بشخص سيرجيوس .



السّلاح والإنسان

١٨٩٤

المسرحية الأولى من أربع مسرحيات سارة

تأليف : جورج برنارد شو

ترجمة وتقديم : محمود علي مراد

مراجعة : د. عبد الرزاق العدواني

العنوان الاصلى للمسرحية

ARMS AND THE MAN

1894

Being The First of Four Pleasant Plays

الفصل الأول

الليل . مخدع سيدة في بلغاريا ، في بلدة صغيرة بالقرب من ممـــر دراجومان ، في أواخر نوفمبر من عام ١٨٨٥ . ومن خلال نافذة مفتوحة ذات شرفة صغيرة تبدو قمة جبل من جبال البلقان — ناصعة البياض جميلة في الجليد الذى تضيئه النجوم — وكأنها في متناول اليد مع أنها على بعد أميال والغرفة من الداخل لاتشبه شيئا مما يراه المرء في غرب اوروبا . ان فيها نصف البذخ البلغارى ونصف سوقية فيينا . وفوق رأس الفراش ، الذى يلاصق حائطا صغيرا يقطع ركن الغرفة الايسر محراب مطلى من الخشب ، لونه أزرق وذهبي ، بداخله صورة من العاج للمسيح ، وأمامه قنديل معلق في كرة معدنية مثقبة يتدلى من ثلاث سلاسل . المقعد الرئيسى ، وهو موضوع تجاه الجانب الآخر من الغرفة إزاء النافذة ، ديوان من الطراز العثمانى . اللحاف وسجف الفراش وستائر النافذة والسجادة الصغيرة وكافة الطنافس التى تحتوى عليها الغرفة شرقية فاخرة . اما ورق الجدران فغربى زرى . المغسل، وهو ملاصق للجدران في الجانب القريب من الديوان العثمانى والنافذة ، يتكون من حوض

حديدى مطلى بالميناء اسفله دلو في اطار معدنى مطلى ، ومنشفه واحدة معلقة على القضيب الجانبي . مائدة الزينة التى تقع بين الفراش والنافذة ، مائدة عادية من خشب الصنوبر يغطيها مفرش متعدد الالوان وتعلوها مرآة تواليت فاخرة . الباب يقع في الجانب الاقرب إلى الفراش ، وبين الباب والفراش خزانة ذات ادراج . هذه الخزانة بدورها مغطاة بمفرش ملون محلى الصنع ، وعلى المفرش كومة من الروايات ذات الطبعة الرخيصة ، وعلبة من فطائر كريمة الشكولاته وحامل صغير بداخله صورة فوتوغرافية كبيرة لضابط وسيم جدا على قدر كبير من الوسامة يستطيع الانسان ان يلمس هيئته الشامخة ونظرته الثاقبة حتى من خلال الصورة . الغرفة تضيئها شمعة موضوعة على الخزانة ذات الادراج وشمعة أخرى على مائدة الزينة ، الى جوارها علبة ثقاب .

النافذة مركبة على مفاصل مثل الأبواب وهى مفتوحة تماما . وفي الخارج مصراعان خشبيان يفتحان إلى الخارج ، وهما أيضا مفتوحان . وفي الشرفة فتاة تتطلع إلى جبال البلقان التى يكسوها الجليد ويغمرها الشعور بجمال الليل الشاعرى وبأن شبابها وجمالها قطعة منه . وهى ترتدى قميص نومها وقد تدثرت جيدا بعباءة طويلة من الفراء يفوق ثمنها ، بالتقدير المعتدل ، ثلاثة أضعاف ، ثمن مافي الغرفة من رياش .

تقطع عليها أحلامها أمها كاترين تبكوف وهى سيدة تجاوز الاربعين ، ذات حيوية متسلطة ، شعرها الاسود وعيناها السوداوان آية في الجمال وكاترين تبكوف تصلح نموذجا بالغ الروعة لزوجة مزارع من مزارعى الجبل ولكنها مصممة على ان تتشبه بسيدات الطبقة الراقية في فيينا ولذا فهى ترتدى ثوبا أنيقا من ثياب الشاى في كافة المناسبات .

كاتـــرين : (تدخل مهرولة وكلها أخبار سارة) رانيا ! (تنطق الاسم « راايينا » بتشديد الياء) . راينا ! (تمضى إلى الفراش وهى تتوقع أن تجد فيه ابنتها) أين . . ؟ (راينا تنظر إلى داخل الغرفة) بحق السماء يابنيتى ! تخرجين الى زمهرير الليل بدلا من أن تأوى إلى فراشك ؟ انت تعرضين نفسك للهلاك . لوكا أخبرتنى انك نائمة .

رانيـــا : (حالمة) لقد صرفتها . أردت أن أخلو إلى نفسى . ألا ما أجمل النجوم ! ماذا هناك ؟

كاتـــرين : أخبار ويالها من أخبار ! لقد نشبت معركة .

رانيـــا : (تتسع عيناها) حقا ! (تقترب من كاترين بلهفة) .

كاتـــرين : معركة عظيمة في سليفنترا ! انتصار ! والذى كسبها هو سيرجيوس .

رانيـــا : (بصرخة جذل) مرحى ! (تتعانقان في نشوة) أماه ! (ثم في اشفاق مباغت) هل أبى بخير ؟

: طبعا : هو الذى أرسل إلى البشرى . سيرجيوس اصبح بطل الساعة ومعبود الفرقة

: خبريني ، خبريني . كيف حدث ذلك ؟ (لاتملك نفسها من الفرح) أمي ! أمي ! أمي ! (تجذب امها وتجلسها على الديوان العثماني . تقبل احداهما الأخـــرى بانفعال) .

: (بحماس عارم) لن تستطيعي ان تحدسي روعة ما حدث . هجوم من سلاح الفرسان ! تأملي ذلك ! لقد تحدى قادتنا الروس . . تصرف دون أوامر . . وقاد هجوما على مسئوليته الخاصة . . تصدر بنفسه الهجوم . . كان أول رجل يمرق عبر مدافعهم . أتستطيعين أن ترى ذلك يارانيا : جنودنا البلغاريون الصناديد البواسل ، وسيوفهم وأعينهم تلمع كالبرق يهدرون في انقضاضهم كما يهدر الثلج وهو ينهار من قمم الجبال ، ويشتتون شمل الصربيين الاشقياء وضباطهم النمسويين المخنثين كما تذروا الرياح الهشيم . وأنت ! لقد جعلت سيرجيوس ينتظر سنة قبل أن تقبليه خطيبا . لعمرى إذا كان في عروقك قطرة واحدة من الدم البلغارى فستعبدينه عبادة حين يعود .

: وهل تهمه عبادة مخلوقة ضعيفة مثلى بعد هتافات جيش كامل من الابطال ؟ ولكن لا بأس :
شد ما أنا سعيدة ! وفخورة ! (تنهض وتتجول في الغرفة جائشة الصدر) هذا دليل على أن آراءنا كلها كانت سديدة رغم كل شيء .

كاتـــرين : (باستنكار) آراؤنا سديدة ! ماذا تعنين ؟

رانيـــا : آراؤنا بشأن ما يستطيع سرجيوس ان يفعله . شعورنا الوطني . مثلنا البطولية . لقد دأبت على التساؤل أحيانا هل هي أكثر من مجرد احلام . يااللفتيات من مخلوفات ضئيلة عديمة الاخلاص ! شد ما بدا سيرجيوس نبيلا وانا اشبك له سيفه . كانت خيانة مني ان افكر في احتمال الخيبة أو الخزى أو الاخفاق . ومع ذلك . . ومع ذلك . . (تعود فجأة إلى الجلوس) عديني ألا تخبريه أبدا .

كاتـــرين : لا تسأليني وعودا قبل ان أعرف كنه ما أعد به .

رانيـــا : لقد طاف برأسي حين احتواني بين ذراعيه وأخذ يتطلع في عيني أن من غير المستبعد ان تكون آراؤنا البطولية وليدة ولعنا الشديد بقراءة بايرون وبوشكين وفرط سعادتنا بحفلات الاوبرا التي شاهدناها في بوخارست في موسم الاوبرا السابق ، فواقع الحياة نادرا ما يكون على هذه الصورة . نادرا جدا ، بل هو لا يكون كذلك على الأطلاق ، بقدر علمي في ذلك الوقت . . (في ندم) تصوري يا أمي : لقد شككت فيه : كنت اسائل نفسي : ألن يتضح متى خاض معركة حقيقية أن كل صفاته البطولية وكل عسكريته مجرد وهم من الأوهام ؟ كان يخامرني خوف مزعج من انه سيبدو هزيلا اذ ذاك بجوار كل أولئك الضباط الافذاذ الذين وفدوا من بلاط القيصر .

كاتـــرين : هزيلا ! عار عليك ! ان لدى الصربيين ضباطا نمسويين لا يقلون براعة عن الروس . ولكننا هزمناهم في كل معركة ، بالرغم من ذلك .

رانيـــا : (وهى تضحك وتلتصق بأمها) أجل : ما كنت الا جبانة صغيرة تافهة . أى سعادة ! أى شعور يجل عن الوصف بتحقق الآمال ان يدرك المرء أن كل هذا كان حقيقيا ! وان سيرجيوس لا يقل روعة ونبلا عما يدل عليه مظهره ! وان العالم فعلا عالم مجيد للنساء اللاتى يستطعن رؤية ما فيه من مجد، وللرجال الذين يستطيعون ان يمثلوا ما فيه من رومانسية . (تدخل لوكا فتقطع عليهما الحديث . لوكا فتاة مليحة أبية ترتدى ثوبا بلغاريا جميلا مما يلبسه القرويون ، ذا مئزرين ، نزاعة إلى التحدى حتى ان خضوعها لرانيا يكاد ان يكون وقاحة . وهى تخشى كاترين ولكنها لا تتورع ، حتى معها ، من التبجح إلى أقصى مدى اجترائها .)

لوكـــا : بعد اذنك ، ياسيدتى ، لابد ان توصد جميع النوافذ وان يحكم اغلاق المصاريع . يقال ان الرصاص قد يطلق في الشوارع . (رانيا وكاترين تنهضان معا في انزعاج) . الصربيون يُردُّون على اعقابهم عبر الممر ويقال انهم قد يدخلون المدينة ركضا . فرساننا سيكونون في اثرهم وسيكون شعبنا مستعدا لهم ، كونى على ثقة من ذلك ، الآن وقد لاذوا بالفرار (تخرج إلى الشرفة وتجذب المصراعين الخارجين إلى الداخل ثم تخطو عائدة الى الغرفة) .

كاتـــرين : (في لهجة حازمة وقد تيقظت فيها غريزة ربة البيت) لابد أن أتحرى أن يكون كل شيء مؤمنا في الدور الارضى .

رانيـــا : بودى لو أن شعبنا لم يكن بهذه القسوة . أى مجد هناك في قتل هاربين تعساء ؟ كاترين ، قسوة !

هل تظنين انهم يتورعون عن قتلك . . أو عما هو اسوأ من القتل ؟

رانيـــا : (إلى لوكا) اتركى المصراعين بحيث لا يكون علىّ الا أن أردهما إذا سمعت صوتا .

كاتـــرين : (بلهجة آمرة وهى تستدير في طريقها إلى الباب) لا ياحبيبتى : ليظلا محكمى الاغلاق والا فمن المؤكد انك ستنامين وتتركينهما مفتوحين . احكمى اغلاقهما يا لوكا .

لوكـــا : أمرك ياسيدتى . (تحكم اغلاقهما) .

رانيـــا : لا تقلقى بخصوصى . في اللحظة التى أسمع فيها طلقة سأطفئ الشموع وألف نفسى في الفراش وأغطى اذنىّ جيدا .

كاتـــرين : عين الحكمة يا حبيبتى . طاب مساؤك .

رانيـــا : طاب مساؤك. (تعاودها العاطفة لحظة) أدعى لى بالفرح (تتبادلان قبلة) هذه أسعد ليلة في حياتى . . فقط لو لم يكن هناك هاربون .

كاتـــرين : اذهبى إلى فراشك ياحبيبتى ولا تفكرى فيهم . (تخرج) .

: (خفية إلى رانيا) إذا أردت أن يظل المصراعان مفتوحين ، فما عليك الا أن تدفعيهما هكذا (تدفعهما : يفتحان : تجذبهما إلى الداخل ثانية) . كان الواجب ان يثبت احدهما من أسفل ولكن المزلاج مكسور .

: (بأنفة وفي تأنيب) شكرا يا لوكا . ولكننا يجب أن نفعل ما نؤمر به . (لوكا تلوى قسمات وجهها) طاب مساؤك .

: (في غير احتفال) طاب مساؤك . (تخرج وهي تتهـــادى) .

(رانيا ، وقد تركت وحدها ، تخلع عباءة الفراء وتطرحها على الديوان العثمانى ثم تذهب إلى الخزانة وتتبتل للصورة الموضوعة عليها بمشاعر تستعصى على التعبير . هي لا تقبّل الصورة ولا تضمها الى صدرها أو تظهر لها علامة من علامات المحبة الجسدية ولكنها تأخذها بين يديها وترفعها كما تفعل الكاهنة)

: (ترفع بصرها إلى الصورة) لا . لن أكون غير جديرة بك أبدا بعد الآن يا بطل روحي : أبدا ، أبدا . (تعيد الصورة إلى مكانها باجلال ، ثم تختار رواية من كوم الكتب الصغير وتقلب صفحاتها فيما يشبه الحلم وتقلب الكتاب ظهرا لبطن وتتنهـــد في سعادة ، ثم تـــأوى إلى الفراش وتعد نفسها للقراءة حتى النوم ، ولكنها ترفع عينيها

ثانية قبل أن تسلم نفسها لعالم القصة وتتمتم وهى تفكر في الواقع الميمون) يا بطلى ! يا بطلـــى !

(طلقة بعيدة تمزق سكون الليل. تذعر رانيا ثم تنصت . طلقتان أخريان ، أقرب كثيرا ، تتبعان الطلقة الاولى ، وتفزعانها فتنزل من الفراش وبسرعة تطفىء الشمعة الموضوعة على الخزانة ، ثم تضع اصبعيها في اذنيها وتجرى إلى مائدة الزينة وتطفىء الشمعة التى عليها ثم تهرول — عائدة إلى الفراش في الظلام الذى لا يبين منه سوى التماع الضوء في الكرة المثقبة أمام صورة المسيح وضوء النجوم الذى يرى من خلال الفتحتين بأعلى المصراعين . يسمع صوت الطلقات من جديد . وابل مريع من الاعيرة النارية يطلق من على بعد قريب جدا . يختفى المصراعان ، وصدى الطلقات لا يزال يتردد، فقد فتحا من الخارج ، ولمدى لحظة يسطع مستطيل من ضوء النجوم الجليدى وقد برز عليه شبح أسود اللون لرجل . يغلق المصراعان على الفور وتسبح الغرفة في الظلام من جديد ولكن الصمت يقطعه الآن صوت أنفاس تلهث . يسمع صوت حكة ثم ترى شعلة عود ثقاب في وسط الغرفة .)

رانيـــا : (تقعى على الفراش) من هناك ؟ (ينطفىء عود الثقاب في الحال) من هناك ؟ من هذا ؟

صوت رجل : (خافت في الظلام ولكن في نبرة تهديد) صه . . صه ! لا تصيحى والا اطلقت عليك الرصاص .

الزمي الصمت ولن يصيبك سوء . (تسمع حركتها وهي تغادر فراشها وتسير الى الباب) . حذار : لا جدوى من محاولة الفـــرار .

رانيـــا : ولكن من . .

الصـــوت : (منذرا) تذكري هذا : إذا رفعت صوتك انطلق مسدسي . (بلهجة آمرة) . أضيئي نورا ودعيني أراك . سامعة ؟ (لحظة صمت أخرى وظلام وهي تتراجع إلى الخزانة ذات الادراج ، ثم تضيء شمعة . يتبدد الخفاء . هو رجل في حوالى الخامسة والثلاثين ، حاله تدعو إلى الرثاء وقد لطخه الوحـــل والدم والجليـــد . لم يبق من الزي الازرق الذي يرتديه — وهو زي ضابط مدفعية صربي — سوى أشلاء ممزقة يلمها حزامه وسير قراب مسدسه وحالته الشعثاء الغبراء كل ما يسمح ضوء الشمعـــة بتمييزه هو أنـــه ذو قامة وسط وهيئة مبتذلة ، وعنق ومنكبين قويين ورأس عنيد المظهر أقرب إلى الاستدارة تغطيه خصلات من الشعر قصيرة جعداء برونزية اللون ، وعينين صافيتين سريعتين وحاجبين وفم لا عيب فيها ، وانف يفتقر إلى الجمال بشكل لارجاء فيه ، كأنف طفل صلب الرأي . هيئته عسكرية رشيقة وكله نشاط وحيوية . متمالك لاعصابه رغم المأزق الذي يدعو إلى اليأس : بل انه يجد في موقفه شيئا من الطرافة ولو انه ليس على أقل استعداد للاستهانة بعواقبه أو لإضاعة أي فرصة تسنح للخروج منه .

بعد أن يحصى في ذهنه ما استطاع ان يحدسه بشأن رانيا : عمرها ومركزها الاجتماعي وطبعها والى أى مدى استبد بها الخوف ، يستمر بلهجة أكثر تأدبا ولكن بأقصى درجة من التصميم) اعذريني إذا كنت قد ازعجتك ولكن هل تعرفت على ردائي العسكرى ؟ أنا صربى إذا قبض على سيكون في ذلك حتفي . (مهدد) فهمت ؟

رانيـــا : نعم .

الرجـــل : وليس في عزمى ان اتركهم يقتلوننى إذا استطعت أن اتفادى ذلك . (بحدة اكبر) مفهوم ؟
(يوصد الباب بسرعة ولكن في هدوء) .

رانيـــا : (باحتقار) لا أظن (تنصب قامتها بعظمة وتنظر اليه وهى تواجهه وتضيف بتوكيد قاطع) بعض الجنود ، فيما أعلم ، يهابون الموت .

الرجـــل : (ببشر كالح) كلهم ياسيدتى العزيزة – كلهم ، صدقيني . أن من واجبنا ان نعيش لاطول فترة نستطيعها . فاذا صدرت منك استغاثة . .

رانيـــا : (تقاطعه) ستطلق على النار . ومن ادراك انني أنا أهاب الموت ؟

الرجـــل : (بدهاء) ها . ولكن افترضى انني لم اطلق عليك النار . ما الذى سيحدث ؟ حشد من فرسانكم سيقتحمون هذه الغرفة اللطيفة – غرفتك – ويذبحوننى كما تذبح الخنازير . ولكنني سأحاربهم كشيطان : لا . لن اتركهم يسوقوننى إلى الشارع

ويتخذوا منى مادة للتسلية . فأنا أعرفهم . هل انت على استعداد لاستقبال مثل هذه الجماعة في ردائك الخفيف هذا ؟ (رانيا تتنبه فجأة إلى قميص نومها وتنكمش بحركة غريزية وتضم القميص حول عنقها . يراقبها ويضيف بلا هوادة) ليس هذا هنداما يصلح لاستقبال أحد . أليس كذلك ؟ (تتجه إلى الديوان العثمانى . يرفع طبنجته على الفور ويصيح) مكانك ! (تتوقف) إلى أين تذهبين ؟

رانيا : (بصبر واعتداد) ما أردت الا أخذ عباءتى .

الرجل : (يهرع إلى الديوان العثمانى ويخطف العباءة) فكرة لا بأس بها ، سأحتفظ انا بالعباءة وستحرصين أنت على ألا يدخل أحد ويراك بدونها . هذا سلاح أفضل من المسدس . ألست من هذا الرأى ؟ (يلقى بالطبنجة على الديوان العثمانى) .

رانيا : (ثائرة) ما هى بسلاح لجنتلمان !

الرجل : ان فيها الكفاية لرجل لا يقف بينه وبين الموت الا أنت. (بينما يترامقان لحظة ورانيا لا تكاد تصدق ان ضابطا ، حتى ولو كان صربيا ، يمكن ان يكون عديم النخوة الى هذه الدرجة الساخرة الانانية، يجفلان لسماع طلقات مدوية تتناهى اليهما من الشارع ، رعدة الموت الوشيك تخفض صوت الرجل وهو يضيف) سمعت ؟ إذا حرضت علىّ اولئك الاوغاد فستستقبلينهم بحالتك هذه .

(هرج ومرج . فريق المطاردين في الشارع يطرق

باب البيت صائحا « افتحوا الباب ! افتحوا الباب ! استيقظوا ! » صوت خادم يصيح فيهم بغضب من الداخل « هذا بيت الميجور (١) بتكوف : ليس لكم ان تدخلوا هنا » ولكن الضجة تتجدد وتنهال الضربات على الباب كالسيل وينتهى الامر بالخادم الى انزال السلسلة محدثا صليلا . يعقب ذلك اندفاع اقدام ثقيلة وجلبة صيحات ظافرة يهيمن عليها في النهاية صوت كاترين التى تخاطب ضابطا بلهجة استنكار « ما معنى هذا أيها السيد ؟ أتعرف أين أنت ؟ » الضجة تخف فجأة .

لوكا : (في الخارج ، تقرع باب حجرة النوم) ؟ سيدتى ! سيدتى ! انهضى بسرعة وافتحى الباب . ان لم تفعلى فسيحطمونه .

(الهارب يرفع رأسه بعنف ، في حركة رجل يدرك إن نهايته قد حانت ؛ ويغير الطريقة التى كان يستخدمها لتخويف رانيا) .

الرجل : (بصدق وطيبة) لافائدة يا عزيزتى : قضى الأمر (يلقى اليها بالعباءة) أسرعى ! غط نفسك : انهم قادمون .

رانيا : شكرا لك . (تلف نفسها في العباءة وقد داخلها احساس عميق بالارتياح) .

الرجل : (بين اسنانه) لا شكر على واجب .

رانيا : (باشفاق) ماذا أنت صانع ؟

---

(١) الرائد .

الرجـــل : (متجهما) سيعرف ذلك أول رجل يدخل . ابتعدى عن الطريق ولا تنظرى . لن يستغرق المشهد وقتا طويلا ولكنه لن يكون مشهدا سارا . (يسحب سيفه ويواجه الباب ويترقب) .

رانيـــا : (باندفاع) سأساعدك . سأنقـــذك .

الرجـــل : لن تستطيعى .

رانيـــا : أستطيع . سأخفيك . (تجره ناحية النافذة) هنـــا ! خلف الستائر

الرجـــل : (يذعن لها) هناك فرصة ضئيلة لا أكثر ، هذا إذا احتفظت برباطة جأشك .

رانيـــا : (تسحب الستارة أمامـــه) صه . صه . (تتجه الى الديوان العثمانى)

الرجـــل : (يبرز رأسه) تذكـــرى

رانيـــا : (تجرى عائدة اليه) ماذا ؟

الرجـــل : . . تسعة جنود من كل عشرة يولدون أغبيـــاء .

رانيـــا : تبا لك (تسحب الستارة بغضب أمامه) .

الرجـــل : (يطل من الجانب الآخر) إذا عثروا على فأعدك بمعركة : معركة عنيفـــة !

(تضرب الأرض بقدمها تجاهه . يختفى في لمح البصر . تخلع عباءتها وتطرحها بالعرض على الفراش عنـــد موضع القدمين ثم تتظاهر بالنعـــاس والاضطراب وتفتح الباب . تدخل لوكا لا تملك نفسها مـــن الإثارة) .

لوكـــا : لقـــد رأى بعضهم واحـــدا من اولئك الصربيـــين الحيوانات يتسلق ماسورة المياه الى شرفتك ورجالنا يريدون ان يبحثوا عنه . انهم في حالة لا توصـــف من الضراوة والسكر والهيـــاج . (تعبر الغرفـــة الى الجانب الآخر لتبتعد بقدر الامكان عن البـــاب) . تقول سيدتى ان عليك ان ترتدى ثيابك فورا وأن . .

(ترى المسدس على الديوان العثمانى وتتوقف وقـــد تحجرت) . .

رانيـــا : (كالضائقة صدرا بهذا الازعاج) لن يبحثوا هنا . لماذا سمح لهم بالدخـــول .

كاتريـــن : (تدخل مهرولة) رانيا ، هل أنت بخير ؟ أرأيـــت أحدا او سمعت شيئا ؟

رانيـــا : سمعت الطلقات النارية . لا أحسب الجنود يجرؤون على دخول هذه الغرفـــة .

كاتريـــن : لقد وجدت ــ شكرا للسماء ــ ضابطا روسيا : انه يعرف سيرجيوس . (تتحدث عبر الباب الى شخص في الخارج) أيها السيد : تفضل الآن بالدخـــول . ابنتي ستستقبلك .

(ضابط روسى شاب في رداء عسكرى بلغارى يدخل وسيفه في يده) .

الضابـــط : (بأدب ناعم ماكر وهيئة عسكرية جافة) طـــاب مساؤك يا سيدتى الفاضلة . آسف لاقتحام غرفتـــك ولكن هناك رجلا صربيا مختفيا في شرفتك . هـــل

تأذنين والسيدة المحترمة أمك بالانسحاب ريثما نقوم بالتفتيش ؟

رانيا : (بتأفف) هراء يا سيدي : تستطيع ان ترى ان احدا ليس في الشرفة . (تفتح المصراعين الى اقصى مداهما وتقف وظهرها الى الستارة حيث يختفي الرجل وتشير الى الشرفة التي ينيرها ضوء القمر . يطلق عياران ناريان تحت النافذة تماما . رصاصة تحطم الزجاج المقابل لرانيا . رانيا تجفل وتلهث لكنها لا تبرح مكانها بينما تصرخ كاترين ويندفع الضابط صائحا « خل بالك » الى الشرفة) .

الضابط : (في الشرفة يصيح بشراسة الى أسفل حيث الشارع) اوقفوا الضرب هناك أيها الاغبياء . هل تسمعون؟ اوقفوا الضرب عليكم اللعنة ! (يحد النظر الى أسفل لحظة ثم يستدير الى رانيا محاولا ان يستأنف طريقته المهذبة) هل كان يمكن لأحد أن يدخل دون علمك؟ هل كنت نائمة ؟

رانيا : لا : لم أكن قد أويت الى فراشي .

الضابط : (نافذ الصبر ، يعود الى الغرفة) رؤوس جيرانكم محشوة بالصربيين الفارين الى درجة انهم يرونهم في كل مكان . (بأدب) سيدتي الفاضلة . ألف معذرة طاب مساؤك . (ينحني انحناءة عسكرية ترد عليها رانيا ببرود . ينحني مرة ثانية لكاترين التي تشيعه الى الخارج) .

(رانيا تغلق المصراعين ، تستدير وترى لوكا التي كانت ترقب المشهد بفضول) .

رانيـــا : لا تتركي أمي ، يا لوكا ، حتى ينصرف الجنود .

(لوكا تلقي بنظرة الى رانيا والى الديوان العثماني والى الستارة ، ثم تزم شفتيها شـــأن من يكتم سرا وتضحك بقحة وتخرج . رانيا ، في غاية من الاستياء لهذا التصرف ، تتبعها الى الباب وتصفقه وهـــــى توصده خلفها وتقفله — بحركة عنيفة — بالقفـــل . في الحال يخطو الرجل من وراء الستارة وهو يدخل سيفه في غمده ثم يتقدم من رانيا بدماثة وهو يطرد الخطر من ذهنه في عزم وحزم) .

الرجـــل : نجونا بأعجوبة . ولكننا نجونا وهذا هو المهـــــم : يا آنستي العزيزة : انا خادمك حتى الموت . وددت من اجلك لو انى انضممت الى صفوف جيش بلغاريا بدلا من الجيش الآخر . انا لست من أبناء الصرب .

رانيـــا : (بترفع) لا بل أنت واحد من النمسويين الذيـــن حرضوا الصربيين على حرماننا من حرية وطننـــــا والذين يتولون قيادة جيشهم كضباط . نحن نبغضهم

الرجـــل : من النمسويين ؟ لست كذلك . لا تبغضيني أيتهـــا الآنسة العزيزة . أنا سويسرى يحارب كجنـــــدى محترف ليس الا . لقد انضممت الى الصربيين لأنهم كانوا اول من التقيت بهم على الطريق من سويسرا . انى اناشد كرمك : لقد هزمتمونا شر هزيمـــة .

رانيـــا : ألم أكن كريمـــة ؟

الرجـــل : كنت نبيلة وتصرفت كبطلة ! ولكننى لم انج بعد . هذه التجريدة بالذات ستمر سريعا ، ولكن المطاردة ستستمر طوال الليل على فترات متقطعة . ان عليّ ان اجرب حظى واخرج من هنا في فترة من فـــترات الهدوء . (بظرف) ارجو الا يكون لديك مانع في ان أبقى دقيقة او دقيقتين على الأكثر .

رانيـــا : (بأرق لهجة تملكها كفتاة من فتيات الطبقة الراقية) لا . ابدا . ألا تجلس ؟

الرجـــل : شكرا . (يجلس على الفراش عند موضع القدمين) رانيا تسير برزانة محسوبة الى الديوان العثمـــانى وتجلس فتجيء جلستها لسوء الحظ على المسدس. تقفز قائمة بصرخة . الرجل ، ينطلق كحصان مذعور الى جانب الغرفة الآخر .

الرجـــل : (بعصبية) لا تفزعينى هكذا . ما الخـــبر ؟

رانيـــا : مسدسك ! لقد كان تحت بصر ذلك الضابط طول الوقت . يا لهـــا من فلتـــه !

الرجـــل : (مغيظا لانه أفزع بغير داع) أهذا كل ما في الأمر؟

رانيـــا : (تطيل اليه النظر بما يشبه التكبر وقد أخذت فكرتها عنه تسوء اكثر فأكثر كما أخذ توتر أعصابها يتخلى عنها بنفس القدر شيئا فشيئا) آسفه إذا كنت قـــد أفزعتك . (تلتقط المسدس وتسلمه له) . خـــذه من فضلك لتبختمي به مني .

الرجـــل : (يبتسم في اعياء لسخريتها وهو يتناول المســـدس) .

لا داعي يا آنستي العزيزة : انــه فارغ . (يعبس للمسدس ويسقطه باستخفاف في قرابه) .

رانيـــا : احشه بالرصاص ان أردت .

الرجــل : ليس عندي ذخيرة . ما جدوى الرصاص في المعركة انى أحمل معى بدلا منه شوكلاته وقــد استنفدت آخر قطعة منها منذ ساعات .

رانيــا : (وقد صدمت في أعز مثل الرجولة لديهـــــــا) شوكلاته ! هل تحشو جيوبك — كالتلميذ — بالحلوى حتى في ميدان القتال ؟

الرجــل : (بابتسامة عريضة) نعم . أليس ذلك شيئا مزريا ؟ (بنهم) بودى لو وجدت بعضا منها الآن .

رانيــا : اسمح لى . (تقلع مبتعدة في ازدراء نحو خزانـــة الادراج وتعود وفي يدها علبة الحلوى) . يؤسفنى انى أتيت عليها ما عدا هذه . (تقدم اليه العلبة) .

الرجــل : (بضراوة) أنت ملاك ! (يلتهم محتويات العلبة) فطائر بالكريمة ! ما ألذها ! (ينظر بلهفة لـــيرى ما إذا كان هناك غيرهـــا . لا يجـــد شيئا — كل ما يستطيعه هو أن يحك العلبة بأنامله ثم يلعقهـــا . حين تنفد البقايا يرضخ لما ليس منه مفر ببشر مؤثـــر ويقول بامتنان) بارك الله فيك يا آنستي العزيـــزة ! ان في استطاعتك دائما أن تعرفي الجندى القديم مـــن محتويات قراب مسدسه وصناديق رصاصه . الجنود الشبان يحملون مسدسات ورصاص . اما القدامـــى فيحملون طعاما : شكرا لك .) يعيد اليها العلبـــة .

تختطفها منه باحتقار وتلقي بها بعيدا . يجفل ثانية كما لو كانت تهم بضربه) يا ساتر ! لا تتصرفي بهـــذه الفجائية يا آنستي الفاضلة . من الخسة ان تنتقمـــى لنفسك لانى اخفتك منذ برهـــة .

رانيــا : (بشموخ) اخفتنى ! أتعلم ايها السيد انى رغـــم كونى امرأة لا أظن انى أقل منك شجاعة ؟

الرجــل : لا أظن . أنت لم تقض مثلى ثلاثة أيام في أتون المعركة ان في وسعى ان أصمد يومين دون أن أتأثر كثـــيرا . ولكن ما من رجل يستطيع ان يتحمل المعركة ثلاثة أيام : ان فرائصى ترتعد كفأر . (يجلس على الديوان العثمانى ويأخذ رأسه بيديه .) هل تريدين ان تريني وانا أبكى ؟

رانيــا : (منزعجـــة) .لا .

الرجــل : إذا كنت تريدين ذلك فما عليك الا ان توبخيني تماما كما لو كنت طفلا صغيرا وأنت مربيتي . ولو كنت الآن في المعسكر لجرب رفاقي فيّ كل ألاعيبهم .

رانيــا : (وقد رق قلبها قليلا) لا تؤاخذنى . لن أؤنبـــك : (تؤثر فيه نبرة العطف في صوتها فيرفع رأسه وينظر اليها بعرفان . تتقهقر في الحال وتهتف في جفـــاء) أرجوك أن تعذرنى : فجنودنا ليسوا كذلك . (تبتعد عن الديوان العثمانى) .

الرجــل : بل هم كذلك . هناك صنفان لا ثالث لهما من الجنود كبار السن والشبان . لقد مارست العسكرية أربعـــة عشر عاما . اما جنودكم فنصفهم لم يشموا رائحـــة

البارود من قبل . كيف اذن انتصرتم علينا منذ قليل؟
لمجرد الجهـــل بفن القتـــال لاأكثر ولا أقـــل .
(بامتعاض) في حياتى لم أر شيئا يتنكب أصول المهنة
الى هذا الحـــد .

رانيـــا : (باستهزاء) هل كان الانتصار عليكم تنكبـــا
لأصول المهنـــة ؟

الرجـــل : وهل من أصول المهنة القاء فرقة من الفرسان عـــلى
موقع للمدافع الرشاشة مع ان الثابت المحقـــق ان
المدافع إذا انطلقت فلن تسمح لحصان او لرجـــل
بالاقتراب الى مسافة خمسين ياردة من خط اطلاق
النار ؟ انى حين رأيت ذلك لم أصدق عينى .

رانيـــا : (تواجهه بتلهف وكل حماسها وأحلام مجدهـــا
وتعاودها في تدافع) هل رأيت هجوم الفرســـان
العظيم ؟ أوه . حدثنى عنه . صفه لى .

الرجـــل : هل وقعت عينك من قبل على هجوم للفرسان ؟

رانيـــا : وكيف يتسنى لى ذلك ؟

الرجـــل : جائز ان هذا لم يحدث لك . لا بل هذا أمر طبيعى :
الحقيقة انه منظر طريف . كما لو أخذت حفنة من
البازلاء وضربت بها زجاج نافذة . الحبة الاولى تصل
اولا ، تليها اثنتان او ثلاث بعدها مباشرة ثم البقيـــة
دفعة واحـــدة .

رانيـــا : (عيناها تتسعان وهى ترفع يديهـــا المشبوكتين في
نشوة) نعم . اولا ! اشجع الشجعان .

الرجـــل : (دون حماس) آه لو رأيت المسكين وهو يجـــذب حصانه .

رانيـــا : وما الذى يجعله يجذب حصانه .

الرجـــل : (متأففا من مثل هذا السؤال الغبي) لانه يفرُّ به طبعا. هل تظنين ان صاحبنا يريد أن يسبق الآخرين حتى يقتل ؟ بعـــد ذلك يتقدم الباقـــون جميعا ، ان في إستطاعتك ان تميزى صغار السن من هياجهـــــم وتوثبهم . اما كبار السن فيتقدمون في مجموعة تحت الحارس رقم واحد : انهم يعلمون انهم ليســـــوا الا قذائف ،وانه لا جدوى من محاولة القتال . واكثر الجروح التى تحدث عبارة عن ركب محطمة مـــن تصادم الخيل بعضها ببعض .

رانيـــا : ولكنى لا اصدق ان الرجل الأول جبان . انا أعلم انه بطـــل !

الرجـــل : (ضاحكا) هذا ما كان يجرى به لسانك لو أنـــك رأيت الرجل الأول في هجوم اليوم .

رانيـــا : (لاهثة وقد غفرت له كل شيء) كنت اعرف ذلك خبرنى . حدثنى عنه .

الرجـــل : لقد فعلها كأنه مغن في الاوبرا . رجل نظامى وسيم ، عينان تبرقان وشارب بديع . يصيح صيحة الحرب ويهجم كأنه دون كيخوته في انقضاضه على مراوح الهواء . لقد ضحكنا كثيرا .

رانيـــا : وجروتم على الضحك ؟

الرجـــل : أجل . ولكننا حين تغير لون الجاويش فاصبح كلون فرخ الورق الابيض وحين أخبرنا انهم قد ارسلـــوا لنا ذخيرة خاطئة واننا لن نستطيع ان نطلق النـــار للدقائق العشر التالية انقلب ضحكنا كربا . في حياتى لم أشعر بمثل الغثيان الذى شعرت به حينذاك رغـــم انى حضرت معركة او معركتين من أعنف المعارك . لم يكن لدىَّ حتى رصاصة مسدس واحدة :

الشوكلاته كانت كل ما معى . ولم يكن لدينـــا حرية : لم يكن لدينا شيء . وكانت النتيجة بطبيعـــة الحال أنهم مزقونا شر ممزق . اما دون كيخوتهفكان مزهوا بنفسه كفارع الطبل ، يتوهم انه أظهر براعة لم يسبق لها مثيل مع انه كان يجب ان يقدم للمحاكمة العسكرية لما فعل . هذا الرجل ، من بين كل المجانين الذين يطلقون في ساحة القتال ، هو قطعا اكثرهـــم جنونا . ان ما فعله هو وفرقته هو الانتحار بعينـــه . ولكن الرصاصة لم تنطلق . هذا كل ما هنا لك .

رانيـــا : (وقد جرحت في الصميم ولكن دون ان تتحول عن ولائها لمثلها) حقا ! أيمكنك التعرف عليه لو رأيته ؟

الرجـــل : وهل أستطيع ان أنساه أبدا ؟

(تذهب مرة أخرى الى الخزانة ذات الادراج . يرقبها ويحدوه أمل غامض في ان يكون لديها شيء آخر يصلح للاكل . تنزع الصورة من اطارهـــا وتحضرها له) .

رانيـــا : هذه صورة السيد – الوطني والبطـــل – الذي هو خطيـــبي .

الرجـــل : (يصدم اذ يتعرف عليه) حقيقة اني آسف . (ينظر اليها) هل كان من العدل ان تتركيني أتحدث عنـــه هكذا ؟ (ينظر الى الصورة ثانية) نعم : انه هـــو هو دون كيخوته : ما في ذلك شك .
(يكتم ضحكة) .

رانيـــا : (بسرعة) فيم ضحكك ؟

الرجـــل : (معتذرا ولكن الرغبة الشديدة في الضحك لاتفارقه) انا لم أضحك . اؤكد لك . على الاقل انا لم أتعمـــد ذلك . ولكني حين أتخيل كيف كان يهاجم طواحين الهواء ويتصور انه قد أتى عملا رائعا . . (يختنـــق بالضحك المكتوم) .

رانيـــا : (بصرامة) اعد اليّ الصورة أيها السيد .

الرجـــل : (بندم صادق) طبعا . بالتأكيد . انا حقيقة في شدة الأسف . (يسلمها الصورة . تقبلها متعمدة وتنظر اليه في وجهه نظرة مباشرة قبل ان تعود الى الخزانة ذات الادراج لتعيد الصورة الى مكانها . يتبعهـــا معتذرا) . لعلي مخطيء فيما ذهبت اليه : بل لاريب في انني مخطئ . والارجح ان موضوع الرصاص قد نمي الى علمه بطريقة ما ، وانه كان يعرف ان مهمته مهمة مأمونة العواقب .

رانيـــا : معنى هذا انه كان دعيا وجبانا ! أنت لم تجروْ على التلفظ بهذا من قبل .

الرجـــل : (بأشارة يأس مضحكة) لا فائدة يا آنستي العزيزة : لن أفلح في جعلك تنظرين الى الموضوع من وجهة نظر المهنة . (عندما يستدير ليعود الى الديوان العثماني ينطلق عياران ناريان على بعد منذرين يتجدد المتاعب)

رانيـــا : (بصرامة وهى تراه يعير للطلقات سمعه) أحسن !

الرجـــل : (ملتفتـــا) نعـــم ؟

رانيـــا : انت عدوى ، وأنت تحت رحمتى . ماذا ينتظر منى ان أفعل اذا كنت جنديا من أهل الحرفة ؟

الرجـــل : معك حق يا آنستي العزيزة : أنت دائما على حق . أنا أعرف كم كنت طيبة معى وسأظل حتى آخر لحظة من عمرى اذكر فطائر كريمة الشوكلاته الثلاث . لم يكن هذا منك تصرفا عسكريا بل كان تصرفاملائكيا.

رانيـــا : (ببرود) أشكرك . اما الآن فسأتصرف بطريقـــة عسكرية . لن اسمح لك بالبقاء هنا بعد ان قلت منذ لحظة ما قلت عن زوجى المقبل بل سأذهب الىالشرفة وأرى ما اذا كان من المأمون ان تتسلق نازلا الى الشارع . (تستدير الى النافـــذة) .

الرجـــل : (يتغير تعبير وجهـــه) انزل على تلك الماسورة ! رويدك ! انتظرى ! لا استطيع ! لا أجرؤ ! ان مجرد التفكير في ذلك يجعلنى اصاب بالدوار . لقد استخدمتها في الصعود بسرعة كافية حين كان الموت من ورائى . اما أن اواجهها الآن وانا في كامل وعي . . (يغوص في الديوان العثمانى) . لافائدة . ألقيت السلاح . حلت بى الهزيمة . اطلقى صيحـــة

الاستغاثة . (يسقط رأسه على يديه وهو نهب لاعمق حالات الشقاء) .

رانيـــا : (والشفقة تغلبها) هون عليك ولا تبتئس . (تنحنى عليه بعطف يقرب من عطف الامومة : يهز رأسه) انت جندى حظه من العسكرية قليل جدا : جندى من كريمة الشوكلاته ! هيا . أبشر ! ان ما يحتاج اليه النزول الى الشارع من البسالة أقل مما تحتاج اليه مواجهة الأسر : تذكر ذلك .

الرجـــل : (حالما وصوتها يهدهده) لا : الأسر لا يعنى سوى الموت ، والموت هو النوم : نعم : النوم . النوم . النوم . النوم الذى لا يعكره شيء ! اما النزول بالماسورة فيعنى فعل شيء . . اجهاد نفس . . التفكير ! الموت أهون عليّ من ذلك عشر مرات .

رانيـــا : (بصوت ناعم وفي عجب وقد انتقل اليها شعوره بالاعياء) إلى هذا الحد أنت نعسان ؟

الرجـــل : انا لم أنم ساعتين متصلتين منذ ان انضممت الى الجيش الصربى . ولم يغمض لى جفن منذ ثمان واربعين ساعة .

رانيـــا : (فاقدة الصواب) ولكن كيف اتصرف معك ؟

الرجـــل : (ينهض مترنحا وقد اثر فيه يأسها) بالطبع . لابد ان أفعل شيئا . (يهز نفسه ويستجمع قواه ويتحدث بقوة وشجاعة متجددتين) سواء نمت او لم أنم ، سواء كنت جائعا او غير جائع ، سواء كنت مجهدا او غير مجهد ، فلا بد مما ليس منه بد . تلك الماسورة لابد ان استخدمها في النزول (يضرب صدره بيده)

سامع ياجندى كريمة الشوكلاته ؟ (يستدير تجـاه النافذة) .

رانيــا : (بلهفة) ولكن اذا وقعت ؟

الرجــل : سأنام كما لو كانت الحجارة فراشـا من الزغب . وداعا . (يسير الى النافذة باقدام . يضع يده على المصراع واذا بدوى طلقات نارية تصم الآذان يسمع في الشارع أسفل البيت) .

رانيــا : (تندفع نحوه) قف ! (تمسكه في تهور وتجذبـه وتجعله يدور على عقبيه) سيقتلونك . .

الرجــل : (ببرود ولكن باهتمام) لا تبالى : هذا شيء يدخل في اطار عملى اليومى . لا مناص لى من المحاولة . (بتصميم) والآن افعلى ما أقوله لك . اطفئى الشمعة حتى لا يبصروا الضوء حين أفتح المضراعين . وابتعدى عن النافذة مهما يكن ما تفعلين ، فانهم اذا لمحونى لا محالة سيطلقون على النار .

رانيــا : (تتشبث به) سيلمحونك بكل تأكيد فالليلة ليلـة قمرية مضيئة . سأنقذك . ويحك كيف يمكن ان يبلغ بك الاستهتار هذا الحد ! ألا تريد ان أنقذك ؟

الرجــل : أنا في الحقيقة لا أريد ازعاجك . (تهزه بصبر نافذ) . أنا لست مستهترا يا آنستى العزيزة ، اؤكد لك . ولكن كيف يتأتى ذلك ؟

رانيــا : تعال بعيدا عن النافذة . (تعيده بحزم الى منتصف الغرفة في اللحظة التى تخلى فيها سبيله يعود بحركة آلية الى النافذة ، تمسكه وتجعله يستدير هاتفه) أرجوك !

(تشل حركته كأرنب منوم مغناطيسيا وقد أخذ منه التعب كل مأخذ . تفك قبضتها عنه وتخاطبه بحدب) . الآن استمع الىّ . يجب ان تثق في كرمنا . ألم تعرف بعد في بيت من أنت ؟ انا من آل بتكوف .

الرجـــل : « بت » ماذا ؟

رانيـــا : (بما يشبه الامتعاض) اعنى أننى انتمى الى أسرة بتكوف ، اغنى وأشهر أسرة في بلدنا .

الرجـــل : تماما . بالطبع . أرجو المعذرة . آل بتكوف طبعا . ما أغبانى !

رانيـــا : انت لم تسمع بهم حتى هذه اللحظة . كيف تنحدر الى التظاهر بغير ذلك ؟

الرجـــل : سامحينى : اجهادى يمنعنى من التفكير . ثم ان تغيير الموضوع كان فوق ما أطيق . لا تؤنبينى .

رانيـــا : نسيت . قد يحملك تأنيبي على البكاء . (يومئ برأسه في جدية تامة . تعبس ثم تستأنف لهجة الحدب) يجب ان أخبرك ان أبى يحمل أعلى رتبة لاى بلغارى في جيشنا . هو (يفخر) ميجـــور .

الرجـــل : (يتظاهر بالعجب العميق) ميجور ! يا للعجب ! ما كنت اتصور !

رانيـــا : لقد أظهرت جهلا كبيرا حين ظننت انه كان من الضرورى ان تتسلق الى الشرفة فان بيتنا هو البيت السكنى الوحيد الذى له صفان من النوافذ وهناك سلم داخلى يستخدم للصعود والنزول .

الرجـــل : سلم ! شيء عظيم . أنتم في الحق تعيشون في غاية من البحبوحة يا آنستى العزيزة .

رانيـــا : هل تعرف ما هى المكتبـــة ؟

الرجـــل : مكتبة ؟ غرفة ملأى بالكتب ؟

رانيـــا : أجل . لدينا مكتبة وهى المكتبة الوحيدة في بلغاريا .

الرجـــل : مكتبة بحق وحقيق ؟ بودى لو أرى ذلك .

رانيـــا : (بتكلف) أنا أقول لك هذه الاشياء لاثبت لك انك لست في بيت ناس جهلاء من الأرياف ما أن يـــروا رداءك الصربى الا ويقتلونك، بل بين قوم متحضرين نحن نذهب الى بوخارست كل عام لموسم الاوبـــرا وقد أقمت أنا شهرا كلاملا في فيينا .

الرجـــل : لقد لمست ذلك يا آنستى العزيزة . رأيت على الفور انك من علية القـــوم .

رانيـــا : عمرك رأيت اوبرا « ارنانى » ؟

الرجـــل : هل هى الأوبرا التى يرتدى الشيطان فيها قطيفـــــة حمراء والتى فيها « كورس » من الجنود ؟

رانيـــا : (بازدراء) لا !

الرجـــل : (يكتم زفرة اعياء عميقة) إذن فأنا لا أعرفهـــا .

رانيـــا : كنت احسب انك قد تذكر المشهد العظيم الذى يلجأ فيه ارنانى ، في فراره من خصمه شأنك الليلة ، الى حصن عدوه اللدود وهو نبيل قشتالى . ويرفـــض النبيل ان يسلمه فان الضيف عنده مقدس .

الرجــل : (يفيق نوعا ، بسرعة) وأهلك . هل يؤمنون بهذا الكلام ؟

رانيــا : (باعتزاز) أمي وأنا نستطيع ان نفهم هذا الـكلام كما تسميه . وإذا كنت ، بدلا من تهديدى بمسدسك كما فعلت ، قد لذت بكرمنا كجندى هارب لأمنت على نفسك امانك في بيت أبيك .

الرجــل : أواثقة انت كل الثقــة ؟

رانيــا : (تدير اليه ظهرها بتذمر) من العبث ان احــاو ل افهــامك .

الرجــل : لا تغضبي : انت تدركين مدى الورطة التي يمكن ان اقع فيها لوحدث أى خطأ في هذا الصدد . ان أبى رجل مضياف للغاية وهو يملك ستة فنـــادق. ولكننى لا استطيع ان اثق فيه الى هذا الحد ، فمــا بالك بأبيك ؟

رانيــا : انه في سليفنتزا يحارب من أجل بلده . انا أضمن لك الامان وهذه يدى توثيقا لذلك . هل يطمئنك هذا ؟ (تمد له يدهــا) .

الرجــل : (ينظر في شك الى يده) من المستحسن الا تمس يدى يا آنستى العزيزة فلابد لى اولا من الاغتسال .

رانيــا : (متأثرة) هذا جميل منك جدا . واضح انك جنتلمان

الرجــل : (متحيرا) مــاذا ؟

رانيــا : لا تتصور انني مندهشة . البلغاريون من ابناء الطبقة الراقية حقا — أى الناس الذين لهم مثل مركزنــا —

يغسلون أيديهم كل يوم تقريبا . وهكـــذا ترى انى اقدر رقـــة شعورك . تستطيع ان تأخـــذ يـــدى .

(تمدهـــا ثانية) .

الرجـــل : (يقبل يدهـــا ويداه خلف ظهره) شكرا ياآنستى الفاضلة : أخيرا شعرت بالامان . والآن هـــــل تتفضلين بابلاغ والدتك بالموضوع ؟ من الافضل لى الا أبقى مستخفيا هنا أكثر من الواجب .

رانيـــا : إذا تفضلت بالتزام السكون التام خلال غيابى .

الرجـــل : بالتأكيد . (يجلس على الديوان العثمانى) .

(رانيا تمضى الى الفراش وتتلفع بالعباءة المصنوعة من الفراء . عيناه تغمضان . تسير الى الباب . تلتفت لتلقى عليه نظرة أخيرة فترى انه راح في اغفاءة) .

رانيـــا : (لدى الباب) ماذا . هل غلبك النعاس ؟ (يتمـــتم بكلمات غير مفهومة) تجرى اليه وتهزه (أتسمعنى ؟ اصحح : لا تستسلم للنوم .

الرجـــل : استس للنو . . ؟ لا . لا . ابدا : كنت فقط أفكر . كل شيء على ما يرام . انا مستيقظ تمامـــا .

رانيـــا : (بصرامة) تكرم بالوقوف حتى أعود . (ينهض كارها) . بالوقوف طول الوقت .

الرجـــل : (يقف مترنحـــا) مؤكد . مؤكد : اعتمدى علىّ في ذلك .

(رانيا تنظر اليه في شك . يبتسم ابتسامة واهنة .

تنصرف كارهة . تستدير ثانية لدى الباب وتــكاد تضبطه وهو يتثاءب . تخرج) .

الرجـــل : (غير متمالك نفسه من النعاس) النوم ، النــوم ، النوم ، النوم . . (الكلمات تتلاشى في غمغمـــة . يستيقظ ثانية بصدمة وهو يوشك على الســقوط) . أين أنا ؟ هذا ما أريد معرفته : أين أنا ؟ لابـــد ان أظل صاحيا . لا شيء يبقيني صاحيا الا الخطــر : تذكر هذا : (بتركيز) الخطر الخطر الخطــر ، الخطر . . (تتلاشى الكلمات من جديد : صدمـــة أخرى) أين الخطر ؟ لابـــد ان أجده . (يبدأ في التحويم بصورة غامضة حول الغرفة بحثا عنه) . عم تراني ابحـــث ؟ النوم . . الخطـــر . . لا ادرى . (يصطـــدم بالفراش ويتعثر) . آه . نـــعم : الآن عرفت . كل شيء على ما يرام الآن . يجب ان آوى الى الفراش ولكن لا لأنام . تأكد من عـــدم النوم ، بسبب الخطر ، ولا لأرقد . فقط لا جلس. (يجلس على الفراش . يغشى وجهه تعبير من يشعر بنعيم غامر) .

الله ! (بتنهيدة سعيدة يغوص الى الوراء بطولـــه . يرفع حذاءيه الى الفراش بمجهود أخير ويستغرق في النوم على الفـــور) .

تدخل كاترين ، تتبعهـــا رانيـــا .

رانيـــا : (تنظر الى الديوان العثمانى) راح ! لقد تركته هنا .

كاتريـــن : هنا ! لابد انه تسلق نازلا من الـ . .

رانيـــا : (تلمحه) ويلك ! (تشير اليـــه)

كاتريـــن : (باستهجان) الله الله ! (تخطو الى الفراش ورانيـــا في اثرها حتى تقف قبالتها في الجانب الآخـــر) . في سابع نومة . الحيوان !

رانيـــا : (بلهفـــة) صـــه !

كاتريـــن : (تهزه) ياسيد ! (تهزه ثانية بحركة أعنـــف) يا سيد ! ! (بقوة وتهزه بمنتهى العنف) أنت ياسيد !

رانيـــا : (تمسك ذراعها) لا يا أمي : ميت من التعب ياروحى مسكين . خليه نائمـــا .

كاتريـــن : (تتركه وتلتفت الى رانيا في استغراب) ياروحى . مسكين . رانيا ! ! ! (تنظر الى ابنتها في تجهم) . الرجل مستغرق في سبات عميق .



الفصل الثانى

(السادس من مارس ١٨٨٦ . فى حديقة بيت بتكوف . صباح يوم ربيعى جميل : الحديقة تبدو ناضرة بهية . تستطيع العين ان تميز خلف السياج قمتى مئذنتين اشارة إلى وجود واد هناك تقع فيه المدينة الصغيرة . وأبعد من ذلك بأميال قليلة ترتفع جبال البلقان وتسد المنظر الطبيعى . إذا نظر الناظر إلى هذه الجبال من داخل الحديقة ظهر جانب البيت إلى اليسار وفيه باب حديقة توصل اليه مجموعة من الدرجات . والى اليمين يحتل فناء الاسطبل بممر بوابته جزءا من الحديقة . هناك شجيرات فاكهة على طول السياج والبيت نشر عليها غسيل ليجف . ممر يمتد بجوار البيت ويرتفع درجتين عند الركن حيث ينعطف ويختفى عن الانظار . فى الوسط مائدة صغيرة وحولها كرسيان من الخشب المثنى معدة للافطار . على العائدة اناء للقهوة التركية وفناجين وارغفة الخ . ولكن الفناجين استدخمت والخبز كسر . دكة خشبية من دكك الحدائق لصق الحائط إلى اليمين .

لوكا واقفة — وهى تدخن سيجارة — بين المائدة والبيت وتولى ظهرها بازدراء غاضب لخادم

يلقى عليها محاضرة . هو رجل متوسط العمر هادئ الطبع . أفكاره غثة ولكنه حاد الذكاء نير البصيرة . راض عن نفسه كخادم يقدر ذاته وفقا لمقامه في سلك الخدم . ثابت الجنان شأن الحاسب الدقيق الذى لا يتعلق بالاوهام . وهو يرتدى زيا بلغاريا أبيض يتكون من سترة موشاة الحواف وحزام وبنطلون قصير واسع مجموع عند الركبة وغطاء ساقين مزركش . رأسه محلوق حتى أعلى الجمجمة وهو ما يجعل له جبهة يابانية عالية . اسمه نيقولا)

نيقـــولا : انى احذرك يالوكا قبل فوات الأوان . حسنى أخلاقك . أنا أعرف سيدتنا . شعورها بالعظمة يجعلها لا تتصور ابدا ان خادما من الخدم يجرؤ على عدم احترامها الاحترام الكافي . وإذا شكت لحظة واحدة في انك تتحدينها فلن يطول بك المقام في هذا البيت .

لوكـــا : انا اتحداها الآن وسأتحداها في المستقبل . هى لا تهمنى .

نيقـــولا : إذا تشاجرت مع الاسرة فلن استطيع أن أتزوجك . تماما كما لو تشاجرت معى !

لوكـــا : انت تنحـــاز اليها ضدى .

نيقـــولا : (برصانة) سأكون دائما في حاجة إلى عطف هذه الاسرة . وحين اترك خدمتهم واتخذ لنفسى حانوتا في صوفيا فان رعايتهم ستكون نصف رأسمالى ، ولو ذكرونى بكلمة سوء فسيكون في ذلك خرابى .

لوكـــا : انت انسان مجرد من الشجاعة . آه لو ضبطتهم أنا وهم يقولون ضدى كلمة واحـــدة .

نيقـــولا : (برثاء) كنت أتوقع أن تكونى أعقل مذ هذا يالوكا . ولكنك صغيرة السن : انت صغيرة السن .

لوكـــا : أجل ، وأنت تفضل أن أكون كذلك . ولكنى بالرغم من صغر سنى أعرف من أسرارهم العائلية ما يحرصون على اخفائه . فليتشاجروا معى إذا جرءوا !

نيقـــولا : (بتعال عطوف) اتعرفين ماذا سيكون منهم إذا سمعوك تتحدثين على هذا النحو ؟

لوكـــا : ماذا بيدهم ان يصنعوا ؟

نيقـــولا : يفصلونك بتهمة اختلاق الاكاذيب . من‌ذا الذى يصدق بعد ذلك أى قصص تقصينها ؟ ومن ذا الذى يعرض عليك مركزا آخر ؟ من ذا الذى يجرؤ في هذا البيت على أن يرى بعدها وهو يتحدث اليك ؟ ولكم من الزمن يترك ابوك في مزرعته الصغيرة ؟ (تلقى عقب سيجارتها بحركة عصبية وتطؤه بقدمها) . ايتها الطفلة : انت لا تعرفين ما لمثل هؤلاء الكبراء من سلطان على أمثالك وأمثالى متى حاولنا أن ننهض من فقرنا في وجههم . (يقترب منها ويخفض صوته) . انظرى إلىّ . عشر سنوات أنا في خدمتهم . هل تظنين انى لا أعرف اسرارا . انى اعرف عن سيدتى أشياء تحرص على عدم ابلاغ

سيدى بها ولو كان الثمن ألف ليفـــا (١) واعرف عن سيدى أشياء إذا أفشيتها لسيدتى فستظل ترددها على مسمعه ستة أشهر . وأعرف أشياء عن رانيا تعرض خطبتها إلى سيرجيوس للفسخ إذا . .

لوكـــا : (تلتفت اليه بسرعة) كيف عرفت ؟ أنا لم أخبرك ابدا !

نيقـــولا : (يفتح عينيه بدهاء) هذا اذن هو سرك الصغير ، أليس كذلك ؟ كنت اتوقع ان يكون شيئا من هذا القبيل . على أى حال اسمعى كلامى وأظهرى لها الاحترام . اجعلى سيدتنا تشعر انه مهما كان من أمر ما تعلمين أولا تعلمين فان في وسعها ان تطمئن لكونك ستمسكين لسانك وستخدمين الاسرة باخلاص . هذا هو الشيء الذى يحبونه وهذا هو أقصر طريق لكسب رضاهم .

لوكـــا : (باحتقار شديد) لقد خلقت يا نيقولا بنفسية خادم.

نيقـــولا : (قرير العين) نعم : هذا هو سر النجاح في الخدمة . (يسمع صوت دقات عالية بمقبض سوط على باب خشبي من ناحية فناء الاسطبل) .

صوت رجالى في الخارج : انت يا هذا . انت يا هذا ! نيقولا !

لـــوكا : السيد ! لقد عاد من الحرب !

نيقـــولا : (على عجل) خذيها كلمة منى يا لوكا ، لقدانتهت

---

(١) العملة البلغارية .

الحرب . اذهبي وهاتى قهوة ساخنة . (يعدو الى فناء الاسطبل) .

لـوكا : (وهى تجمع اناء القهوة والفناجين على الصينيـة وتحملها الى داخل البيت) لن تغرس فيّ أبدا طبع خادمة .

(يأتى الميجور بتكوف من فناء الاسطبل وفي اثره نيقولا . وهو رجل بشوش ، سهل الاثارة ، تافه ، ذو غلظة ، في حوالى الخمسين ، غير طموح بطبعه الا فيما يتعلق بدخله ومكانته في المجتمع المحلى ، ولكنه الآن جد سعيد بالرتبة العسكرية التى اضفتها عليه الحرب كرجل ذى حيثية في بلده . وقد شدته خلال الحرب حمى الوطنية الباسلة التى أثارها العدوان الصربى ، ولكن من الواضح انه سعيد بالعودة الى بيتـه .

بتكـوف : (يشير الى المائدة بسوط) هل تناول احد افطاره هنا ؟

نيقـولا : أجل يا سيدى . سيدتى ومس رانيا . وقد دخلتا منذ لحظـة .

بتكـوف : (يجلس ويأخذ رغيفا) اذهب وقل انى حضرت وائتنى بقهوة ساخنة .

نيقـولا : القهوة في الطريق يا سيدى . (يذهب الى باب البيت. تقابله لوكا التى احضرت على صينيتها قهوة ساخنة وفنجانا نظيفا وزجاجة براندى) . هـل أخبرت السيدة ؟

لـــوكا : نعم : انها آتيـــة

(نيقولا يدخل البيت . لوكا تحضر القهوة الى المائدة.)

بتكـــوف : خبريني : ألم يخطفك الصربيون ؟

لـــوكا : كلا يا سيدى .

بتكـــوف : مفهوم . هل أحضرت لى بعض الكونياك ؟

لـــوكا : (تضع الزجاجة على المائدة) هاهو ذا ياسيدى .

بتكـــوف : مفهوم . (يصب بعض الكونياك في القهوة)

(كاترين ، التى لم تعتن بزينتها في هذه الساعة المبكرة عناية دقيقة والتى ترتدى مريلة بلغارية فوق ثوب كان في وقت من الاوقات رائع الاناقة ولكنه الآن نصف بال ، وتعقد فوق شعرها الكثيف الاسود منديلا ملونا ، تأتى من البيت وفي قدميها العاريتين ! صندل تركى وتبدو ، رغم كل شيء ، على قدر مدهش من الجمال . لوكا تدخل البيت .)

كاتريـــن : بول أيها العزيز : أى مفاجأة لنا ! (تنحنى فوق ظهر الكرسى الذى يجلس عليه لتقبله) . هل أحضروا لك قهوة ساخنة ؟

بتكـــوف : نعم : لوكا تولت خدمتى . لقد انتهت الحرب . وقعت المعاهدة منذ ثلاثة أيام في بوخارست ، وقد صدر أمس مرسوم تسريح جيشنا .

كاتريـــن : (تهب واقفة وعيناها تلتمعان) بول : هل سمحتم للنمسويين باجباركم على المهادنة ؟

بتكـــوف : (باذعان) ياحبيبتى : انهم لم يستشيرونى . ماذا كان

بيدى ان افعل ؟ (تجلس وتعرض عنـــه) ولكننا بالطبع حرصنا على ان تكون المعاهدة مشرفة . انها تعلن السلام . .

كاتريـــن : (في غضب عارم) السلام !

بتكـــوف : (يطيب خاطرها) . ليس العلاقات الودية : تذكرى ذلك . لقد ارادوا ان ينصوا عليها في المعاهدة ولكننى اصررت على حذفها . ماذا كان في وسعى ان أفعل أكثر من ذلك ؟

كاتريـــن : كان يمكنك ضم الصرب وتنصيب الامير اسكندر امبراطورا على البلقان . هذا ما كنت افعله لـــو انى كنت مكانك .

بتكـــوف : ليس عندى أقل شك في ذلك يا حبيبتى . ولكن ذلك كان يقتضينى ان اخضع الامبراطورية النمسوية كلها أولا ، وكان من شأن ذلك ان يبقينى بعيدا عنك وقتا طويلا . لقد اوحشتنى كثيرا .

كاتريـــن : (تخفف من غلوائها) حقا ! (تمد يدها بمحبة عبر المائدة لتضغط على يده) .

بتكـــوف : وكيف كان حالك يا حبيبتى ؟

كاتريـــن : احتقان حلقى المعتاد ولا شيء غيره .

بتكـــوف : (باقتناع) هذا لانك تغسلين رقبتك يوميا . كم مرة قلت لك ذلك .

كاتريـــن : هـــراء يا بـــول !

بتكـــوف : (من فوق فنجان القهوة) انا لست ممن يحبذون الأخذ

بهذه العادات الحديثة على نطاق واسع . كل هذا الاغتسال لا يمكن ان يفيد الصحة : انه مخالف للطبيعة . لقد عرفت في مدينة فيليبوبوليس رجلا انجليزيا اعتاد ان يبل نفسه بالماء البارد من رأسه الى قدميه كل صباح حين يستيقظ . شئ مقرف ! كله من الانجليز : جوهم يجعلهم قذرين الى درجة تحتم عليهم الاغتسال بصفة مستديمة . انظرى الى أبى ! انه لم يأخذ في حياته حماما ، وقد عاش حتى بلغ الثمانية والتسعين ولم يكن في بلغاريا من هو اوفر منه صحة . لا بأس عندى بأخذ حمام كل اسبوع لاحتفظ بمركزى . اما الاستحمام يوميا فهو تطرف يصل الى حد السخرية .

كاترين : انت يابول همجى في قرارة نفسك . ارجو الا تكون قد خرجت على قواعد السلوك امام كل اولئك الضباط الروس .

بتكوف : بذلت ما في وسعى . وقد عنيت باحاطتهم ان عندنا مكتبة .

كاترين : ولكنك لم تخبرهم ان عندنا فيها جرسا كهربيا ؟ لقد كلفت من ركب فيها مثل هذا الجرس .

بتكوف : ما هو الجرس الكهربى .

كاترين : تضغط على زر : فيرن شيء ما في المطبخ ، ثم يحضر نيقولا .

بتكوف : ولماذا لا تنادينه بالصياح ؟

كاتــرين : الناس المتمدنون لا ينادون على خدمهم ابدا . لقد تعلمت هذا في غيابك .

بتكــوف : مادام الأمر كذلك فسأخبرك بشيء تعلمته أنا أيضا الناس المتمدنون لا يعلقون غسيلهم ليجف حيث يستطيع الزوار رؤيته . لذا يجدر بك أن تأمرى بان يوضع كل هــذا (يشير إلى الملابس المنشورة على الشجيرات) في مكان آخر .

كاتــرين : هذا سخف يابول : لا أظن حقيقة أن الناس المهذبين يلحظون مثل هذه الاشياء .

سيرجيوس : (يطرق بوابة الاسطبل) افتح البوابة يا نيقولا !

بتكــوف : هذا سيرجيوس (صائحا) نيقولا !

كاتــرين : لا . لا تصح يابول : حقيقة هذا شيء غير لائق .

بتكــوف : دعك من هذا الكلام ! (يصيح أعلى من ذى قبل) نيقولا !

نيقــولا : (يظهر لدى باب البيت) نعم سيدى .

بتكــوف : هل اصابك الصمم ؟ ألم تسمع الميجور سارانوف وهو يطرق البوابة ؟ أحضره إلى هنا . (ينطق الاسم ضاغطا على المقطع الثانى : ساراهنوف .

نيقــولا : أمرك ، سيدى الميجور . (يذهب إلى فناءالاسطبل).

بتكــوف : يجب ان تحدثيه ياعزيزتى ، الى أن تريحنا منه رانيا . لقد أثقل على كثيرا لاننا لم نقم باللازم لترقيته قبلى ،

كاتـــرين : قطعا يجب أن يرقي حين يتزوج رانيا . ثم ان البلد لا بد ان يصر على أن يكون له على الاقل جنرال — من أهله .

بتكـــوف : أجل . لكى تضيع بسببه لواءات كاملة بدلا من فرق . لا فائدة ياعزيزتى : ليست امامه أقل فرصة للترقية حتى نتأكد تماما من أن السلام سيكون سلاما دائما .

نيقـــولا : (لدى البوابة ، معلنا) الميجور سيرجيوس سارانوف ! (يذهب إلى البيت ويعود حالا بكرسى ثالث يضعه أمام المائدة ثم ينسحب) .

(الميجور سيرجيوس سارانوف أصل الصورة الموجودة في غرفة رانيا رجل طويل القامة وسيم وسامة رومانتيه ، يشبه في بسالته البدنية وروحه العالية وخياله الحساس رئيس قبيلة جبلية غير مروض . ولكن تميزه الشخصى الملفت للنظر هو في المقام الاول تميز رجل من النوع المتحضر . أعلى حاجبيه وهو ينحنى في التواءة تساؤلية حول نتوء الاركان الخارجية ، وعينـــه التى لا يغيب عن مجال لحظها شيء ، وانفه الرفيع الحاد الوجل رغم القصبة العالية الشكسة والمنخر العريض ، وذقنه الحازمة ، كل هذه السمات لن تكون دخيلة على أى صالون باريسي وهو ما يوحى بان الهمجى البارع والواسع الخيال قد اوتى موهبة نقدية ثاقبة قذف

بها وحوّل الحضارة الغربية إلى البلقان في نشاط كثيف ، وكانت النتيجة مشابهة تماما لتلك التى احدثها مجىء فكر القرن التاسع عشر إلى انجلترا في بادىء الأمر : أى البيرونية (١) . ان تأملاته في الفشل الأزلى ، ليس فقط فشل الآخرين ، بل فشله هو ، في أن يحيوا حياة تتفق مع مبادئه ، واحتقاره الساخر للانسانية الذى نجم عن ذلك ، وايمانه الصبيانى بصحة نظرياته صحة لا تحدها حدود وبأن العالم لا يساوى شيئا لانه يتجاهلها ، واكتئاباته وسخرياته تحت لذع ما تحمله كل ساعة يقضيها بين الناس لملاحظته الحساسة من خيبة لآماله الصغيرة — كل هذا اكسبه مظهرا نصفه تراجيدى ونصفه ساخر وفكرا غامضا وما يشبه القصة الغريبة الفظيعة التى لم يبق منها سوى الندم الذى لا يموت والتى سحر بها » تشايلد هارولد (٢) جدات معاصريه الانجليز . ومن الواضح ان البطل الذى هو مثل رانيا الاعلى ان لم يتجسد فيه فلن يتجسد في انسان . وكاترين لا تكاد تقل عن ابنتها تحمسا له بل هى اقل منها تحفظا في اظهار حماسها . حين يدخل سيرجيوس من بوابة الاسطبل تنهض كاترين لتحييه بحرارة . اما بتكوف فظاهر انه أقل منها استعدادا لتهويل شأنه .)

(١) نسبة إلى اللورد بيرون الشاعر الانجليزى .

(٢) ملحمة شعرية مشهورة للورد بايرون .

بتكـــوف : جئت ، بهذه السرعة ياسيرجيوس ! مسرور برؤيتك .

كاتـــرين : أهلا بسير جيوس العزيز ! (تمد كلتا يديها) .

سيرجيوس : (يقبلهما بفروسية لا ينقصها شيء) أهلا بأمى العزيزة ، إذا كان لى أن أناديك هكذا .

بتكـــوف : (بجفاف) حماتك ياسيرجيوس . حماتك ! . اجلس وتفضل قهوة .

سيرجيوس : شكرا : اعفنى . (يبتعد عن المائدة بشيء من الاشمئزاز للمتعة التى يجدها فيها بتكوف ويقف شاعرا بأهميته ومستندا إلى حاجز الدرج الذى يقود إلى البيت) .

كاتـــرين : انك تبدو رائعا . لقد نفعتك الحملة ياسيرجيوس . كل من هنا مجنون بك . لقد طرنا من الحماس لذلك الهجوم العظيم الذى قام به سلاح الفرسان .

سيرجيوس : (بسخرية رصينة) سيدتى : لقد كان ذلك الهجوم مهد شهرتى الحربية وقبرها معا .

كاتـــرين : وكيف ذلك ؟

سيرجيوس : لقد كسبت المعركة بالطريقة الخاطئة في الوقت الذى كان قادتنا الروس المبجلون يخسرونها بالطريقة الصائبة . وباختصار فقد قلبت خططهم وجرحت احترامهم لذاتهم. لقد قاد ضابطان برتبة كولونيل (١) فرقتيهما إلى الهزيمة طبقا لاسلم مبادئ الحرب

---

(١) عقيـــد .

العلمية . وقتل ضابطان برتبة ميجور – جنرال (١) وفقا للاصول العسكرية الدقيقة . وقد رقي الضابطـــان الاولان إلى رتبـــة الميجور – جنرال أما أنا فلا زلت « ميجور » بسيطا .

كاتـــرين : لن تظل كذلك ياسيرجيوس فالنساء في صفك وسيقمن بالواجب لكى يأخذ العدل مجراه فيمـــا يتعلق بك .

سيرجيوس : ضاعت الفرصة . لقد انتظرت ان يحل السلام لاقدم استقالتي .

بتكـــوف : (يسقط فنجانه في دهشة) استقالتك !

كاتـــرين : يجب أن تسحبها !

سيرجيوس : (بتوكيد وفي اصرار موزون ، وهو يشبك ذراعيه) أنا لا اتقهقر ابدا !

بتكـــوف : (غاضبا) من كان يظن انك ستقدم على مثل هذه الخطوة ؟

سيرجيوس : (متأججا) كل من يعرفني . ولكن كفانا حديثا عني وعن احوالى . كيف حال رانيا ؟ أين رانيا ؟

رانيـــا : (تظهر فجأة حول ركن البيت وتقف على قمة الدرج في الممر) رانيا هنا .

(تظهـــر في صورة فاتنة اذ يستديرون لينظروا اليها . وهي ترتدى قميص نوم من الحرير الاخضر الفاتح وفوقه روب من الكانفاه البيج مطرز بالذهب ،

---

(١) لـــواء .

وعلى رأسها كالتاج قلنسوة شرقية لطيفة من الخيوط الذهبية اللماعة . سيرجيوس يتقدم بحركة تلقائية للقائها . تتخذ هيئة ملكية وتمد يدها : يخر راكعا بفروسيته على احدى ركبتيه ويقبل اليد الممتدة .)

بتكسوف : (جانبا الى كاترين ووجهه يشرق باعتزاز الاب) ما أبهاها . أليس كذلك ؟ إنها تظهر دائما في اللحظة المناسبة .

كاترين : إنها عادة مذمومة (سيرجيوس يقود رانيا الى الامام بحركة نبل رائعة . حين يصلان الى المائدة تستدير اليه بايماءة من رأسها : ينحني ثم ينفصلان . يعود الى مكانه وتسير هي وتقف خلف كرسي أبيها .)

رانيا : (تنحني وتقبل أباها) يا أبي الحبيب ! مرحبا بك في البيت !

بتكسوف : (يربت على خدها) ايتها الصغيرة الوديعة . (يقبلها . تذهب الى الكرسي الذي تركه نيقولا لسيرجيوس وتجلس) .

كاترين : اذن فأنت لم تعد جنديا يا سيرجيوس .

سيرجيوس : فعلا . لم أعد جنديا . الجندية يا سيدتي العزيزة هي فن الجبان الذي يجب بمقتضاه الهجوم بلا رحمة حين تكونين قوية والبقاء بعيدا عن طريق الخطر حين تكونين ضعيفة . هذا هو سر القتال الناجح من الفه الى يائه . ان نتصدى للعدو حين يكون ميزان القوى ضده وان نتحاشى دائما ، وبأي ثمن ، قتاله بقوة متكافئة .

بتكــــوف : هم لن يتركونا نقاتل قتالا عادلا شريفا . ومع ذلك فالعسكرية — فيما افترض — لابد أن تكون تجارة كأى تجارة أخرى .

سيرجيوس : بالضبط . ولكنى لا اتطلع الى التفوق كتاجر . لذا فقد عملت بنصيحة ذلك الكابتن (١) الذى يشبه التاجر المتنقل والذىأجرى معنا عملية تبادل الاسرى في « بيرُت » وهجرت العسكرية .

بتكــــوف : ماذا ؟ ذلك السويسرى ؟ سيرجيوس : لقد فكرت كثيرا في عملية التبادل المذكورة منذ ذلك الوقت . لقد غلبنا في صفقة الخيل اياها .

سيرجيوس : طبعا غلبنا . لقد كان والده صاحب فنادق واسطبل لتأجير الجياد والعربات . والذى جعله يوفق في خطوته الاولى هو معرفته بتجارة الخيل (بحماس مصطنع) لقد كان جنديا : جنديا في كل بوصة منه ! لو اننى اشتريت خيلا لفرقتى بدلا من قيادتها بطيش الى مواطن الخطر ، لكنت الآن فيلدمارشال (٢)

كاتريـــن : سويسرى ؟ ماذا كان يفعل في الجيش الصربى ؟

بتكــــوف : متطوع بطبيعة الحال : حريص على اصول المهنة . (يضحك بهدوء) ما كان يمكننا ان نبدأ القتال اذا لم يعلمنا هؤلاء الاجانب كيف نقاتل : كنا لانعرف

---

(١) نقيـــب .

(٢) مشـــير .

ألفه من بائه وكذلك كان حال الصربيين . لقد كانت الحرب مستحيلة بدونهـــم !

رانيـــا : هل كـــان في الجيش الصربي كثير من الضبـــاط السويسريين ؟

بتكـــوف : كلا . كانوا كلهم نمسويين ، تماما كما كان كل ضباطنا من الروس . وكان هذا الضابط هـــــو السويسرى الوحيد الذى صادفته . لن اثق بسويسرى مرة أخرى . لقد خدعنا فجعلنا نعطيه خمسين رجلا أقوياء مقابل مائتى فرس متعب لم تكن تصلح حتى للذبح .

سيرجيوس : لقد كنا أشبه بطفلين في يـــد ذلك الجندى المحنك يا سيادة الميجور . مجرد طفلين صغيرين بريئين .

رانيـــا : كيف كان شكله ؟

كاتريـــن : ما أسخفه من سؤال يا رانيا .

سيرجيوس : كان أشبه بتاجر متنقل يرتدى زيا عسكريا بورجوازيا مائة في المائـــــة .

بتكـــوف : (بابتسامة عريضة) سيرجيوس : احك لكاترين تلك الحكاية الغريبة التى قصها علينا صديقه عن كيفية هروبه بعد معركة سليفنتزا . انت تذكرها . بخصوص المرأتين اللتين أخفياه .

سيرجيوس : (بسخرية مرة) أجل : قصة خيالية من الطراز الاول كان يعسكر في نفس الموقع الذى هاجمته أنا بطريقة خرجت فيها على أصول المهنة . وحيث انه جندى

كامل الجندية فقد اطلق ساقيه للريح كما فعل بقيتهم ، وفرساننا في اعقابهم . ولكى ينجو بجلده من سيوفهم تسلق ماسورة مياه واقتحم مخـدع فتاة بلغارية . وأعجبت الفتاة اعجابا كبيرا باسلوبه المقنع ، اسلوب التاجر المتنقل . وظلت تسامره لمدة ساعة او حوالى ذلك في احتشام ثم نادت امها لكيلا يبدو تصرفها غير لائق . وخلب صاحبنا لب السيدة الكبيرة كما خلب لب ابنتها . وفي الصباح غادر الجندى الهارب البيت متنكرا في سترة قديمة يملكها رب البيت الذى كان غائبا في الحرب .

رانيـــا : (تنهض بعظمة ملحوظة) لقد جعلت منك حياتك في الثكنات انسانا بذيئا ياسيرجيوس . ماكنت اظن انك تردد مثل هذه القصة امامى . (تتحول عنـه ببرود) .

كاتريــن : (تنهض هى الأخرى) معها حق ياسيرجيوس . اذا كان هناك مثل هـاتين المرأتين فالواجب ألا نعلم عنهن شيئا .

بتكــوف : هراء ! وأى أهمية لـــذلك ؟

سير جيوس : (خجلا) لا يابتكوف : لقد اخطأت . (الى رانيا باستغفار صادق) أرجو المعذرة : كان هذا تصرفا بشعا من جانبي . لاتؤاخذيني يارانيا . (تنحـنى بتحفظ) . وأنت أيضا يا سيدتى . (كاترين تنحنى بتعطف وتجلس . يستطرد في الحديث مخاطبا رانيا) لقد جعل منى اطلاعى على جانب الحياة الاقل جمالا

خلال الاشهر القليلة الماضية انسانا ساخرا ولكن
كان من غير اللائق ان احضر سخريتي معي الى هنا،
لاسيما في حضورك يارانيا . انا . . (يتجه الى
الآخرين ويبدو للعيان انه يوشك ان يبدأ حديثاطويلا
ولكن الميجور يقاطعه) .

بتكوف : لغو وكلام فارغ يا سير جيوس ! هذه زوبعة في فنجان . ابنة محارب يجب ان تكون عندها القدرة على تحمل محادثة قصيرة جريئة دون ان يخدش حياؤها (ينهض) هيا : حان وقت العمل . علينا ان نفكر في وسيلة تعود بها السرايا الثلاث الى فيليبوبوليس : فليس في طريق صوفيا علف كاف لهم (يسير تجاه البيت) . هلم . (سيرجيوس يوشك ان يتبعه ولكن كاترين تقوم وتتدخل) .

كاترين : بول ، ألا تستطيع ان تستغنى عن سير جيوس دقائق؟ رانيا لم تره الا منذ لحظة . ربما استطعت انا ان اعينك في حل موضوع السرايا .

سير جيوس : (محتجا) مستحيل يا سيدتى العزيزة : انت . .

كاترين : (توقفه مداعبة) انت باق هنا يا عزيزى سيرجيوس لا داعى للعجلة . عندى كلمة او كلمتين اريد أن اقولهما لبول . (سير جيوس ينحنى على الفور ويتراجع) . والآن يا عزيزى (تأخذ ذراع بتكوف) تعال لترى الجرس الكهربى .

بتكوف : عظيم . عظيم .

(يسيران معا الى البيت في تعاطف . سيرجيوس،

وقد ترك وحده مع رانيا ، ينظر اليها في اشفاق خشية ان تكون لم تتخل بعد عن استيائها . يفترّ ثغرها عن ابتسامة وتمد له ذراعيها) .

سير جيوس : (يهرع اليها) هل صفحت عنى ؟

رانيا : (تضع يديها على كتفيه وهى تنظر اليه باعجاب وتقديس) يا بطلى ! يا ملكى !

سيرجيوس : يا ملكتى : (يقبلها في جبينها)

رانيا : كم حسدتك يا سيرجيوس ! لقد خرجت الى الدنيا ، في جبهة القتال . وبوسعك ان تثبت هناك انك جدير باى امرأة في العالم . بينما كان علىّ انا ان أجلس في البيت عاطلة . . غارقة في احلام . . عديمة النفع . . لا اصنع شيئا يمكن ان يخولنى الحق في اعتبار نفسى جديرة بأى رجل .

سير جيوس : يا أعز الناس : كل ما صنعته انا كان من أجلك. أنت ملهمتى . لقد خضت الحرب كفارس في حلبة تطل عليه سيدته من عليائها .

رانيا : وأنت لم تغب قط عن أفكارى لحظة واحدة . (برصانة بالغة) سير جيوس : اظن اننا نحن الاثنين قد وجدنا الحب الأسمى . انى حين أفكر فيك أشعر انى لن أقدر أبدا على فعل شيء وضيع او على الاسفاف في التفكير .

سير جيوس : يا سيدتى وقديستى ! (يضمها باجلال) .

رانيا : (تبادله العناق) يا سيدى ويا . .

: صه . صه ! دعيني أكن أنا العابد يا حبيبتي . ان أي رجل — بل وافضل رجل — لا يستحق حب فتاة طاهرة . هذا مالا تدركينه تماما .

: أنا أثق فيك واحبك . وأنت لن تخيب ظني ابـــدا يا سير جيوس . (تسمع لوكا وهي تغني في داخل البيت . ينفصـــلان بسرعـــة) . انا لا استطيـــع الانطلاق امامها على سجيتي فقلبي ينوء بعاطفـــة . تقبل لوكا من البيت بصينيتها . تسير الى المـــــائدة وتبدأ في ازالة ما عليها من أوان وظهرها اليهما) . سأحضر قبعتي وبعدها نستطيع ان نخرج حتى يحين وقت الغداء . ألا يسرك هذا ؟

: اسرعي . انك ان غبت خمس دقائق فستبدو خمس ساعات . (رانيا تعدو الى قمة الدرج وهناك تتلفت لتتبادل معه النظرات وترسل له قبلة بكلتا يديهـــا . يشيعها ببصره لحظة جائش الصدر ثم يتحول عنهـــا ببطء ووجهه يشع بنشوة عظمى . تنتقل هذه الحركة مجال نظره فيلحظ في ركنه ذيل إزار لوكا المزدوج. يسترعي انتباهه على الفور . يختلس اليها نظرة ويبدأ في برم شاربه بخبث ويده اليسرى على خاصرته من الخلف . واخيرا يضرب الأرض بعقبيه فيما يشبه زهو الخيالة ويسير الى جانب المائدة الآخـــر حتى يقف امامها ويسأل) لوكا : أتعرفين ما هو الحب الاسمى ؟

: (بدهشة) لا يا ســـيدي .

سير جيوس : شيء من المجهد ان نحتفظ به طويلا في نفس المستوى يا لوكا . الانسان يحس بعده بالحاجة الى شيء من الراحـــة .

لـــوكا : (ببراءة) ربما كنت ترغب في بعض القهوة يا سيدى (تمد يدها عبر المائدة لتتناول اناء القهوة) .

سير جيوس : (يأخذ يدها) شكرا يا لوكا .

لـــوكا : (تتظاهر بجذب يدها) سيدى . انت تعرف انني لم أعن ذلك . انا في دهشة من سيادتك .

سير جيوس : (يبتعد عن المائدة ويجذبها معه) وانا في دهشة من نفسي يا لوكا . ماذا يقول سير جيوس ، بطل سليفنترا ، عني إذا رآني الآن ؟ ماذا يقـــول سير جيوس . قديس الحب الاسمى . عني إذا رانى الآن ؟ ماذا يقول الاثنا عشر سير جيوس الذيـــن لا يكفون عن الظهور والاختفاء من هذا الوجـــه الوسيم — وجهي — لو انهم وجدونا هنا ؟ (يترك يدها ويطوق خصرها بذراعه ببراعة) هل تعتبرين وجهي وسيما يا لوكا ؟

لـــوكا : دعني أذهب يا سيدى . سيفصلونني من الخدمة . (تصارع للتخلص منه ولكنه يمسكها بيد من حديد). ارجو ان تتركني .

سيرجيوس : (يركز عينيه في عينيها) لا .

لـــوكا : اذن فقف الى الوراء حيث لا يمكن لاحد ان يرانا . أليس عندك ادراك ؟

سيرجيوس : هذا كلام معقول . (يأخذها الى طريق البوابة بفناء الاسطبل حيث يحتجبان عن البيت) .

لـــوكا : (شاكية) قد يكون احد من في البيت قد رآنى من نوافذه . انا على يقين من ان مس رانيا تتجسس عليك

سيرجيوس : (كمن لدغته حية . يرخى قبضته عنها) احذرى يا لوكا . قد اكون نذلا بحيث اخون حبا أسمى ، ولكن اياك ان توجهى اليه اهانة .

لـــوكا : (تتظاهر بالادب) لم يخطر لى ذلك على بال ياسيدى. والآن هل تسمح لى بمواصلة عملى ؟

سيرجيوس : (يحيطها بذراعه من جديد) انت عفريتة صغيرة شقية ، يالوكا . اذا كنت واقعة في غرامى هـــل تتجسسين علىّ من النوافذ ؟

لـــوكا : الحقيقة ياسيدى : مادمت تقول انك اثناعشر سيدا مختلفا في نفس الوقت ، فسيكون علىّ أن افتح عينىّ جيـــدا .

سيرجيوس : (مسحورا) لست جميلة وحسب ولكن خفيفة الظل (يحاول ان يقبلها) .

لـــوكا : (تتحاشاه) : لا أريد قبلاتك . الطبقة الراقية كلها واحد : انت تغازلنى خلف ظهر مس رانيا ، وهى تفعل نفس الشيء خلف ظهرك .

سيرجيوس : (يتراجع خطوة) لوكا !

لـــوكا : هذا يدل على ان الامر لايهمك كثيرا .

سيرجيوس : (يعدل عن مباسطته ويتكلم بتأدب يبعث القشعريرة)

اذا كان لحديثنا يالوكا ان يستمر فأرجو ان تتذكرى ان أى جنتلمان لايناقش سلوك الفتاة التى عقد عليها خطبته مع خادمتها .

لــوكا : من أشق الأمور ان يعرف الانسان ماهو الصواب في عرف اى جنتلمان . لقد توهمت حين حاولت تقبيلى انك قد تخيلت عن مثل هذا التشدد .

سيرجيوس : (يتحول عنها ويضرب جبهته وهو يعود الىالحديقة من طريق البوابة) انت شيطانة ! شيطانة !

لــوكا : ها ! هــا ! أظن أن واحدا من شخصياتك الست يشبهنى كثيرا يا سيدى رغم انى لست الا خادمة مس رانيا . (تعود لعملها في المائدة دون ان تعيره التفاتا).

سيرجيوس : (يخاطب نفسه) اى الشخصيات الست هى الرجل الحقيقى ؟ هذا هو السؤال الذى يعذبنى . ان احدهم بطل ، واحدهم مهرج ، واحدهم دجال ،واحدهم لعل فيه شيئا من صفات الوغد . (يتوقف وينظر خلسة الى لوكا ، مضيفا بمرارة عميقة) وواحد ، على الاقل ، جبان : غيور ككافة الجبناء . (يذهب الى المائدة) لوكا .

لــوكا : نعــم ؟

سير جيوس : من هو منافسى ؟

لــوكا : لن تحصل منى على جواب مهما كان الثمن .

سير جيوس : لمــــاذا ؟

لــوكا : لا يهم لماذا . ثم انك ستقول انى اخبرتك وتكون النتيجة ان افقد وظيفــتى .

سير جيوس : (يرفع يده اليمنى مؤكدا) لا ! أقسم لك بشرف . (يراجع نفسه وتهوى يده مع ذلك وهو يكمل جملته في سخرية) . . رجل قادر على التصرف بالطريقة التى كنت اتصرف بها خلال الدقائق الخمس الماضية. من هو ؟

لوكا : لا أدرى . انا لم أره قط . سمعت فقط صوته من خلال باب غرفتها .

سير جيوس : اللعنة . كيف سمحت لنفسك ؟

لوكا : (تتراجع) لم اقصد سوءا : ليس من حقك ان تؤول كلامى على هذا النحو . سيدتى تعلم كل شيء عن هذا الموضوع . وانا أقول لك ان ذلك السيد إذا جاء هنا ثانية فان مس رانيا ستتزوجه ، رضى ام لم يرض انا أعرف الفرق بين نوع السلوك الذى تسلكه انت وهى امام بعضكما البعض وبين السلوك الحقيقى .

(سيرجيوس يرتعد كما لو كانت قد طعنته ثم يسير اليها متجهما ويمسكها بكلتا يديه فوق المرفقين) .

سير جيوس : الآن استمعى الى .

لوكا : (تجفل) خفف قبضتك : أنت توجعنى .

سير جيوس : لا يهم . لقد لطخت شرفي باشراكى في تسمعك كما انك خنت سيدتك .

لوكا : (تتلوى) أرجوك . .

سير جيوس : وهذا يدل على انك كتلة صغيرة مقيتة من الطين الوضيع بروح خادمة (يخلى سبيلها كما لو كانت

شيئا غير نظيف ويتحول عنها . وهو ينفض يديه ، الى الدكة القريبة من الحائط ويجلس عليها حانيـــا رأسه في تفكر ووجوم)

: (تنشج بغضب ويداها تحت كميها تتحسس ذراعيها المحزوزتين) انت تعرف كيف تؤذى بلسانك كما تؤذى بيديك . ولكن هذا لم يعد يهمنى بعد انا اتضح لى انه مهما يكن نوع الطين الذى صنعت منه انا فقد صنعت انت مـن نفس مادته . اما هى فكـذوب والمظهر الراقي الذى نظهر به غش وخداع وانـا أساوى ستامن أمثالها . (تتحمل ألمها بتجلد وترفع رأسها بحدة ثم تأخذ في وضع الاشياء على الصينية) .

(ينظر اليها في شك . تنتهى من رمى الأوانى على الصينية ثم تطوى المفرش من اطرافه لتحمله مـع الصينية . عندما تنحنى لترفعه ينهض) .

: لوكا ؟ (تقف وتنظر اليه بتحد) . ما من رجـل يملك الحق في جرح شعور امرأة ما تحت أى ظرف من الظروف . (يحسر رأسه في تأسف عميق) أرجو ان تصفحى عنى .

: هذا النوع من الاعتذار قد يرضى سيدة . ما جدواه بالنسبة لخادمـة ؟

: (وقد اوذيت شهامته بقسوة ، يطرح الشهامة جانبا بضحكة مرة ويقول باستخفاف) فهمت. تريدين ان أدفع لك ثمن الألم الذى سببته لك ؟ (يعيد وضع قبعته العسكرية على رأسه ويخرج نقودا من جيبه) .

لـوكا : (وعيناها تغرورقان بالدموع بالرغم منها) لا : بل أريد تعويضا عن هذا الالم .

سير جيبوس : (وقد افاق على نبرتها) كيف .

(تطوى كمها الايسر الى أعلى وتقبض على ذراعها بابهام واصابع يدها اليمنى وتنظر الى الحزة ثم ترفع رأسها وتركز فيه عينيها ، واخيرا تقدم له ذراعها بحركة رائعة ليقبلها . ينظر اليها والى الذراع ثم اليها ثانية وهو مأخوذ . يتردد ثم يهتف بحدة مرتعشة « ابدا ! » ويبتعد عنها بأكثر مسافة يستطيعها .)

(يسقط ذراعها . تأخذ صينيتها دون ان تنبس بكلمة وباحترام غير منقوص تقترب من البيت على حين تعود رانيا وهي ترتدى قبعة وجاكتة من آخر طراز ظهرت في فيينا في العام السابق اى سنة ١٨٨٥ . لوكا تخلى لها الطريق بكبرياء ثم تسير الى داخل البيت)

رانيا : انا جاهزة . ماذا حدث ؟ (بمرح) هل كنت تغازل لوكا ؟

سير جيبوس : (بسرعة) لا . لا . كيف يمكن ان يخطر مثل ذلك على بالك ؟

رانيا : (تخجل من نفسها) لاتؤاخذنى يا عزيزى : كنت امازحك فقط . انا اليوم في شدة السعادة .

(يهرع اليها ويقبل يدها وضميره يؤنبه . كاترين تظهر وتناديهما من قمة السلالم) .

كاترين : (تنزل اليهما) آسفة لا زعاجكما أيها الطفلان ولكن بول يكاد يجن بشأن تلك الفرق الثلاث . انه لايدرى

كيف يبعث بها الى فيليبوبوليس ويعترض على كل اقتراح ادلى بـــه . اذهب وساعده يا سير جيوس . ستجده في المكتبـــة .

رانيـــا : (كاسفة) ولكننا على وشك ان نخرج لنزهة عـــلى الأقـــدام .

سير جيوس : لن أتأخر عليك . انتظريني خمس دقائق . (يصعد السلالم عدوا الى الباب) .

رانيـــا : (تتبعه الى بسطة السلالم وترفـــع بصرهـــا اليه بدلال وحياء) سأذهب وانتظر على مرأى من نوافـــــذ المكتبة . الفت انتباه ابى الى وجودى . وإذا تأخرت لحظة واحدة عن خمس دقائق فسأذهب الى المكتبة واحضرك سواء كانت هناك فرق او لم تكن .

سير جيوس : (يضحك) سمعا وطاعة . (يدخـــل) .

(رانيا تراقبه حتى يغيب عن نظرها ثم تبدأ – وقد استرخت حركاتها بشكل ملحوظ – في السير ذهابا وايابا في الحديقة شاردة الذهن .)

كاتريـــن : تصورى مقابلتهم لذلك السويسرى وسماعهم للقصة بحذافيرها ! أول شيء سأل عنه أبوك كان الســـترة القديمة التي البسناها له قبل رحيله . ياله من مـــأزق ذلك الذى اوقعتنا فيه !

رانيـــا : (تحملق بتفكر في الحصى وهى تسير) البهيم !

كاتريـــن : البهيم ! أى بهـــيم ؟

رانيـــا : يروح ويحكى الحكاية ! أقسم لو وقع تحت يـــدى

لحشوت فمه بكريمة الشوكلاته حتى يفقد القدرة على النطـــق .

كاتريـــن : كفى عن هذا الهزر . خبريني بالحقيقة يارانيا . كم من الوقت أمضى في حجرتك قبل أن تأتى الى ؟

رانيـــا : (تدور على عقبيها وتبدأ السير من جديد في الاتجاه المضاد) نسيت .

كاتريـــن : لا يمكن ان تنسى ! هل حقيقة انه تسلق الىحجرتك بعد ان انصرف الجنود ام انه كان هناك حين فتش ذلك الضابط الحجرة ؟

رانيـــا : لا . نعم : لابد ـ فيما أظن ـ انه كان هناك حينئذ.

كاتريـــن : تظنين! لايا رانيا ! لا ! ألا يمكن لشيء ما ان يحملك على الصدق ؟ إذا اكتشف سير جيوس الأمـــــر فسيكون في ذلك نهاية ما بينكما .

رانيـــا : (بصفاقة ودون انفعال) انا أعرف ان سير جيوس موضع رعايتك . وانا أحيانا أتمنى لو تزوجته بدلا مني . أنت تناسبينه تماما . ولو تزوجته لدللته وغمرته بعطفك وحدبت عليه كل الحدب .

كاتريـــن : (تفتح عينيها على سعتهما) ما هذا الذى تقولين !

رانيـــا : (بنزوة وكأنها تحدث نفسها) دائما ما تنتابنى رغبة شديدة في أن أفعل او أقول له شيئا فظيعا . . في ان أخـــرج عـــلى ما يعتـــبره من قواعـــد اللياقة واظل اصدم حواسه الخمس حتى اقضى عليها (الى كاترين ، بلهجة شريرة) أنا لا يهمنى كونه

— يكتشف موضـــوع عسكرى كريمة الشوكلاته اولا يكتشفه ، بل انني اكاد أتمنى ان يكتشـــفه .
(تدور على عقبيها ثانية وتسير في استهتار صاعدة في الممر الى ركن البيت) .

كاتريـــن : وماذا — لو سمحت — أقول لا بيك ؟

رانيـــا : (من فوق منكبها وهى في قمة درجتين من درجات السلم) مسكين أبي ! كما لو كان قادرا على شيء من أمره ! (تدور حول ركن البيت وتختفى عن الانظار)

كاتريـــن : (تتبعها ببصرها وهى تعض أصابعها من الغيظ) آه لو كنت أصغر بعشر سنوات ! (لوكا تأتى من البيت بصينية تحملها وهى مـــدلاة بجوارها) .
ماذا تريدين ؟

لـــوكا : هناك سيد وصل منذ لحظة . ضابط صربي .

كاترين : (تستشيط) صربي ! وكيف يجرؤ . . (تراجع نفسها بمرارة) آه لقد نسيت .
نحن الآن في وقت السلم . أظن أنهم سيأتون يوميا ليقدموا ألوان المجاملة . ولكن : اذا كان الطارق ضابطا فلماذا لاتخبرين سيدك . هو في المكتب مع الميجور سارانوف . فيم مجيئك اليّ ؟

لـــوكا : ولكن سأل عنك ياسيدتي . ولا أظن انه يعرف من تكونين : لقد طلب ربة البيت .
واعطاني هذه البطاقة لك . (تأخذ بطاقة من صدرها وتضعها على الصينية وتقدمها لكاترين) .

كاتريـــن : (تقرأ) « الكابتن بلنتشلى » هذا اسم ألماني.

لـــوكا : سويسرى ، ياسيدتي ، فيماأظن .

كاتريـــن : (بوثبة تجعل لوكا تقفز الى الوراء) سويسرى ! صفيه لي .

لوكا : (بحياء) انه يحمل حقيبة كبيرة من القماش ياسيدتي .

كاتريـــن : ايتها السماوات ! لقد جاء ليعيد السترة . اصرفيه : قولي اننا لسنا في البيت . اطلبي منه ان يترك عنوانه وسأكتب له . رويدك : لن ينفع ذلك . انتظرى ! (تلقى بنفسها على كرسي لتفكر في مخرج . لوكا تنتظر) . سيدك والرائد سارانوف مشغولان في المكتبة . أليس كذلك ؟

لـــوكا : نعم ياسيـــدتي .

كاتريـــن : (بلهجة حاسمة) احضرى السيد الى هنا حالا . (بامارة) وراعى معه منتهى الادب . أسرعى ؛ اسمعى (تخطف منها الصينية بعصبية) اتركى هذه هنا وعودى اليه رأسا .

لـــوكا : حاضر ياسيدتي (تذهب) .

كاتريـــن : لـــوكا !

لـــوكا : (تتوقف) نعم ياسيدتي .

كاتريـــن : هل باب المكتبة مغلق ؟

لـــوكا : أظن ذلك ياسيدتي .

كاتريـــن : اذا لم يكن مغلقا فاغلقيه وانت مارة .

لـــوكا : حاضر ياسيدتي (تذهب) .

: انتظرى ! (لوكا تتوقف) . سيكون عليه ان يمـــر من هناك (تشير الى بوابة فناء الاسطبل) قولي لنيقولا ان يحضر حقيبته الى هنا وراءه . لاتنسى .

: (باستغراب) حقيبتـــه ؟

: أجل : هنا : وبأسرع ما يمكن . (بقوة) أسرعى ! (لوكا تجرى إلى داخل البيت كاترين تخلع مريلتها خطفا وترميها خلف احدى الشجيرات ، ثم تأخذ الصينية وتستخدمها كمرآة وتكون النتيجة أن يلحق المنديل الملفوف حول رأسها المريلة . لمسة لشعرها وهزة لملابسها تعطيانها مظهرا مقبولا) ولكن كيف ؟ كيف يستطيع رجل أن يقدم على مثل هذه الحماقة ! وان يختار هذه اللحظة بالذات ! (لوكا تظهر لدى باب البيت وتعلن « الكابتن بلنتشلى » تقف جانبا عند قمة السلالم ليمر قبل أن تدخل البيت ثانية . القادم هو رجل مغامرة منتصف الليل في غرفة رانيا ، وهو الآن نظيف ليس عليه ذرة من غبار ، حسن البزة ، لا يشغله شيء ، ولكنه لايزال نفس الرجل بما لايدع مجالا للبس . وفي اللحظة التى تدير لوكا فيها ظهرها تهجم كاترين عليه وفي صوتها رجاء جياش ملح معابث) . كابتن بلنتشلى : انا جد سعيدة برؤيتك ولكنك يجب أن تغادر هذا البيت حالا . (يرفع حاجبيه) . لقـــد رجـــع زوجى لتـــوه مـــع زوج ابنتى المقبـــل ، وهما يجهـــلان كل شيء وإذا بلغهما شيء فستكون

العواقب وخيمة . انت غريب ولا تحس بعدائنا الوطني كما نحس نحن به . اننا مازلنا نكره الصربيين : وكل ما احدثه السلام على زوجي من أثر هو انه جعله يشعر شعور الاسد الذى ضيعت عليه فريسته ، وإذا اكتشف سرنا فلن يصفح عنى ابدا ولن تكون حياة ابنتي آمنة كل الامان . هل تسمح اذن كرجل كريم وجندى — وانك لكذلك — بالانصراف فورا قبل أن يكتشف وجودك هنا ؟

بلنتشلى : (خائب الرجاء ولكن بفلسفة) فورا ياسيدتى الفاضلة . كل ما جئت من أجله هوان اشكرك وأن أعيد السترة التى اعرتنى اياها . وإذا أذنت لى باخراجها من حقيبتى وبتركها مع خادمتك وأنا خارج فلن احتجزك أكثر من هذا. (يستدير ليذهب إلى البيت) .

كاترين : (تمسكه من كمه) لا ينبغى أن تخرج من هذه الناحية . (تدفعه ملاطفة إلى بوابات الاسطبل) هذا هو أقصر طريق للخروج . شكرا جزيلا . أنا عظيمة السرور لانى اسديت لك معروفا . إلى اللقاء .

بلنتشلى : ولكن حقيبتى ؟

كاترين : سترسل لك . اترك لى عنوانك .

بلنتشلى : صحيح . اسمحى لى . (يخرج محفظته ويتوقف ليسطر عنوانه وكاترين تنتظر خروجه على أحر من الجمر . بينما يسلمها البطاقة يندفع بتكوف من

البيت . وقد حسر عن رأسه ، عبارات الترحيب تتدافع على لسانه . وخلفه سيرجيوس) .

بتكوف : (وهو يهرع نازلا على السلالم) يا عزيزى الكابتن بلنتشلى . .

كاترين : يارب السماء ! (تتهاوى على مقعد ملاصق للجدار) .

بتكوف : (لا يفطن اليها في انشغاله بمصافحة بلنتشلى بمودة) أولئك الخدم الاغبياء ظنوا انى هنا بدلا من – إحم ! – المكتبة (لا يملك نفسه إذا جاء ذكر المكتبة على لسانه من اظهاره مدى افتخاره بها) . لقد رأيتك من خلال النافذة وكنت اتساءل لماذا لم تدخل . سارانوف معى : ألا تذكره ؟

سيرجيوس : (يحييه ضاحكا ثم يمد اليه يده بحركة في غايةمن الدماثة) مرحبا بصديقنا العدو !

بتكوف : لم يعد عدوا لحسن الحظ . (بنبرة اقرب الى القلق) أرجو أن تكون زيارتك زيارة صديق والا يكون لها علاقة بتلك الخيل وأولئك الجنود .

كاترين : زيارة صديق وحسب يابول . لقد كنت منذ لحظة اسأل الكابتن بلنتشلى ان يبقى معنا على الغداء ولكنه قال انه مضطر للانصراف فورا .

سيرجيوس : (متهكما) يستحيل يا بلنتشلى . نحن في أشدالاحتياج اليك . ان علينا أن نوفد ثلاث فرق من سلاح الفرسان إلى فيليبوبوليس وليس لدينا أى فكرة عن كيفية ارسالها .

بلنتشلى : (يظهر عليه بغتة اهتمام رجل الاعمال) فيليبوبوليس ؟ لعل المشكل هو شكل العلف .

بتكوف : (بلهفة) نعم : بالضبط – (إلى سيرجيوس) انه يفهمها وهى طائرة .

بلنتشلى : أعتقد أن في وسعى ارشادك إلى طريقة لتدبير هذا الأمر .

سيرجيوس : أيها الرجل الذى لايقدر بثمن . تعال معنا ! (يضع يده على كتفه وهو يبدو أمامه كالطود ، ويصحبه الى السلالم وبتكوف وراءهما) .

(رانيا تخرج من البيت في اللحظة التى يضع فيها بلنتشلى قدمه على أول سلم)

رانيا : من : جندى كريمة الشوكلاته !

(بلنتشلى يقف متصلبا ، سرجيوس في دهشة ينظر الى رانيا ثم الى بتكوف الذى يبادله النظرة ثم يعود بنظره الى زوجته .

كاترين : (بحضور ذهن حاسم) رانيا ياحبيبتي ، ألا ترين ان لدينا ضيفا هنا ؟ الكابتن بلنتشلى : احد اصدقائنا الصربين الجدد .

(رانيا تنحنى : ينحنى بلنتشلى .)

رانيا : يالغبائي ! (تتقدم الى وسط المجموعة بين بلنتشلى

وبتكوف) . لقد اعددت هذا الصباح حلية جميلة « الفالوذج » المثلج ولكن الغبي نيوقولا وضع عليها كومة من الاطباق وأتلفها (الى بلنتشلى بتودد) ارجو الا يكون قد جال بذهنك ياكابتن بلنتشلى انك المقصود بجندى كريمة الشوكلاته .

بلنتشلى (ضاحكا) اؤكد لك انى ظننت ذلك . (يختلس اليها نظرة غريبة) وقد طيب شرحك خاطرى

بتكـــوف (في شك الى رانيا) ومنذ متى من فضلك بدأت عندك عادة الطهى ؟

كاتريـــن : في الفترة التى كنت غائبا فيها . هذه هي آخر « تقليعة » لها .

بتكـــوف : (حانقا) وهل ادمن نيقولا معاقرة الخمر ؟ لقـــد عهدناه حسن التصرف . فهو اولا يدخل الكابـــتن بلنتشلى الى هنا وهو يعلم تماما انى كنت في المكتبة، ثم هو ينزل الى المطبخ ويحطم جندى الشوكلاتهالذى صنعته رانيا . لابد انه . . (يظهر نيقولا على قمـــة السلالم بالحقيبة . ينزل السلالم . يضع الحقيبة باحترام امام بلنتشلى وينتظر اى اوامر أخرى .دهشة عامة . نيقولا لا يتنبه الى التأثير الذى احدثه،ويبدو عليـــه الرضاء التام عن نفسه . حين يسترد بتكوف قدرته

على الكلام ينفجر فيه صائحا) هل جننت يا نيقولا ؟

نيقـــولا : (مذهولا) سيدى ؟

بتكـــوف : ما الذى جعلك تحضر هذه الحقيبة ؟

نيقـــولا : اوامر سيدتى ياسيادة الميجور . لقد اخبرتنى لوكا ان . . .

كاتريـــن : (تقاطعه) اوامرى ! وما الذى يجعلنى آمرك باحضار متاع الكابتن بلنتشلى الى هنا ؟ ما الذى جرى لعقلك يا نيقـــولا ؟

نيقـــولا : (بعد حيرة تستمر لحظة يلتقط الحقيبة وهو يخاطب بلنتشلى بلباقة الخادم التى بلغت حد الكمـــــال) لاتؤاخذنى يا سيدى الكابتن . (الى كاترين) غلطة منى يا سيدتى : أرجو اغتفارها لى . (ينحنى ويهم بالسير الى السلالم بالحقيبة وإذا بتكوف يصرخ فيه)

بتكـــوف : اذهب والق بتلك الحقيبة ايضا على الفالوذج المثلـــج الذى صنعته مس رانيا ! (لا تتحمل أعصاب نيقولا كل هذا . تسقط الحقيبة من يـــده وتكاد تدهس اصابع قدم سيده فينفجر فيـــه صائحا) اغرب عن وجهى ايها الحمار ذو اصابع من زبدة .

نيقـــولا : (يلتقط الحقيبة خطفا ويفر الى البيت) أمرك ياسيدى الميجـــور .

كاتريـــن : هدئ نفسك يا بول ودعك من الغضب .

بتكـــوف : (في نوبة هياج) الوغد ! لقد أفلت زمامه في غيابى سألقنه درسا . السافل المنحط ! سأفصله من الخدمة

يوم السبت القادم واطهر منه البيت باكمله . .
(تختنق الجملة تحت لمسات زوجته وابنته اللتين تتعلقان برقبته وهما تدللانه) .

كاترين ورانيا : لا ، لا ، لا . لا تغضب . انه لم يقصد اساءة . وو ، وو ، وو : لا تفعل ذلك في يوم عودتك كن لطيفا من أجل خاطرى أيها العزيز . صه ، صه ، صه ، صه !

الى البيت . سأصنع فالوذج مثلجا آخر . كفى ، كفى ، كفى !

بتكوف : (يستسلم) حسنا : قد صفحت . هيا يا بلنتشلى : كفانا هراء بشأن رحيلك . أنت تعلم تماما انك لن تعود الى سويسرا بعد . وحتى يحين موعد عودتك فستبقى عندنا .

رانيا : ارجوك ان تبقى يا كابتن بلنتشلى .

بتكوف : (الى كاترين) وأنت يا كاترين . إذا كان هناك أحد يخشاه فهو أنت . اضغطى عليه وسيبقى .

كاترين : سأشعر طبعا بسعادة عظيمة حقا إذا كان (بتوسل) الكابتن بلنتشلى يريد حقيقة ان يبقى . انه يعرف رغباتى

بلنتشلى : (في أخشن لهجة عسكرية يملكها) انا في خدمة سيدتى .

سير جيوس : (بمودة) هذا يسوى المسألة .

بتكوف : (من قلبه) قطعا !

رانيا : أرأيت. لابد أن تبقى .

بلنتشـــلى : (مبتسما) إذا لم يكن من ذلك مناص فليس لى ان اختـــار .

(تصدر من كاترين اشارة يأس .)

* * *

الفصل الثالث

في المكتبة بعد الغداء . هى ليست مكتبة بمعنى الكلمة ، فتجهيزها الأدبى يتكون من رف واحد ثابت حشدت عليه روايات قديمة رخيصة وتكسر غلافها الورقي وسكبت عليهـا القهوة فلطختها ، تمزقت وثنيت صفحاتها ، ومن رفين معلقين صغيرين عليهما عدد قليل من الكتب ذات الطبعـة الفاخرة من النوع الذى يقـدم كهدية : أما بقية فراغ الحائط فتحتلها تذكارات الحرب والصيد . ولكنها حجرة جلوس مريحة للغاية ، ففيها صف من ثلاث نوافذ كبيرة وتكشف عن منظر جبلى يتبدى في هذه اللحظة بالذات وفي ضوء العصر الوانى ، في حلة من أرق حلله وفي الركن المجاور للنافذة اليمنى ترتفع مدفأة مربعة من الخزف تكاد تصل إلى السقف كبرج من الفخار اللامع وتضمن دفئا كثيرا . والديوان العثمانى يشبه ذلك الموجود في حجرة رانيا وهو موضوع في مثل مكانها . أما مقاعد النوافذ فهى فاخرة بوسائدها المزركشة . شيء واحد يبدو متنافر مع بقية ما يحيط به بشكل صارخ ، وهو مائدة مطبخ صغيرة في حالة سيئة من البلى تستخدم كمائدة كتابة وعليها علبة قديمة من الصفيح ملأى بالاقلام وآنية بيض في شكل فناجين ملأى بالحبر وقطعة من ورق النشاف الوردى في حالة يرثى لها من كثرة الاستعمال .

وإلى جانب هذه المائدة التى تقع إلى يسار أى شخص يواجه النافذة يرى بلنتشلى مكبا عل العمل وأمامه خريطتان وهو يكتب أوامر .

وعند رأس المائدة يجلس سيرجيوس المفروض أن يكون سيرجيوس هو الآخر منهكا من العمل . ولكن الواقع انه يمضغ بأسنانه ريشة القلم ويتأمل بلنتشلى وهو ينجز عمله في جدية وسرعة وثقة بالنفس ، بمزيج من الحسد والضيق لعجزه هو ومن العجب والرهبة لقدرة تبدو له كالمعجزات رغم أن طبيعتها التى لاتمت إلى القيم العليا بصلة تمنعه من احترامها . السيد الميجور يجلس آخذا راحته على الديوان العثمانى وفي يده صحيفة ، وخرطوم نارجيلته في متناول يده . كاترين جالسة إلى المدفأة وظهرها اليهم وهى تطرز . رانيا تحملق ، وهى مائلة على الديوان ، في حلم من أحلام اليقظة ، في المنظر الطبيعى البلقانى ورواية مهملة في حجرها .

الباب يقع في نفس الجانب الذى تقوم فيه المدفأة ، بعيدا عن النافذة . زر الجرس الكهربى في الجانب المقابل ، خلف بلنتشلى .

بتكـــوف : (يرفع رأسه من صحيفته ليطلع على مجريات الأمور على المائدة) هل أنت واثق أنك لست بحاجة إلى أى مساعدة منى يا بلنتشلى ؟

بلنتشـــلى : (دون ان يقطع كتابته أو يرفع رأسه) كل الثقة . شكرا لك . سارانوف وأنا سنقوم باللازم .

سيرجيوس : (متجهما) نعم : سنقوم باللازم . هو يحدد مايجب عمله ويكتب الاوامر ، وانا اوقعها . تقسيم العمل . (بلنتشلى يناوله ورقة) . واحدة أخرى ؟ متشكر : (يضع الورقة امامه بالعرض ثم يضع كرسيه بعناية في وضع محاذ لها ويوقع بامضائه وخده على مرفقه ولسانه البارز يتبع حركة القلم) . هذه اليد تعودت على السيف أكثر مما تعودت على القلم .

بتكــوف : كرم كبير منك يابلنتشلي في الحقيقة ان تتركنا نثقل عليك بهذا الشكل.هل أنت متأكد تماما انني لااستطيع أن أفعل شيئا .

كاتريــن : (في لهجة تحذير منخفضة)تستطيع ان تكف عن مقاطعته يابول .

بتكــوف : (يفاجأ ويحول بصره اليها) ماذا ؟ آه ! حسنا ياحبيبتى : حسنا . (يأخذ صحيفته ثانية ولكنه لا يلبث ان يتركها تسقط) أنت لم تشتركي في الحرب ياكاترين : انت لاتعرفين مدى المتعة التي نجدها في الجلوس هنا بعد غداء شهي وكل ماعلينا ان نفعله هو ان نروح عن انفسنا . شيء واحد ينقصنى لأشعر براحة تامة .

كاتريــن : ماهو ياتــرى ؟

بتكــوف : سترتي القديمة . أنا لاأحس وانا ارتدى سترتي هذه انني في بيتي بل احس انني في استعراض .

كاتريــن : ياعزيزى بول ، ماأسخف حديثك عن تلك السترة القديمة! لابدأنها معلقة في الدولاب الازرق الذى تركتها فيه .

بتكــوف : ياعزيزتي كاترين، سبق ان أخبرتك انني بحثت عنها فيه . هل المفروض ان أصدق عيني أو ألا أصدقها ؟ (كاترين تنهض وتعبر الغرفة لتضغط زر الجرس الكهربي) . لماذا تشيرين الى ذلك الجرس ؟ (تنظر اليه في عظمة ثم تعود الى كرسيها والى شغل ابرتها في صمت) . ياعزيزتي :

اذا كنت تتوهمين ان عناد بنات جنسك يستطيع ان يقلب ثوبين من ثياب رانيا القديمة ومعطفك الواقي من المطر ومعطفي الى سترة فأنت مخطئة . هذه الملابس هي بالضبط محتويات الدولاب في الوقت الحاضر .

(يحضر نيقولا)

كاتريـــن : نيقولا : اذهب الى الدولاب الازرق واحضر سترة سيدك القديمة : السترة المزركشة بشريط التي يرتديها في البيت .

نيقولا : أمر سيدتي . (يخرج)

بتكـــوف : كاتريـــن .

كاتريـــن : نعم يابول .

بتكـــوف : اراهنك على أى قطعة مجوهرات تحبين أن تطلبيها من صوفيا مقابل مصروف البيت لمدة اسبوع ان السترة ليست هناك .

كاتـــرين : اتفقنا يا بول !

بتكـــوف : (ينشط لاحتمالات المقامرة) هه : هذه فرصة لمن يريد اللعب . من يراهن ؟ بلنتشلى : أعطيك ستة لواحد .

بلنتشـــلى : (دون أن يظهر عليه أى أثر للانفعال) لو فعلت ياسيدى الميجور فكأنى سرقتك المؤكد أن السيدة على حق (يناول سيرجيوس) فرخا آخر من الورق دون أن يرفع بصره) .

سيرجيوس : (متحفزا هو الآخر) تحيا سويسرا ! سيدى الميجور : اراهن على أفضل فرس عندى مقابل فرس عربية لرانيا أن نيقولا سيجد السترة في الدولاب الازرق .

بتكــوف : (بلهفة) أفضل فرس عند . . .

كاتــرين : (تقاطعه على عجل) لا تكن أحمق يابول . ثمن الفرس العربية يصل إلى ٥٠٠٠٠ ليفــا .

رانيــا : (تفيق فجأة من سهومها المستغرق في المناظر الجميلة) لا يا أمي . إذا كنت أنت ستحصلين على المجوهرات فانا لا أرى داعيا لتستكثرى على الفرس العربية .

(نيقولا يعود بالسترة ويقدمها لبتكوف الذى لا يكاد يصدق عينيــه) .

كاتــرين : أين كانت يا نيقــولا ؟

نيقــولا : كانت معلقة في الدولاب الأزرق ياسيدتى .

بتكــوف : اذن علىّ الله ..

كاتــرين : (تستوقفه) بول !

بتكــوف : لو طلب منى أن اقسم لاقسمت انها ليست هناك . لقد بدأت اعراض السن تظهر علىّ – بدأت أخرف (الى نيقولا) تعال ساعدنى في تغيير السترة . معذرة يا بلنتشلى . (يبدأ في خلع سترة وارتداء أخرى ونيقولا يقوم بــدور الخادم الخصوصى تذكر) ياسيرجيوس : أنا لم أقبل الرهان الذى عرضته .

وخير لك أن تهدى تلك الفرس العربية إلى رانيا انت نفسك مادمت قد طمعتها فيها . اليس كذلك يارانيا ؟ (ينظر ناحيتها ولكنها تعود إلى هيامها بالمنظر الطبيعى . يشير لهم اليها بفورة من الحنان الابوى والفخر) انها تحلم ، كعادتها .

سيرجيوس : بالتأكيد لانها لن تكون الخاسرة .

بتكــوف : أحسن لها . أما أنا فانى اتوقع الا تكون خسارتى هينة . (انتهت الآن عملية الاستبدال . يخرج نيقولا بالسترة المخلوعة) . أخيرا . أنا الآن اشعر اننى في بيتى . (يجلس ويأخذ صحيفته وهو يتنفس الصعداء) .

بلنتشــلى : (الى سيرجيوس وهو يسلم ورقة) هذا هو آخر الاوامر .

بتكــوف : (يثب واقفا) ماذا ! انتهيت ؟

بلنتشــلى : انتهيــت .

بتكــوف : (بحسد صبيانى) أليس لديك شيء أوقعه أنا ؟

بلنتشــلى : لا ضرورة لذلك . توقيعه سيكفى .

بتكــوف : (ينفخ صدره ويضربه بقبضته) حسنا . اعتقد اننا قمنا اليوم بعمل عظيم حداً . هل هناك شيء آخــر استطيع أن أقوم به .

بلنتشــلى : يجدر بكما انتما الاثنين ان تريا الرفاق الذين سيكون عليهم ان يأخذوا هذه . (سيرجيوس ينهض) ابعث بهم على الفور وبين لهم اننى أشرت على الاوامــر

بالوقت الذى يجب عليهم ان يسلموها فيه . وقــل لهم انهــم لو توقفوا للشرب او للكلام الفارغ . . . لو تأخروا خمس دقائق ، فستسلخ جلود ظهورهم.

سير جيوس : (بلهجة جافة وفي استنكار) سأقول ذلك . (يسير الى الباب) وإذا كان واحد منهم من الرجولة بحيث يبصق في وجهى لاهانته فسأدفع مكافأة خدمتــــه واعطيه معاشا . (يخرج) .

بلنتشــلى : (في سرية) أرجو ان تتأكد يا سيدى الميجـــور – إذا سمحت – من انه سيخاطبهم كما يجب .

بتكــوف : (بسذاجة) في محله يا بلنتشلى ، في محله . سأتحرى ذلك . (يسير نحو الباب شاعرا بأهميته ولكنه يتردد على عتبته) . كاترين . ربمــا كان من المناسب ان تحضرى انت أيضا . فسيهابونك اكثر منى بكثير .

كاتريــن : (تضع شغل الابرة بجوارها) أظن ان ذلك فعــلا أفضل فانك ستكتفى بالتأتاه ولن تفصح . (تخــرج ويمسك لها بتكوف الباب ثم يتبعها) .

بلنتشــلى : يا له من جيش : يصنعون المدافع من اشجار الكرز ، وضباطهم يستدعون حريمهم للمحافظة على الضبط والربط ! (يبدأ في طى الورق وتلخيص فحوى كل ورقة على ظهرها) .

(رانيا ، التى نهضت من الديوان ، تذرع الغرفة ويداها مشبوكتان خلف ظهرها وتنظر اليه في شقاوة)

رانيــا : أنت تبدو ألطف بصورة متناهية مما كنت في آخر

لقاء لنا . (يرفع بصره باستغراب) ماذا فعلت بنفسك ؟

بلنتشلى : اغتسلت ، وازلت التراب بالفرشاة ، ونمت الليل نوما هادئا وتناولت الافطار . هذا كل ما هناك .

رانيا : هل عدت بأمان في ذلك الصباح ؟

بلنتشلى : غاية الأمان . شكرا .

رانيا : هل غضبوا منك لفرارك من هجوم سير جيوس ؟

بلنتشلى : (بابتسامة عريضة) لا : لقد سروا بذلك ، لأنهم هم انفسهم لو كانوا مكانى لولوا الادبار .

رانيا : (تسير الى المائدة وتنحنى عليها في مواجهته) لابد ان القصة شاقتهم كثيرا : كل ذلك الكلام الذى يتعلق بى وبغرفتى .

بلنتشلى : قصة رائعة . ولكنى لم اسر بها الا لواحد منهم صديق حميم .

رانيا : صديق تستطيع ان تطمئن كل الاطمئنان الى كتمانه؟

بلنتشلى : كل الاطمئنان .

رانيا : كذا ! لقد حكى الموضوع كله لابى ولسيرجيوس يوم تبادلتم الاسرى . (توليه ظهرها وتسير في لامبالاة عبر الغرفة الى طرفها الآخر) .

بلنتشلى : (باهتمام شديد وهو يكاد لايصدق) لا ! أنت لا تعنين هذا !

رانيا : (تستدير ، بجدية مفاجئة) بل اعنيه وأعنيه . ولكنهما لا يعرفان ان البيت الذى أويت اليه هو

هذا البيت . وإذا عرف سير جيوس هذا فسيتحداك للمبارزة ويقتلك .

بلنتشـــلى : يا منجى يارب ! اذن لا تخبريــه

رانيـــا : أرجوك ان تترك المزاح يا كابتن بلنتشلى . ايمكنك ان تدرك ماذا يعنى بالنسبة الىّ أن أخدعه ؟ أنا اريد ان اكون كاملة الخصال مع سيرجيوس : لاضعة، ولا اسفاف ، ولا خداع . علاقتى به هى الجــزء الوحيد الجميل والنبيل حقا ، في حياتى . ارجو ان يكون في وسعك ان تفهم ذلك .

بلنتشـــلى : (مرتابا) تعنين انك لا تريدين ان يكتشف ان قصة الفالوذج المثلج كانت مجرد . . مجرد . . محــرد . . أنت عارفـــة .

رانيـــا : (تجفل) ارجوك الا تتحدث عن هـــذا الموضوع باستخفاف . لقد كذبت : اعرف ذلك . ولكـــنى فعلت ذلك لا نقذ حياتك . لولا هذا لقتلك . كانت هذه هى المرة الثانية في حياتى التى نطقت فيها بغير الحق . (بلنتشلى يقوم بسرعة ويتطلع اليها في شـــك وفي شيء من الصرامة) هل تذكر المرة الاولى ؟

بلنتشـــلى : أنا ؟ لا . هل كنت حاضرا ؟

رانيـــا : نعم . قلت للضابط الذى كان يفتش عنك انك غير موجـــود .

بلنتشـــلى : صحيح . كان الواجب ان اتذكر هذا .

رانيـــا : (متشجعة الى حد كبير) طبيعى ان تنسى أنت ذلك

اولا . لانه لم يكلفك شيئا . ولكنه كلفنى كذبــة !
كذبــة ! !

(تجلس على الديوان العثماني تنظر امامها مباشرة ويداها مشبوكتان حول ركبتها ، بلنتشلى ، في تأثر شديد يذهب إلى الديوان العثمانى بهيئة يراعى فيها ان تبعث على الاطمئنان وتكشف عن الاحترام الفائق ، يجلس بجوارها .)

بلنتشــلى : لا تدعى الأمر يزعجك يا آنستى العزيزة . تذكرى : انني جندى . الآن مــا الشيئان اللذان يحدثان للجندى بكثرة تجعله لايعيرهما اهتماما ؟ أول هذين الشيئين هو سماع الناس وهم يكذبون (رانيا تؤخذ) الثانى هو انقاذ حياته بكافة أنواع الطرق على يد كافة انواع الناس .

رانيــا : (تنهض باحتجاج واستياء) وهكذا فانه يصبح مخلوقا عاجزا عن الاخلاص والاعتراف بالجميل .

بلنتشبــلى : (يزوى وجهه) هل يعجبك الاعتراف بالجميل ؟ أما أنا فلا . إذا كانت الشفقة قريبة من الحب فالاعتراف بالجميل قريب من الشيء الآخر .

رانيــا : الاعتراف بالجميل ! (تستدير لتواجهه) إذا لم تكن قادرا على الاعتراف بالجميل فانت غير قادر على أى شعور نبيل . حتى الحيوانات تعترف بالجميل . على العموم ، أنا الآن أرى بالضبط رأيك فيَّ ! أنت لم تندهش حين سمعتنى اكذب . كان ذلك بالنسبة لك شيئا ربما كنت امارسه كل يوم !

بل كل ساعة ! ! هذا هو رأى الرجال في النساء .
(تذرع الغرفة بهيئة تراجيدية) .

بلنتشــلى : (شاكا) . كل شيء له علة . لقد قررت انك لم تكذبى في حياتك كلها سوى كذبتين .
يآآنستى العزيزة : اليس في ذلك مبالغةفي التهوين ؟ أنا شخصيا رجل مستقيم للغاية ، ومع ذلك فانالا استطيع ان اسلم بذلك يوما كاللا .

رانيــا : (ترمقه بشموخ) أتدرك ياسيدى انك تهيننى ؟

بلنتشــلى : بالرغم منى . انك حين تتخذين ذلك المظهر النبيل وتتحدثين بذلك الصوت المؤثر فانى اعجب بك ولكننى اجد نفسى عاجزا عن تصديق كلمة واحدة مما تقولين .

رانيــا : (بعزة) كابتن بلنتشلى !

بلنتشــلى : (لايهتز) نعم .

رانيــا : (تقف فوقه كما لو كانت لا تصدق حواسها) اتعنى ما قلته منذ لحظة ؟ أتعرف ماذا قلت منذ لحظة ؟

بلنتشــلى : أعــرف .

رانيــا : (تلهث) أنا ! أنا ! ! ! (تشير إلى نفسها غير مصدقة كأنها تقول « أنا ، رانيا بتكوف ، أكذب ! » يواجه نظرتها دون أن تبدو عليه بادرة تخاذل . فجأة تجلس إلى جواره وتضيف وقد تغيرت طريقتها تماما من اللهجة البطولية إلى لهجة ألفه طفولية) كيف اكتشفت حقيقتى ؟

(دون تردد) بالفراسة يا آنستي العزيزة . بالفراسة وخبرة الناس .

(متعجبة) اتعرف ؟ أنت أول رجل صادفته في حياتي لم يحملني على سبيل الجـــد .

تعنين – اليس كذلك – انني اول رجل أخذك على سبيل الجـــد تماما ؟

نعم : أظنني اعني ذلك . (في استرخاء وفي لهجـــة ليس فيها اثر للتوتر) ما اغرب ان يتحدث الينا أحد بهذا الشكل ! سأقول لك شيئا . لقد كنت دائما هكذا

تقصدين الـ . . ؟

اقصد المظهر النبيل والصوت المؤثر (يضحكان معا) كنت افعل ذلك وانا طفلة صغيرة مع مربيـــــتي . وكانت هي تصدق ذلك . وأفعله مع والديّ . وهما يصدقانه . وأفعله مع سير جيوس وهو يصدقه .

نعم : هو ذاته الى حدما من نفس الطراز . أليـــس كذلك ؟

(تباغت) اتظن ذلك ؟

انت تعرفينه اكثر مما أعرفـــه .

انى لأتساءل هل هو كذلك ؟ ان ذلك إذا خطر على بالى . . (مثبطة العزيمة) أيا كان الأمر : ماذا يهم؟ اعتقد انك بعد ان اكتشفتني ، تحتقرني .

(بحرارة ، ينهض) كلا يا آنستي العزيزة ، كلا ، كلا والف مرة كلا . ان ذلك جـــزء من شبابك :

جزء من سحرك . ان شأني في ذلك شأن الباقـــين جميعا : المربيــة ووالديك وسير جيوس : انا من المعجبين المدلهين بك .

رانيـــا : (مسرورة) حقـــا ؟

بلنتشـــلى : (يصفع صدره بيده برشاقة على الطريقة الالمـــانية) يدى على قلبي . حقا وصدقا .

رانيـــا : (في غاية السعادة) ولكن ماذا كان ظنك بي حـــين اهديتك صورتي ؟

بلنتشـــلى : (مندهشا) صورتك ! أنت لم تهدني صورتك قط .

رانيـــا : (بسرعة) اتعني انك لم تحصل عليها ابـــدا ؟

بلنتشـــلى : ابدا (يجلس بجوارها باهتمام متجدد ويسأل في شيء من الرضا الذاتى) متى ارسلتها الى ؟

رانيـــا : (مستنكرة) انا لم ارسلها لك . (تشيح بوجههـــا وتضيف بالرغم منها) لقد كانت في جيب تـــلك السترة .

بلنتشـــلى : (يزم شفتيه ويكور عينيه) أوووه ! انا لم أعـــثر عليها ابدا . لابد انها لا تزال في مكانها .

رانيـــا : (تقفز واقفة) لا تزال في مكانها ! لكى يجدها ابى بمجرد ان يضع يده في جيبه ! يا الهى . كيف امكنك ان تكون بهذا الغباء ؟

بلنتشـــلى : (ينهض هو الآخر) لا يهم : ماهي سوى صورة فوتوغرافية : انى له أن يعرف من أجل من وضعت ؟ أخبريه انه وضعها هناك بنفسه .

(بمرارة) أجل : منتهى البراعة ! أليس كذلك؟

(تكاد تجن) كيف اتصرف يا الهـــى ؟

ها . فهمت لقد كتبت عليها شيئا . كان هذا تهورا منك .

(تكاد تنهمر دموعها من الغضب) وافعل هذا من أجلك انت الذى لا تعبأ بى الا لكى تجعل منى موضعا لسخريتك ! هل انت واثق ان احدا لم يمسها ؟

ليس في امكانى حقيقة ان اقطع بذلك ، والحق أنه لم يكن في وسعى ان احملها معى طول الوقت فان المرء منا لا يستطيع وهو في الخدمة ان يحمل معه متاعا كثيرا .

وما الذى فعلته بها ؟

حين انتهى بى المطـــاف إلى « بيرت » كان علىّ بطريقة ما أن اضعها في مكان أمين . وقد فكرت في غرفة حفظ المعاطف بمحطة االسكة الحديدية ، ولكن هذا المكان هو أول مكان يتعرض للسلب في الحرب . لذا فقد رهنتهـــا .

رهنتهـــا ! !

اعلم أن وقع ذلك لا يبدو لطيفا ، ولكنها كانت أضمن خطة . وقد استرددتها أول من أمس . والله وحده يعلم ما إذا كان صاحب محل الرهونات قد أخلى الجيوب أولا .

رانيـــا : (في ثورة : تقذف بالكلمات في وجهه قذفا) ان عقليتك عقلية صاحب حانوت وضيع . انت تفكر في اشياء لا تخطر على بال جنتلمان .

بلنتشـــلى : (دون ان يفعل) هذه هى سمة السويسريين القومية ياسيدتى العزيزة . (يعود إلى المائدة) .

رانيـــا : بودى لو لم أعرفك قط . (تنفر مبتعدة وتجلس عند النافذة وهى تتميز من الغيظ) .

(لوكا تدخل وعلى صينيتها كومة من الخطابات والبرقيات وتعبر الغرفة بمشيتها الجريئة الحرة ، الى المائدة . كمها الايسر مربوط إلى كتفها بمشبك . ذراعها العارى يبدو منه وقد غطيت فيه الحزة بسوار عريض مذهب .

لوكـــا : (الى بلنتشلى) لك ، (تفرغ ما على الصينية بنشره على المائدة) . الرسول في الانتظار . (هى مصممة على الا تكون مؤدبة حيال عدو حتى إذا اضطرت إلى حمل خطاباته اليه) .

بلنتشـــلى : (لرانيا) عن اذنك . آخر بريد تسلمته يرجع تاريخه إلى ثلاثة أسابيع مضت . هذه رســـائل متراكمة لاحقة . اربع برقيات : ارسلت منذ اسبوع . (يفتح احداهـــا) . واأسفاه : اخبار سيئة !

رانيـــا : (تنهض وتقترب قليلا بشيء من ندم) أخبار سيئة ؟

بلنتشلي : والدى توفي . (ينظر الى البرقية وقد زم شفتيه وهو يفكر في التغيير غير المتوقـــع الذى سيطرأ

على برامجه . لوكا تبادر الى رسم علامة الصليب على صدرها) .

رانيـــا : ياللخبر المحزن !

بلنتشلي : نعم : سأضطر الى السفر الى بلدى في ظرف . ساعة لقد ترك وراءه كثيرا من الفنادق الكبرى ولابد من العناية بأمرها (يلتقط خطابا داخل مظروف طويل ازرق) هذا خطاب طويل عريض من محامى العائلة . (يسحب المرفقات ويلقى عليها نظرة) ياالله السموات ! سبعون ! مائتان : (وذهوله يتزايد) اربعمائة ! أربعة آلاف ! ! تسعة آلاف وستمائة ! ! ! ماذا بحق السماء أفعل بكل هذا ؟

رانيـــا : (باستحياء) تسعة آلاف فندق ؟

بلنتشلي : فندق ! هراء. آه لو عرفت! الامر مضحك للغاية ! لاتؤاخذيني . لابد ان اعطى رفيقي تعليمات بشأن الرحيل . (يترك الغرفة على عجل وفي يده المستندات) .

لوكـــا : (وهي تدرك ادراكا غريزيا ان في وسعها ان تغيظ رانيا بالحط من قدر بلنتشلي) ذلك السويسرى عديم الشعور. لم ينطلق بكلمة حزن واحدة على ابيه.

رانيـــا : (بمرارة) حزن! رجل قضى سنوات وهمه الوحيد قتل الناس ! ماذا يهمه ؟ ماذا يهم اى جندى ؟ (تمضى الى الباب وهي تغالب دموعها بصعوبة).

لوكـــا : الميجور سارانوف هو الآخر كان يحارب . ومع ذلك فلا يزال شعوره حيا الى حد كبير . (رانيا ،

لدى الباب ، ترفع قامتها في أنفة وتخرج) .
ها ! كنت اتوقع الاتنالي شعورا كثيرا من جنديك.
(تتبع رانيا واذا نيقولا يدخل وبين ذراعيه حمولة من الكتل الخشبية للمدفأة) .

نيقــولا : (يبتسم لها بهيام) لقد أمضيت العصر كله أحاول ان اختلى بك دقيقة يافتاتي . (تنقلب سحنته حين يلحظ ذراعها ،) . اى « مودة » تلك التى جعلتك ترفعى كمك أيتها الطفلة ؟

لوكــا : (بفخر) « مودتى » الخاصة .

نيقــولا : حقا ! . اذا ضبطتك السيدة فسيكون لها معك حديث . (يضع الكتل الخشبية على الارض ويجلس على الديوان العثماني في وضع مستريح) .

لوكــا : وهل هذا سبب يجعلك تأخذ على عاتقك ان تحدثنى

نيقــولا : هدئي نفسك ! لا تقفى منى هذا الموقف العدائي . ان عندى لك أخبارا طيبة . (تجلس الى جواره . يخرج بعض النقود الورقية . لوكا تحاول ، بوميض نهم في عينيها ، ان تخطفها ولكنه ينقلها بسرعة الى يده اليسرى بعيدا عن متناولها) . انظرى ! ورقة بعشرين ليفا ! سيرجيوس أعطاني هذه لمجرد التباهي . الاحمق ونقوده سرعان مايفترقان.
وهذه عشر ليفات أخرى . السويسرى نفحنى بهذا المبلغ لاني أيدت أكاذيب السيدة رانيا بخصوصه . اما هو فليس بالاحمق . لا(. ليتك سمعت العجوز كاترين تحت وهي تخاطبنى في غاية الادب

وتناشدني الاغضب من عصبية الميجور ذلك انهم يعرفون اى خادم ممتاز أنا .. بعد ان رموني بالخبل والكذب بمشهد من الجميع ! العشرون ليفا ستذهب الى مدخراتنا ، وسأعطيك العشرة لتنفقيها ولكن بشرط ان تخاطبيني لتذكريني باني انسان . ان التعب ينال منى احيانا من كوني خادما .

لوكـــا : أجل : بع رجولتك بثلاثين ليفا واشتريني بعشرة ! (تنهض باحتقار) خل نقودك لك . لقد ولدت لتكون خادما . اما انا فلا . وحين تفتح حانوتك فستكون خادما لدى الناس جميعا بدلا من خادم لدى احدهم . (تمضي منحرفة المزاج الى المائدة وتجلس كملكة على كرسي سيرجيوس) .

نيقـــولا : (يحمل كتله الخشبية ويسير الى الموقد) انتظرى حتى ترى . ستكون لنا امسياتنا لايشاركنا فيها أحد . وسأكون سيدا في بيتي . (يلقى الكتل الخشبية من يده ويركع امام المدفأة) .

لوكـــا : لن تكون ابدا سيدا في بيتي .

نيقـــولا : (يستدير وهو لايزال على ركبته ويقعى بابتئاس وقد ثبط همته ازدراؤها الذى لاسبيل الى تغييره) ان فيك يالوكا طموحا كبيرا ولكن تذكرى : اذا حالفك الحظ يوما فاني انا الذى جعلت منك امرأة .

لوكـــا : أنت !

نيقــولا : (ينهض بصعوبة ويذهب اليها (أجل ، أنا . من الذى جعلك تكفين عن اضافة رطلين من الشعر الاسود المستعار الى رأسك وعن طلاء شفتيك وخديك بالاحمر كأى فتاة بلغارية أخرى . انا . من الذى علمك ان تقصى أظفارك وتنظفى يدك وتحرصي على اناقتك كسيدة روسية من علية القوم ؟ انا : اتسمعين ماأقول ؟ أنا ! (ترفع رأسها بتحد وينصرف هو عنها مستطردا بنبرة اهدأ) كثيرا مافكرت انه اذا حدث وازيحت رانيا من الطريق وكنت انت اقل حماقة مما أنت بقليل وكان سيرجيوس اكثر حماقة مما هو بقليل ، فان من غير المستبعد ان تصبحي عميلة من أحسن عملائي بدلا من ان تكوني زوجة لي وتكلفيني نقودا .

لوكــا : اعتقد انك لو خيرت لفضلت ان تكون خادما عندى بدلا من أن تكون زوجي ، ولو كنت كذلك لخدمتني اكثر . أنا أعرف طبيعتك .

نيقــولا : (يقترب منها ليكون لكلماته وقع اكبر) دعى طبيعتي وشأنها . كل ماأطلبه هــو ان تستمعى لنصحي . اذا أردت أن تكوني سيدة محترمة فان سلوكك الراهن حيالي لن يكون مقبولا اللهم الاحين نكون في خلوة . ان فيه حدة وصفاقة والصفاقة نوع من المباسطة : وهي تدل على اعزاز تجاهي . ولاتحاولي ايضا ان تتعالى وتتكبرى عليّ . انك تشبهين كل فتيات الريف : أنت تظنين ان

الرقي ان تعاملي خادما بالطريقة التي أعامل أنا بها صبي الاصطبل . جهلك وحده هو الذى يدفعك الى هذا . لاتنسي هذا . ولا تكوني هكذا متحفزة لتحدى الناس جميعا . ليجيء تصرفك كما لو كنت تنفذى ارادتك لا كما لو كنت قد توقعت ان تتلقى اوامر الآخرين . ان الطريق الذى يقودك لتكوني سيدة هو نفس الطريق الذى يقودك لتكوني خادمة : يجب ان تعرفي مكانك : هذا هو سر الصنعة . ولك ان تطمئني الى انني سأعرف مكاني اذا حدث وارتفع قدرك . فكرى في هذا يا بنيتي سأقف الى جانبك : ان من واجب الخادم ان يناصر خادما مثله .

لوكـــا : (تنهض في تذمر) لن اتصرف الا بطريقتي الخاصة. أنت تجردني من كل شجاعتي بحكمتك الميتة . اذهب وضع تلك الكتل في النار : هذا هو نوع الامور التي تفهمها .

(قبل ان يتاح لنيقولا ان يرد، يدخل سيرجيوس . يراجع نفسه لحظة حين يرى لوكا ، ثم يمضى الى المدفأة .)

سيرجيوس : (الى نيقولا) ارجو الا اكون قد ازعجتك في عملك .

نيقـــولا : (في نبرة ناعمة وباحترام) لا ، لاياسيدى : شكرا لعطفك . كنت فقط احادث هذه الفتاة الحمقاء عن عادتها في الجوى الى هـــذه المكتبة

كلما سنحت لها الفرصة لتنظر الى الكتب . هذا أسوأ مافي تربيتها ياسيدى . انه يغرس فيها عادات فوق طبقتها . (للوكا) رتبي تلك المائدة يالوكا للسيد الميجور . (يخرج بأدب) .

(لوكا ، دون ان تنظر الى سيرجيوس ، تتظاهر بترتيب الاوراق على المائدة . يعبر الغرفة اليها ببطء ويمعن النظر في الطريقة التى رفع بها كمها.

سيرجيوس : دعيني ار : هل هناك علامة ؟ (يرفع الاسورة بحركة دائرية ويلحظ الحزة التي احدثتها قبضته . تقف بلا حراك دون ان تنظر اليه : مخلوبة اللب ، ولكن في حذر) أف ف ف ف ! هل تؤلمك ؟

لوكا : نعم .

سيرجيوس : اتريدين ان أشفيك منها ؟

لوكا : (تسحب نفسها فورا بأنفة ولكنها لاتزال تتفادى النظر اليه) لا . لن تستطيع الآن شفاءها .

سيرجيوس : (بلهجة السيد) متأكدة ؟ (تصدر منه حركة كما لو كان يريد ان يحتويها بين ذراعيه) .

لوكا : ارجو الاتهزأ بي . لاينبغى لضابط ان يهزأ بخادمه .

سيرجيوس : (يشير الى الحزة بجرة مؤلمة من اصبعه) تلك لم تكن هزءاً يالوكا .

لوكا : (تجفل ، ثم تنظر اليه للمرة الاولى) هل انت آسف؟

سيرجيوس : (بتوكيد محسوب وهو يشبك ذراعيه) انا لاآسف قط .

لوكـــا : (باكتئاب) ليتنى استطيع ان اصدق ان رجلا من الرجال يمكن ان يختلف عن المرأة الى هذا الحد . اني. اتساءل هل انت حقيقة رجل شجاع ؟

سيرجيوس : (دون ان يتأثر ، يلطف من نبرته) نعم : انا رجل شجاع جدا . لقد انخلع قلبي كقلب امرأة عند أول طلقة ، ولكن اكتشفت عند الهجوم انني كنت شجاعا . نعم : هذا على الاقل حقيقي فيما يتعلق بي .

لوكـــا : هل وجدت في الهجوم ان الرجال الذين آباؤهم فقراء كأبي كانوا أقل شجاعة من الرجال الاغنيـــاء مثلك ؟

سيرجيوس : (بخفة مرة) على الاطلاق . لقد كانوا كلهم يضربون ويلعنون ويصيحون كالابطال . لكن شجاعة الغضب والقتل شجاعة رخيصة . ان عندى كلبا انجليزيا كبيرا من فصيلة الترير يملك من تلك الشجاعة ما تملكه الامة البلغارية بأكملها ومن ورائها الامة الروسية ولكن مع ذلك يسمح لسائس بأن يجلده . هذا هو جنديك بكل صفاته ! لايالوكـــا : رجالك الفقراء لديهم القدرة على قطع الرقاب ولكنهم يخافون ضباطهم . هم يتحملون الاهانة والضرب . هم يقفون « انتباه » ويشاهدون بعضهم البعض وهم يعاقبون كالاطفال : بل ويعاونون في العملية حين يؤمرون بذلك . اما الضباط ! ! ! (بضحكة قصيرة خشنة) انا

ضابط . (بحماس) ائتنى برجل مستعد لأن يتحدى الى الموت اى قوة في الارض او في السماء تتصدى لارادته وضميره : هذا الرجل وحده هو الرجل الشجاع .

لوكـــا : ما أسهل الكلام ! يخيل الي ان الرجال لا يكبرون ابدا : كلهم لديهم افكار كأفكار التلاميذ . انت لا تعرف ما هي الشجاعة الحق .

سيرجيوس : (ساخرا) صحيح ! أنا على استعداد لتلقى درس في هذا . (يجلس على الديوان العثماني باسطا ذراعيه وقدميه في عظمة) .

لوكـــا : انظر اليّ ! الى اىّ حد يسمح لي انا بأن انفذ ارادتي ؟ ان عليّ ان اعد لك غرفتك : ان اكنس وامسح ، ان احضر الاشياء واحملها . كيف يحط ذلك من قدرى إذا كان لا يحـــط من قدرك ان تؤدى لاجلك هـــذه الاعمال ؟ ولكن (بفوز انفعال مكبوتة) لوانني كنت امبراطورة روسيا ، اى ذات مقام يعلو على مقام اى انسان في العالم ، فعندئذ ! انعم عندئذ ، رغم انني في رأيك عاجزة عن اظهار اى قدر من الشجاعة ، سترى . أجل سترى .

سيرجيوس : ماذا كنت تفعلين ياأعرق امبراطورة في الدنيا ؟

لوكـــا : اتزوج الرجل الذى احبه وهو مالا تستطيع ان تفعله اى ملكة في أوربا . اذا كنت أنت من أحب حتى اذا كنت ادنى مني وكانت المسافة بيني وبينك كالمسافة بينك وبيني ، بلجروت على ان

أكون في مستوى من هو أقل مني . هل تجروُ أنت على فعل نفس الشيء لو أنك أحببتني ؟ لا : انك اذا شعرت بمبادئ حب لي فلن تترك هذا الحب ينمو . لن تجروُ على ذلك : وستتزوج ابنة رجل ثرى لانك ستخشى ما يقوله الناس عنك .

سيرجيوس : (يقفز واقفا) هذا كذب : اقسم بكل نجو م السماء ليس الامر كذلك . انا اذا احببتك ، ولو كنت قيصر روسيا بجلالة قدره ، فسأضعك على العرش بجوارى . انت تعرفين انني احب امرأة اخرى ، امرأة المسافة بينها وبينك كالمسافة بين السماء والارض وأنت تغارين منها .

لوكـــا : ليس عندى ما يحملني على ذلك . هى لن تتزوجك الآن ابدا . لقد عاد الرجل الذى حدثتك عنه . ستتزوج السويسرى .

سيرجيوس : (يتراجع) السويسرى !

لوكـــا : رجل يساوى عشرة من امثالك . عتند ذلك تستطيع ان تأتي الى . وسأرفضك . انت أقل من ان تصلح لى . (تتجه الى الباب) .

سيرجيوس : (يثب خلفها ويمسكها بوحشية بين ذراعيه) سأقتل السويسرى، ثم أفعل مايحلو لي معك .

لوكـــا : (بين ذراعيه سلبية وفي اصرار) من الجائز ان السويسرى هو الذى سيقتلك . لقد غلبك في الحب وقد يغلبك في القتال .

سيرجيوس : (معذبا) اتظنين اني اصدق انها .. هي — واسوأ أفكارها أعلى من أحسن أفكارك — تقدر على مغازلة رجل آخر من وراء ظهرى ؟

لوكـــا : وهل تظن انها تصدق السويسرى اذا قال لها الآن اني بين ذراعيك .

سيرجيوس : (يرفع يديه من عليها في قنوط) اللعنة ! اللعنة . ياالسخرية ! سخرية في كل مكان ! كل شيء اعتقده يسخر منه كل شيء افعله . (يضرب نفسه على صدره في حالة من الهياج الشديد) انا جبان ! وكاذب ! واحمق ! هل أقتل نفسي كرجل او أعيش وأتظاهر بالتهكم على نفسي ؟ (تتحول مرة ثانية لتذهب) . لوكا ! (تتوقف قريبا من الباب) تذكرى : انت ملكي .

لوكـــا : (تستدير) مامعنى هذا ؟ اهانة ؟

سيرجيوس : (في لهجة آمرة) معناه انك تحبينني وانني قد احتويتك هنا بين ذراعى وقد احتويتك بينهما مرة أخرى . وسواء كانت هذه اهانة ام لم تكن فشيء لا اعرفه ولا اكترث له : خذيها كما تشائين . ولكنني (بقوة) لن اكون جبانا او عابثا . اذا راق لي ان احبك فاني اجرؤ على الزواج منك رغم أنف بلغاريا كلها . واذا مستك هاتان اليدان بعد الآن فستمسان الخطيبة التي سأتخذها زوجة .

لوكـــا : سنرى ما اذا كنت ستجرؤ على الوفاء بوعدك . وليكن في علمك انني لن انتظر طويلا .

سيرجيوس : (يطوى ذراعيه ثانية ويقف بدون حراك في منتصف الغرفة) نعم : سنرى . وسننتظرين ماشاء لي انا الانتظار .

(بلنتشلي ، يدخل مشغول البال جدا والاوراق لاتزال في يده ، ويترك الباب مفتوحا لتخرج منه لوكا . يعبر الغرفة الى المائدة ويرمقها وهي تمر. سيرجيوس يرقبه طويلا دون ان يغير مظهر التصميم الذى يرتسم على وجهه . تخرج لوكا وتترك الباب مفتوحا .)

بلنتشلي : (يجلس شاردا في مكانه السابق الى المائدة ويضع اوراقه عليها) هذه فتاة بارعة الجمال .

سيرجيوس : (بصرامة ودون ان يتحرك) كابتن بلنتشلي .

بلنتشلي : هل تناديني ؟

سيرجيوس : لقد خدعتني . أنت منافس وأنا لاأطيق منافسا . في الساعة السادسة سأكون في ارض التدريب في طريق كليسورا ، بمفردى ممتطيا جوادى ومنتضيا سيفى . هل فهمت ؟

بلنتشلي : (محملقا ولكنه يجلس في وضع مريح) شكرا . هذا تحدى رجل من سلاح الفرسان . ولكننى من سلاح المدفعية ، وانا الذى يحق لي اختيار السلاح . لذا فاني اذا ذهبت فسآخذ معي مدفعا رشاشا ولن يكون هناك هذه المرة خطأ في الطلقات .

سيرجيوس : (يصعد الدم الى وجهه ولكنه يقول بهدوء قاتل)

اني أحذرك ياسيدى . ليس من عادتنا في بلغاريا
ان نسمح لاحد بان يسخر من مثل هذه الدعوة .

بانتشلي : (بحرارة) هه ! لاتحدثني عن بلغاريا . انتم لاتعرفون ماهو القتال . ولكن ليكن لك ماتريد . احضر معك سيفك . سأقابلك .

سيرجيوس : (في شدة الابتهاج لانه وجد في خصمه رجلا ذا همة) لافض فوك ايها السويسرى هل اعيرك خير جيادى ؟

بلنتشلي : لا : اللعنة على خير جيادك ! مع ذلك فلك الشكر ياصاحبي العزيز . (رانيا تدخل وتسمع الجملة التالية) سأقاتلك راجلا : القتال على الجياد بالغ الخطر وانا لا اريد ان أقتلك اذا كان لي من ذلك مناص .

رانيا : (تهرع الى الامام مذعورة) سيرجيوس . لقد سمعت ماقاله الكابتن بلنتشلي . فيم هذه المبارزة (سيرجيوس يعرض عنها دون ان ينبس ويسير الى المدفأة ويقف عندها . يرقبها وهي تستطرد موجهة الحديث الى بلنتشلي) ، فيم قتالكما ؟

بلنتشلي : لاأعرف : هو لم يخبرني . أرجو الا تتدخلي ياآنستي العزيزة . لن يحدث مكروه : لقد اشتغلت كثيرا كمعلم للمبارزة بالسيف . لن يتمكن من لمسي وانا لن اوذيه . وسيغنينا ذلك عن الشرح. وفي الصباح سأكون قد رحلت الى بلدى ولن تريني او تسمعى

عني ثانية ، وبعدها ستصطلحان وتعيشان في سعادة الى آخر الزمن .

رانيـــا : (تستدير مبتعدة وقد جرحت عواطفها جرحا عميقا بصوت يكاد يكون باكيا) انا لم أقل ابدا اني لااريد ان اراك ثانية .

سيرجيوس : (يخطو الى الامام) ها ! هذا اعتراف .

رانيـــا : (في ترفع) ماذا تعني ؟

سيرجيوس : انت تحبين هذا الرجل !

رانيـــا : (باستنكار) سيرجيوس !

سيرجيوس : انت تسمحين له بمغازلتك خلف ظهري ، تماما كما تعاملينني كخطيبك خلف ظهره . بلنتشلي : انك كنت تعرف علاقتنا وقد خدعتني . لهذا السبب طلبتك لاناقشك الحساب ، لا لانك نلت منها عطفا لم أحظ انا بمثله .

بلنتشلي : (ينتّر واقفا بامتعاض) هراء . كلام فارغ . انا لم اتلق عطفا مما تدعيه . الآنسة لا تعرف حتّى ماذا كنت متزوجا او عزب .

رانيـــا : (تنسى نفسها) أوه ! (تنهار على الديوان العثماني) هل أنت متزوج ؟

سيرجيوس : ها أنت ترى اهتمام الانسة ياكابتن بلنتشلي . من العبث محاولة الانكار . لقد تفضلت واستقبلتك في غرفتك الخاصة في ساعة متأخرة من الليل . .

بلنتشلي : (يقاطع بسخرية لاذعة) نعم ، أيها الابله !

استقبلتني ومسدسي مصوب الى رأسها . كان فرسانك في اعقابي لوان لسانها قد ارتفع بصيحة واحدة لهشمت رأسها بطلقة منه .

سيرجيوس : (مذهولا) بلنتشلي ! رانيا : هل هذا صحيح ؟

رانيـــا : (تنهض بجلال وهي في غاية الغضب) كيف تسمح لنفسك ، كيف تسمح لنفسك ؟ !

بلنتشلي : قدم اعتذارك يارجل : قدم اعتذارك . (يعود الى مقعده لدى المائدة) .

سيرجيوس : (بلهجة التوكيد القديمة الموزونة وهو يشبك ذراعيه) انا لااعتذر ابدا !

رانيـــا : (منفعلة) هذا من فعل صديقك ، يا كابتن بلنتشلي . هو الذى اذاع عني هذه القصة الفظيعة . (تجوس في الغرفة ثائرة الاعصاب) .

بلنتشـــلى : كلا : لقد مات هذا الصديق . احرق حيّا !

رانيـــا : (تتوقف مصدومة) أحرق حياً ؟

بلنتشـــلى : اصيب في عجزه بعيار في فناء لتخزين الخشـــب ، ولم يستطع ان يجر نفسه خارجه . وقد اشعلت اعيرة جماعتك النار في الخشب واحرقته مع اثنى عـــشر مسكينا شاركوه نفس المصير .

رانيـــا : يا للفظاعـــة !

سير جيوس : ويا للسخف ! آه . الحرب ! الحرب ! حلـــم المواطنين والابطال ! انها خدعة يا بلنتشلى . زيف فارغ ، كالحب .

رانيـــا : (في شدة الغضب) كالحب تتفوه بذلك أمامى !

بلنتشـــلى : لاعليك يا سارانوف : لقد انتهينا من شرح هـــذه المسألة .

سير جيوس : اقول زيف فارغ . إذا لم يكن قد حدث بينكما شيء الا تحت تهديد فوهة مسدسك فهل كنت تعــود الى هنا ثانية . رانيا مخطئة في شأن صديقك الذى احترق. لم يكن هو مخبرى .

رانيـــا : من اذن ؟ (تخمن الحقيقة فجـــأة) آه . لوكا ! وصيفتى ! خادمتى ! لقد كنت معها هذا الصبـــاح طيلة الوقت بعد . . ويلى . . اى نوع من الآلهة هذا الذى كنت اعبده ! (يقابل نظرتها باستمتاع تهكمى بخيبة ظنها . يزيد ذلك من غضبها . تقترب منــــه وتهتف بنبرة اقل ارتفاعا واكثر عمقا) أتدرى انى نظرت من النافذة وانا صاعدة الى الدور الاول لالقى نظرة أخرى على بطلى وانى ابصرت شيئا لم اجد له في ذلك الوقت تعليلا . الآن عرفت انك كنت تغازلها

سير جيوس : (بحنق مكفهر) رأيت ذلك ؟

رانيـــا : وملأت منه عينى (. تتحول مبتعدة وترتمى عـــلى المقعد تحت النافذة الوسطى وقد فاض بها الكيل) .

سير جيوس : (بتهكم) رانيا : لقد تحطم غرامنا . انما الحياة مهزلة

بلنتشـــلى : (الى رانيا ، بنظرة غريبة) أرأيت : لقد وجـــد نفسه الآن .

سير جيوس : (يذهب اليه) بلنتشلى : لقد سمحت لك ان تلقبنى

بالابله . لك الآن ان تلقبنى بالجبان أيضا . انا ارفض منازلتك . اتعرف لمـــاذا ؟

بلنتشـــلى : لا ، ولكن هذا لا يهم . أنا لم اسأل عن الســـــبب عندما تحديتنى ولن اسأل عن السبب الآن وقد سحبت تحديك . أنا جندى محترف : اقاتل حين اضطر الى ذلك ويسرنى جدا ان اعفى من القتال حين لا تكون هناك ضرورة له . اما أنت فهاو : القتال في نظـــرك تسلية .

سير جيوس : (يجلس الى المائدة وجها لوجه معه) ستسمع السبب رغم هذا يا سيدى المحترف . السبب هو ان أىنزال حقيقى يتطلب رجلين . . رجلين بمعنى الكلمة. . لكل منهما قلب رجل ودم رجل وشرف رجـــل . انا لا استطيع ان انازلك باكثر مما استطيع ان اغـــازل امرأة دميمة . أنت مجرد من الحيوية : أنت لســـت رجلا : أنت آلة ميكانيكيـــة :

بلنتشـــلى : (معتذرا) تمـــام . تمـــام . لقد كنت دائمـــا هذا الصنف من الرجال . آسف جدا .

سير جيوس : هـــــه !

بلنتشـــلى : والآن وبعد ان اكتشفت ان الحياة ليست مهزلـــــة ولكنها شيء معقول وجدى تماما ، اى عقبة جديدة تعترض سعادتك ؟

رانيـــا : (تقدم) عطف منك ان تهتم بسعادته وسعادتى. هل نسيت حبه الجديد . . لوكا ؟ لست انت الذى يجب ان يبارزه الآن ولكن منافسه . . نيقولا . .

سير جيوس : منافسى ! ! (يقفز قفزة تصل به الى وسط الغرفة)

رانيـــا : ألا تعرف انهما مخطوبان ؟

خير جيوس : نيقولا ! هل تنفتح اغوار جديدة ؟ نيقولا ! !

رانيـــا : (بسخرية لاذعة) تضحية تصدم الشعور ، أليــس كذلك ؟ مثل هذا الجمال ! مثل هذا الذكاء ! مثل هذا الحياء ! تبدو على خادم متوسط العمر . حقيقة يا سير جيوس ، انت لا تستطيع ان تقف مكتـــوف اليدين وتسمح بشيء من هذا القبيل . لو فعلـــت لخرجت على مقتضيات الشهامة .

سير جيوس : (يفقد كل سيطرته على نفسه) ايتها الافعـــى ! أيتها الافعى ! (ينطلق جيئة وذهابا وهو يزمجر) .

بلنتشـــلى : اسمع يا سارانوف : انت الخاسر في هذا .

رانيـــا : (يزداد غضبها) أتدرك ما فعل يا كابتن بلنتشـــلى؟ لقد نصب تلك البنت جاسوسة علينا . ومكافأتها هى ان يطارحها الغرام .

سير جيوس : افتراء ! بشاعة !

رانيـــا : بشاعة ! (تواجهه) اتنكر انها اخبرتك عن وجود الكابتن بلنتشلى في غرفتى ؟

سير جيوس : لا ولكن . .

رانيـــا : (لا تدعه يكمل) اتنكر انك كنت تطارحهـــا الغرام حين اخبرتك بذلك ؟

سير جيوس : لا ، ولكنى أقـــول . .

رانيـــا : (تقاطعه بازدراء) لا ضرورة لا فـــادتنا بأى شيء آخر . حسبنا هذا . (توليه ظهرها وتسير بوقـــــار عائدة الى النافـــذة) .

بلنتشـــلى : (بهدوء وسيرجيوس ، وقد أمضه الشعور بالخزى ، يغوص في الديوان العثمانى وهو يمسك رأسه المائل بين قبضتيه) ألم اخبرك ياسارانوف انك الخاسر في هذا ؟

سيرجيوس : ايتها النمرة المتوحشـــة !

رانيـــا : (تجرى في هياج إلى بلنتشلى) اسمعت الاهانات التى يوجهها الى هذا الرجل يا كابتن بلنتشلى ؟

بلنتشـــلى : وماذا يستطيع ان يفعل غير ذلك يا سيدتى العزيزة ؟ لا بد ان يدافع عن نفسه بصورة ما . هدئى اعصابك (بلهجة اقناع قوية) لا تتشاحنا . أى خير في ذلك ؟

(رانيا تجلس لاهثة على الديوان العثمانى وبعد ان تبذل مجهودا فاشلا في التطلع إلى بلنتشلى بوجه غاضب ، تستسلم لطبيعتها المرحة وتميل إلى الوراء بروح طفولية مستندة إلى كتف سيرجيوس المختلج)

سيرجيوس : مخطوبة إلى نيقولا ! هنا ! هنا ! أنت محق (—) يا بلنتشلى في عدم احتفالك بخدعة هذا العالم الضخمة .

رانيـــا : (بنبرة طريفة إلى بلنتشلى وهى تتصور بالغريزة ما يدور بخلده) لعلك تظن اننا طفلان كبيران .

سيرجيوس : (يبتسم بوحشية) فعلا : فعلا . المدنية السويسوية تراقب كالمربية بربرية البلغار أليس كذلك ؟

بلنتشلي : (يحمر) اطلاقا ، أؤكد لكما . كل ما في الأمر انني مسرور لتوفيقي في تهدئة اعصابكما .
والآن لنكن ظرفاء ولنتحدث في الموضوع بروح ودية . اين هي هذه الآنسة الاخرى ؟

رانيا : لعلها تتسمع لدى الباب .

سيرجيوس : (يرتجف كما لو كان قد اصيب بعيار ناري ويتحدث بأنفة هادئة وان تكن عميقة) سأثبت ان هذا على الاقل افتراء . (يذهب منئدا إلى الباب ويفتحه . تصدر منه صرخة هياج وهو ينظر خارجه . ينطلق في الممر ويعود وهو يجر لوكا وراءه ويدفعها بعنف أمام المائدة وهو يصيح) اصدر عليها حكمك يا بلنتشلي . انت ايها الرجل المحايد ، الذى لا ينفعل اصدر حكمك على مسترقة السمع .
(لوكا تظل رابطة الجأش ، أبية ، صامتة .)

بلنتشلي : (يهز رأسه) لا ينبغي أن اصدر عليها حكما فذات مرة استرقت انا السمع خارج احدى الخيام في وقت كانت تدبر فيه حركة عصيان . المسألة كلها تتوقف على مدى خطورة الباعث . لقد كانت حياتي معرضة للخطر .

لوكا : وأنا كان حبي معرضا للخطر . انا لا أخجل من التصريح بذلك .

رانيا : (بامتهان) حبك ! تعنين فضولك .

لوكا : (تواجهها وترد الامتهان بمثله) حبي الذى هو أقوى من أى شيء يمكن ان تشعرى به ،

حتى لجنديك . جندى كريمة الشوكلاته .

سيرجيوس : (بوسوسة سريعة ، الى لوكا) ماذا يعني هـــذا الوصـــف ؟

لــوكا : (بشراســـة) يعــنى . .

سيرجيوس : (يقاطعها باستخفاف) آه . تذكرت . الفالوذج هذه معايرة تافهة ايتها الفتاة !

(الميجور بتكوف يدخل بدون سترة .)

بتكــوف : معذرة أيها السادة لدخولى بالقميص . رانيا : هناك شخص لبس سترتى تلك . انا مستعد لان اقسم على هذا . شخص يختلف شكل ظهره عن ظهرى . لقد تمزقت السترة عند الاكمام . املك تقوم الآن برتقها . بودى لو اسرعت والا تعرضت للاصابة بنوبة برد . (ينظر اليهم بامعان اكبر) هل حدث شيء ؟

رانيــا : لا . (تجلس على الموقد وعليها سمات الهدوء) .

سيرجيوس : لا أبدا . (يجلس عند طرف المائدة كما كان أولا).

بلنتشــلى : (الذى اتخذ مكانه منذ لحظة) لاشيء . لاشيء .

بتكــوف : (يجلس على الديوان العثمانى في مكانه القديم) عظيم. عظيم . (يلحظ لوكا) . هل حدث شيء يالوكا ؟

لــوكا : لا يا سيدى .

بتكــوف : (بحبور) عظيم . (يعطس) . اذهبى ياشاطرة من فضلك واحضرى سترتى من سيدتك .

(يدخل نيقولا بالسترة . لوكا تتظاهر بان لديها

سيرجيوس : (ينتشر قائما) انا . ! جندى كريمة الشوكلاته ! لا بكل تأكيـــد .

بتكـــوف : لا (يتفحصهم . كلهم جادون ؛ وفي حالة من التوجس الشديد) هل تعنى ان رانيا ترسل مثل هذه الكلمات الى رجال آخرين ؟

سيرجيوس : (بغموض) العالم يا بتكوف ليس بالمكان البرىء الذى تعودنا ان نظنه .

بلنتشـــلى : (ينهض) حسنا يا سيدى الميجور . انا جندى كريمة الشوكلاته . (بتكوف وسيرجيوس يأخذهما نفس العجب) . لقد انقذت الآنسة الفاضلة حياتى باعطائى فطائر من كريمة الشوكلاته فى وقت كنت اتضور فيه جوعا : هل يمكن أن أنسى طعمها يوما من الايام؟ صديقى المرحوم شتولز اخبرك بالقصة في « بيرت » . لقد كان الهارب هو أنا .

بتكـــوف : انت ! (تتلاحق انفاسه) . سيرجيوس : هل تذكر حالة هاتين السيدتين هذا الصباح حين جاء ذكر هذا الموضوع على لساننا ؟ (سيرجيوس يبتسم فى تهكم . بتكوف يواجه رانيا بصرامة) انت فتاة لطيفة . أليس كذلك ؟

رانيـــا : (بمرارة) الميجور سارانوف غير رأيه . وعندما كتبت تلك العبارة على الصورة لم أكن أعرف أن الكابتن بلنتشلى كان متزوجا .

بلنتشـــلى : (يفاجأ فيهب للاحتجاج بشدة) انا لست متزوجا .

رانيـــا : (بلوم شديد) لقد قلت انك متزوج .

بلنتشـــلى : انا لم أقل هذا . أنا قطعا لم أقله . أنا لم اتزوج في حياتى .

بتكـــوف : (ساخطا) رانيا : هل تتكرمين بافادتى ، إذا لم يكن في سوألى تجاوز للحدود ، إلى أى من هذين السيدين أنت مخطوبة ؟

رانيـــا : لست مخطوبة لأى منهما . هذه الآنسة (تقدم لوكا التى تواجه الجميع بكبرياء) هى في الوقت الحاضر موضع عواطف الميجور سارانوف .

بتكـــوف : لوكا ! انت مجنون ياسيرجيوس ؟ هذه الفتاة مخطوبة لنيقولا .

نيقـــولا : ارجو المعذرة ياسيدى . هناك خطأ . لوكا ليست مخطوبة لى .

بتكـــوف : ليست مخطوبة لك ايها الوغد ! لقد تقاضيت منى خمسا وعشرين ليفا يوم خطوبتك وتلقت هى تلك الاسورة المذهبة من مس رانيا .

نيقـــولا : (بتزلف هادئ) هذا ما أعلناه ياسيدى . ولكن الغرض من ذلك كان مجرد اسباغ الحماية على لوكا لقد أوتيت نفسا أعلى من مستواها ولم اكن سوى خادمها في السر . انا انتوى كما تعلم ياسيدى ان افتح حانوتا في صوفيا بعد فترة من الآن ، وأنا اتطلـــع لأن تكون زبونة لى وان تقوم بالدعاية لى إذا حدث واقترنت باحد النبلاء . (يخرج بأدب جم ويتركهم جميعا وهم يشيعونه بانظارهم) .

بتكـــوف : (يقطع الصمت) على الله . . . ! هم !

سيرجيوس : هذه إما أروع بطولة أو أحط سفالة . ايهما هى يا بلنتشلى ؟

بلنتشـــلى : لا تعر الامر التفاتا سواء كانت بطولة أم سفالة . نيقولا هو ابرع رجل صادفته في بلغاريا . سأجعل منه مديرا لفندق إذا كان يستطيع التحدث بالفرنسية والالمانية .

لوكـــا : (تنفجر فجأة في سيرجيوس) ما من أحد هنا الا وسبنى . انت الذى ضربت لهم المثل .
انت مدين لى باعتذار .

(سيرجيوس كساعة ضبط الوقت التى مس زنبركها يبدأ على الفور في طى ذراعيه)

بلنتشـــلى : (قبل ان توانى سيرجيوس القدرة على الكلام) لا فائدة . هو لا يعتذر أبدا .

لوكـــا : لا يعتذر لك انت ، نده وعدده . أما أنا ، خادمته المسكينة ، فلن يرفض الاعتذار لى .

سيرجيوس : (موافقا) معك حق . (يحنى ركبته في افخم هيئة يستطيعها) اسألك الصفح .

لوكـــا : صفحت عنك . (تعطيه يدها باستحياء فيقبل اليد) . هذه اللمسة تجعلنى خطيبتك .

سير جيوس : (يثب) آه ! لقد نسيت ذلك .

لـــوكا : (دون انفعال) تستطيع ان تسترد كلمتك انأردت

سير جيوس : استرد كلمتى ! ابدا ! انت ملكى . (يحيطهـــا بذراعـــه) .

(كاترين تدخل فترى لوكا بين ذراعي سيرجيوس والجميع يحدقون فيهما وهم يضربون أخماسا في اسداس .

كاترين : ما معنى هذا . ؟

(سير جيوس يرخي يديه من على لوكا) .

بتكوف : المسألة يا عزيزتي ان سير جيوس ، فيما يبدو ، سيتزوج لوكا بدلا من رانيا . (توشك ان تفجر فيه سخطها : يوقفها بعصبية) لا تلوميني . انا لاشأن لي بهذا الموضوع .

(يتقهقر الى المدفأة) .

كاترين : يتزوج لوكا ! سيرجيوس : لقد ارتبطت معنابكلمة

سير جيوس : (يشبك ذراعيه) لا شيء يربطني .

بلنتشلي : (مسرورا لهذا الرد المعقول) سارانوف : يدك : تهانيّ . بطولاتك هذه لها جانبها العملي ايضا . (الى لوكا) يا آنستي العزيزة : تقبلي اطيب تمنيات جمهوري صالح ! (يقبل يدها مثيرا بذلك تقزز رانيا الشديد ، ثم يعود الى مقعده) .

كاترين : لوكا : لقد قلت عنا الأقاويل .

لوكا : انا لم ألحق برانيا أي ضرر .

كاترين : (بتعال) رانيا !

(رانيا ، في مثل سخط امها ، تكاد تختنق لما في هذا النداء من خرق لقواعد الاحترام الواجبة من خادمة لسيدتها .)

لـــوكا : من حقى ان ادعوها رانيا : انها تدعونى لوكا . لقد اخبرت الميجور سارانوف انها لن تتزوجه ابـــدا اذا عاد السيد السويسرى .

بلنتشـــلى : (ينهض ، في دهشة بالغة) كـــذا !

لـــوكا : (تستدير الى رانيا) كنت اعتقد انك مغرمة به اكثر من سير جيوس . أنت تعلمين اكثر من غيرك ما اذا كنت على حـــق .

بلنتشـــلى : اى هراء ! اؤكد لكما يا عزيزى الميجور وياسيدتى العزيزة ان الآنسة الفاضلة لم تفعل اكثر من انهـــــا انقذت حياتى . ولم يحدث ابدا انها اكترثت بى مقدار قشتين . ولكى تقنعا بذلك فما عليكما الا ان تنظـــرا الى الآنسة والى . هى غنية وشابة وجميلة بخيالهاالذى يملأه اهراء الاساطير والنفوس النبيلة وهجمـــــات الفرسان وغير ذلك مما لايعلمه الا الله . اما انا فجندى سويسرى عادى لايكاد يعرف ما هى الحياة الكريمة بعد خمس عشرة سنة من الثكنات والمعارك : متشرد . رجل اضاع كل فرصة في الحياة من خلال نزعـــة رومانتية لاشفاء منها . رجل . .

سير جيوس : (ينتفض كالذى شكته ابرة ويقاطع بلنتشلى فيعجب غير مصدق) معذرة يا بلنتشلى : ما هو الشيء الذى اضاع فرص حياتك ؟

بلنتشـــلى : (فورا) نزعة رومانتية لاشفاء منها . لقد فررت من بيتى مرتين وانا طفل . وانخرطت في الجيش بـــدلا من اعمال والدى . وتسلقت شرفة هـــذا البيت في

الوقت الذى كان اى رجل لديه ذرة من عقل ينزل الى اقرب قبو . وجئت الى هنا متسللا لألقى نظـــرة أخرى على الآنسة في الوقت الذى كان اى رجل في سنى يكتفى بان يرسل السترة مع آخـــر .

بتكـــوف : ســترتى !

بلنتشـــلى : . . نعم : هى السترة التى أعنيها . . بان يرســـلها ويرحل الى بلده في هدوء . هل تظنون انني شخص من النوع الذى تقع في غرامه الفتيات؟ انظر الى سنى وسنها : انا في الرابعة والثلاثين : أما الآنسة فلا اظن ان عمرها يزيد كثيرا عن السابعة عشرة . (هـــذا التقدير يحدث هـــزة . الباقـــون جميعا يستديرون وينظرون الى بعضهم البعض . يستمر هو في سذاجة) كل هذه المغامرة التى كان فيها موتى وحياتى لم تكن بالنسبة لها الا لهوا كلهو تلاميذ المدارس . . كريمة الشوكلاته ولعبـــة الاستخفاء . هذا هو الدليـــل ! (يأخذ الصورة من على المائدة) . انا الآن احتكم اليكم . هل يعقل ان تبعث لى امرأة تأخذ هذه المسألة مأخذ الجد ، بهذه الصورة وتكتب عليها « من رانيا الى جنديها . جندى كريمة الشوكلاته : تذكارا »؟ (يبرز الصورة بحركة انتصار كما لو كانت تحسم الموضوع بما يسد ابواب الجدل) .

بتكـــوف : هذه هى الصورة التى كنت ابحث عنها . كيف بحق الشيطان وصلت اليك . (يترك مكانه لدى المدفـــأة ويقترب لينظر اليها ويجلس على الديوان العثمانى) .

بلنتشـــلى : (الى رانيا مجاملا) لقد وضعت النقط فوق الحروف فيما ارجو يا آنستى الفاضلة .

رانيــــا : (تذهب الى المائدة لتواجهه) انا متفقة معك تمامـــا في الوصف الذى وصفت به نفسك . انت رومانتى أحمق . (بلنتشلى يصعق بصورة تفوق الوصف) . المرة القادمة ، ارجو ان تستطيع التمييز بين تلميذة في السابعة عشرة من عمرها وبين امرأة في الثالثـــة والعشرين .

بلنتشـــلى : (مذهولا) الثالثة والعشرين !

(رانيا تخطف الصورة باحتقار من يده وتمزقها وتقذف بقطعها في وجهه وتعود مختالة الى مكانهـــا الســـابق .)

سير جيوس : (يستمتع بلا رحمـــة باندحار غريمـــه) بلنتشلى: الاعتقاد الوحيـــد الذى بقى لى ولّى وذهـــب . ان حكمتك حكمة زائفة ككل شيء آخر . ان حظك من العقل اقل حتى من حظى أنا .

بلنتشـــلى : (غير مصدق) ثلاثة وعشرون ! ثلاثة وعشرون ! (يتفكر) . حسنا ! (يحزم أمره بسرعة ويتقدم من مضيفه) في هذه الحالة يا ميجور بتكوف اسمح لى بالتقدم رسميا لطلـــب يد ابنتك بدل الميجور سارانوف المنسحب .

رانيــــا : يالجـــرأتك !

بلنتشـــلى : إذا كانت سنك ثلاثا وعشرين سنة حين قلت لى ذلك الكلام عصر هذا اليوم فسآخذه على سبيل الجد .

كاتـــرين : (بادب متعال) أنا أشك ياسيدى في كونك تدرك موقف ابنتي أو موقف الميجور سيرجيوس سارانوف الذى تريد أن تحتل مكانـــه ، ادراكا كامـــلا . ان اسرتي بتكوف وسارانـــوف معروفتان بانهما اغنى وأكـــبر اسرتين في البلـــد . مكانتنا تكاد تكون تاريخية : عراقتنا ترجع إلى عشرين سنة .

بتكـــوف : لا تعيرى هذه المسألة أهميـــة ياكاترين (الى بلنتشلى) كان ذلك يا بلنتشلى يكون ممـــا يسعدنا إذا كانت المسألة . مسألة مركزك وحسب . ولكن رانيا للاسف اعتادت على الرفاهية . ان سيرجيوس يملك عشرين جوادا .

بلنتشـــلى : ومن ذا الذى يريد عشرين جوادا ؟ ليس في عزمنا ان نفتح سيركا .

كاتـــرين : (بصرامة) ابنتي ياسيدى ألفت أن يكون لديها اسطبل من الطراز الاول .

رانيـــا : صه يا أمى : انت تجعليني أبدو مضحكة .

بلنتشـــلى : إذا كانت المسألة مسألة رفاهية ، تفضل ! (يهجم باندفاع على المائدة ويأخذ الاوراق التى يحتويها المظروف الأزرق ويلتفت إلى سيرجيوس) . كم عدد الجياد التى ذكرتها ؟

سيرجيوس : عشرون أيها السويسرى النبيـــل .

بلنتشـــلى : أنا عندى مائتا جواد . (تتولاهم الدهشة) . وكم عربة ؟

سيرجيوس : ثلاث .

بلنتشلى : وانا عندى سبعون . منها أربعة وعشرون تسع كل منها اثنى عشر شخصا بداخلها وشخصين على مقعد الحوذى غير الحوذى نفسه والكمسارى . وكم عندك من مفارش المائدة ؟

سيرجيوس : وكيف لى أن اعلم بحق الشيطان ؟

بلنتشلى : هل لديك منها أربعة آلاف .

سيرجيوس : لا .

بلنتشلى : أنا عندى هذا العدد من المفارش . وعندى تسعة آلاف وستمائة زوج من الملاءات والبطاطين وألفان وأربعمائة لحاف . وعندى عشرة آلاف سكينة وشوكة ونفس العدد من ملاعق الحلو . وعندى ثلاثمائة خادم . وعندى ست قصور فضلا عن اسطبلين لتأجير الخيل ، وحديقة شاى ومنزل خاص وعندى أربع مداليات للخدمة الممتازة وعندى رتبة ضابط ومركز جنتلمان . وعندى ثلاث لغات قومية . أرنى أى رجل في بلغاريا يمكنه أن يعرض ما أعرضه .

بتكوف : (بخوف طفولى) هل انت امبراطور سويسرا ؟

بلنتشلى : مقامى هو أعلى مقام معروف في سويسرا : أنا مواطن حر .

كاترين : اذن يا كابتن بلنتشلى وما دمت الشخص الذى وقع عليه اختيار ابنتى . .

رانيــا : (بتمرد) ليس هو الشخص الذى وقع عليه اختيارى

كاتــرين : (تتجاهلها) .. فلن أقف في سبيل سعادتها .
(يهم بتكوف بالكلام) وهذا أيضا هو شعور الميجور بتكوف .

بتكــوف : ثق أن ذلك سيكون من بواعث غبطتى . مائتا جواد ! !

سيرجيوس : ماذا تقول الآنسة ؟

رانيــا : (تتظاهر بالتمنع) الآنسة تقول انه يستطيع أن يحتفظ لنفسه بمفارشه وعربات اجرته .
انا هنا لست معروضة للبيع لمن يدفع أكبر ثمن .
(توليه ظهرها) .

بلنتشــلى : انا لن اقبل هذه الاجابة . لقد لجأت اليك كهارب وكمتسول وكرجل يتضور جوعا .
وقد اكرمت وفادتى واعطيتنى يدك لاقبلها وفراشك لانام عليه وسقفك لا حتمى تحته .

رانيــا : ولكننى لم أعطها لامبراطور سويسرا .

بلنتشــلى : هذا بالضبط هو ما أقوله . (يمسكها من منكبيها ويحول وجهها ليكون امام وجهه) والآن حدثينا لمن أعطيتها ؟

رانيــا : (تذعن بابتسامة خجلى) إلى جندى . جندى كريمة الشوكلاته .

بلنتشــلى : (بضحكة ابتهاج صبيانية) في هذا الكفاية . شكرا لك . (ينظر إلى الساعة ثم يتخذ وجهه فجأة تعبير

رجل الاعمال (. ليس لدينا وقت ياسيدى الميجور .
لقد دبرت سيادتك امر تلك السرايا بكفاءة تجعل
من المؤكد أن يطلبوا منك التخلص من جزء من
مدفعية فرقة التيموك .) ارسلها الى بلدها عن طريق
« لوم بلانكا » . وانت يا سارانوف : لا تتزوج
حتى أعود : سأكون هنا في الخامسة تماما من مساء
الثلاثاء بعد أسبوعين من اليوم . سيدتى الفاضلتين
(يقف « انتباه » ويصطدم كعباه) طاب مساؤكما .
(ينحنى لهما انحناءة عسكرية ، وينصرف) .

سيرجيوس : ياله من رجـــل ! ولكن أهو رجل حقـــا !

مقدمة بقلم المترجم

لمسرحية كانديدا

قصة كانديدا لدى النظرة الاولى ، هي قصة صراع يقوم بين رجلين على امراة . قصة الزوجة المهجورة التي تزدحم حياة زوجها بالمشاغل والتي تسوق اليها الظروف شاعرا يحبها حبا جما ، وقصة الزوج الذى تتفتح عيناه على حقائق فى حياته الزوجية لم تكن تخطر له على بال .

وقد كتب برناردشو عددا من المسرحيات الاجتماعية التي تعالج مثل هذا الموضوع ، ولكن شيئا ما فى هذه المسرحية يحمل المرء على الاعتقاد بأن مؤلفها لم يرد لها أن تكون مسرحية اجتماعية بل أراد ، من وراء شخصياتها واحداثها الظاهرة ، ان يتعرض لموضوع آخر بعيد ترمز اليه هذه الشخصيات والاحداث ولكن ادراكه يحتاج من جانب القارىء او المشاهد الى مجهود ذهني والى وقوف لدى بعض سمات المسرحية التي لا تتفق مع المعنى الظاهر .

وأول ما يسترعى النظر في هذا الصدد أن مارشبانكس لا يتصرف فى هذه المسرحية تصرف المحب التقليدى . ان أول ما يحرص عليه المحبون فى مثل ظروفه هو اخفاء حقيقة مشاعرهم نحو الزوجة من الزوج ثم هم يعلنون حبهم للمراة المحبوبة ويعملون فى وقت واحد على اهدار قيمة الزوج فى عين الزوجة وعلى الظهور امامها فى أجمل صورة ممكنة . فهل فعل مارشبانكس ذلك ؟ .

الذى فعله هو عكس ذلك تماما ، فهو أولا لم يخف مشاعره نحو كانديدا عن موريل بل حرص منذ بداية المسرحية على اطلاعه على حبه لزوجته ، ولما حاول موريل التهوين من أمر هذا الحب انفجر فيه انفجارا غير متوقع واصر على انه ليس حب مراهقين ، وهو يعود بعد ذلك فيؤكد له انه مجنون بها . وهو فى موضع آخر يستفزه قائلا « اقبض عليّ من ياقة القميص يا موريل وستصلحه لي هي بعد ذلك .. ساحس بيديها تلمسانني » ، وهو استفزاز لم نسمع بمثله . وهو ثانيا لم يحاول ان يصارح كانديدا بحبه لا قبل ان يحضرا الى لندن ولا فى الخلوة التي هيأها لهما موريل فى بيته . وهو ثالثا لم يحاول الطعن فى موريل امام كانديدا من ورائه ولا أن يخفى عنها عيوبه الشخصية بل كان يثبت على نفسه امامها وامام زوجها صفات تعد من المثالب .

ويسترعي الالتفات في المقام الثاني ذلك الهجوم المركز الذي شنه مارشبانكس على موريل . وللمرء ان يتساءل عن مبررات هذا الهجوم وبواعثه . لقد كان موريل حفيا به فآواه واكرمه وفتح له بيته وائتمنه على عرضه . وكان المفروض ان يداخل مارشبانكس ازاءه شيء من الشعور بالذنب لا أن يعلن عليه هذه الحرب التي لا ترحم.

وفضلا عن ذلك فان موريل لا يبدو لنا ـ لأول وهلة ـ في صفاته العامة والخاصة بالبشاعة التي يصوره بها مارشبانكس . انه رجل لا تنقصه الصفات الحميدة سواء كانسان او كرجل دين أو كزوج . فهو أولا طيب القلب يرق قلبه للفتى الذي وجده على جسر النهر . وهو يعطي وشاحه للكسى لانه يخاف عليه من البرد وهو يحسن معاملة سكرتيرته ومساعديه . وهو ثانيا انسان متواضع يتخلف عن حفلة عشاء تقيمها له شركة كبيرة ليلقى محاضرة دعته اليها جماعة من باعة الخضر المتجولين الفقراء وهو يعتبر هؤلاء الباعة اخوة له ويعاقب سكرتيرته لانها تترفع عنهم ، ولا يجد غضاضة في ان يعترف لمارشبانكس بأنه يستشف فيه ما يبشر بامكانيات أسمى مما يستطيع هو أن يدعيه يوما لنفسه ، وهو انسان شديد في الحق يقاطع حماه لانه يدفع للعاملات في مصنعه أجورا لا تكفي لاقامة الأود . وهو كرجل دين لا يكتفي من الدين بجانب العبادة بل يرى أن له رسالة اجتماعية هامة . وهو غير متعصب ولا ضيق الافق فهو عضو في جمعيات ذات اتجاهات اصلاحية مختلفة وهو لا يجد حرجا في القاء المحاضرات مهما اختلفت مبادئه مع مبادىء الجماعة الداعية له الى الكلام ولا يدخل بالثناء على رئيس جماعة يختلف معه في العقيدة اختلافا شاسعا . وهو فقير غير مرفه وهو يقدر مسئولية رجل الدين ويرى ان القس كالطبيب عليه ان يواجه العدوى كما يواجه الجندي الرصاص ، ويعنف المترددين على كنيسته لانهم لا يسلكون السلوك الديني الصحيح . وهو كزوج يحب زوجته ويشعر بسعادة غامرة لان الله منَّ عليه بها ويحمل نفسه من الجهد فوق ما يطيق ليدفع دينه للسماء عن سعادته معها . هو باختصار قسيس ناجح وخطيب مفوه وانسان تحبه زوجته وتحبه جميع سكرتيراته ويتخذه مساعده قدوة له ومثلا . ما الذي يستثير مارشبانكس اذن في صفاته ويجعله يتهمه بالدجل والزهو والغرور ويصفه بالثرثرة وبأنه خنزيري الرأس ؟ .

ثم ما الذي يجعل مارشبانكس ، من الجهة الاخرى ، يريد أن ينغص عليه عيشته ويفسد عليه سعادته ؟ ، ما الذي يجعله يحاول ان يهز ثقته بنفسه ويحطم معنوياته ويزلزل كيانه ؟ .

اذا لم يكن لدى مارشبانكس داع قوى يحمله على الوقوف من موريل مثل هذا الموقف فهو انسان وضيع يستحق ما نعته به موريل حين قال عنه انه خائن وعابث وشيطان حقير .

ولكن كيف يكون مارشبانكس خائنا وشيطانا حقيرا بالنسبة لموريل ويكون في الوقت ذاته موضع اعزاز كانديدا وتقديرها وحدبها ؟ .

هذه كلها نقاط لا يستقيم معها تكييف المسرحية على انها قصة صراع على امراة بين مارشبانكس وموريل ، ولو كانت القصة هي قصة هذا الصراع مع وجود تلك المفارقات الغريبة لكانت قصة متداعية الحبكة ضعيفة البنيان .

والذى نرجحه ان مسرحية « كانديدا » مسرحية لم يقصد بها معناها السطحي وان مؤلفها اراد لوريل فيها ان يمثل الكنيسة او الديانة السائدة ولكانديدا أن تمثل سيدة مسيحية اهتدت بحكمة فؤادها الى الدين القويم ولمارشبانكس ان يمثل شاعرا اهتدى بالهامه الى انها روح يهدى الى نور الحق واليقين . والذى نرجحه ايضا أن برناردشو اراد عن طريق هذه المسرحية ابداء رأيه فى عدد من المسائل المتعلقة بالدين .

ان برناردشو معتقد ـ كما قال فى مقدمة « مسرحيات سارة » عن هذه المسرحية ان الدين واحد . وهو يعتقد ايضا ويقول ذلك فى كتابات اخرى ... ان الناس قد اختلفت فى الدين فأصبح له مائة صورة وصورة . وهو يعتقد كذلك ان المسئول الاول عن ضياع الدين هي الكنيسة (١) وهم رجال الدين (٢) وذلك لعدة اسباب منها ان الفساد كثيرا ما يستغل الكنيسة ونواياها الطيبة فى قضاء مآرب لا يقرها الدين وان الكنيسة تعتمد فى مواردها على تبرعات قوم سلوكهم ليس دائما فوق مستوى الشبهات وانها مضطرة من ثم الى مصانعتهم ورعاية مصالحهم ، وان رجال الدين الذين يلقنون الناس تعاليم الديانة والذين يتخذهم الناس قدوة لهم بشر ضعفاء اذا غووا ـ بالفعل

---

(١) تطلق كلمة الكنيسة عند الغربيين ويقصد بها أحد معنيين : الاول ـ وهو المعنى المتداول فى البلاد العربية ـ هو المبنى الذى تقام فيه الصلاة والشعائر الدينية عند المسيحيين ، ويقابلها المسجد عند المسلمين ، والثانى ، وهو الذى نعنيه هنا ـ هو الجهة التى تتولى كافة الامور الدينية والمالية والادارية المتعلقة بكل مذهب من مذاهب الديانة المسيحية ، كتعيين رجال الدين ، وتحديد درجاتهم ومناطق اختصاصهم واقامة الكنائس والمدارس الدينية والاديرة وارسال البعثات التبشيرية الخ ، فهناك « الكنيسة الكاثوليكية » ويرئسها البابا ، وهناك « كنيسة انجلترا » او « الكنيسة الانجليكانية » وهى التى تتولى شئون الديانة البروتستانتية الرسمية فى انجلترا ويرئسها قسيس بدرجة اسقف،وهناك عدد آخر من الكنائس البروتستانتية والارثوذكسية المختلفة .

(٢) برناردشو مع ذلك لا يطلق الحكم ويرى أن بعض رجال الدين يفيدون المجتمع وقد راينا فى مسرحية « بيوت الارامل » ان الخصم الحقيقى لمالك البيوت الحقيرة الاستغلالى كان رجل دين لم يظهر على المسرح ، وهو يرى بصفة عامة أن جوهر رجل الديانة كانسان ـ وليس كقسيس ـ هو خير ما فيـه .

او بالقول او بالصمت ـ أغووا بعض الناس واضعفوا ثقة الآخرين فى الدين ، وان الدين كامل والحلال بين والحرام بين ، وان صفة القسيس تطمس جوهر الانسانية فى الرجل ، وان كل انسان يجب ان يفكر فى الدين بعقله وضميره بغير عون من أحد فكل انسان مسئول عن نفسه ، وان محاولة رجل الدين اصلاح الديانة بالاشتراكية محاولة عقيمة فالوسيلة الوحيدة لاصلاح الدين هى تربية عقل الانسان ، هذه هى المعاني التي اراد برناردشو ـ فيما نرى أن يعبر عنها فى هذه المسرحية .

ان مارشبانكس يفهم سر كانديدا وهو لا ينظر اليها كامرأة جميلة ـ كما يفعل القس ميل مثلا ـ او كامرأة يمكن لرجل ان يدخل معها فى علاقة غرامية ، ولكن كروح عظيم ، تفهم الدين فهما صحيحا ، ولا ترضى عما آل اليه حاله وحال الناس .

ولكن يبعد المؤلف عن اذهاننا فكرة أن مارشبانكس يحب كانديدا حب الرجل للمرأة حين جعله ينفر من السعادة التي تستمد من مثل هذا الحب ، فهو يشعر بالاشمئزاز حين يشير موريل من بعيد الى الجانب الحسى فى العلاقة الزوجية ، وحين يتمنى له موريل ان يتزوج امرأة كانديدا يرفض الاعتراف بمثل السعادة التي تترتب على هذا الزواج ، وهو يصاب بالذعر حين تقول بروسبرين انها تفضله على القس اسكندر ميل ويهرب منها كما لو كانت تريده بسوء . وهو اذا شعر بسعادة فى حبه لكانديدا فانما هي سعادة روحية تعيش على نفسها ولا تطلب محبة الطرف الآخر وهو يتنازل حتى عن هذه السعادة فى النهاية ويقول ان الحياة أنبل من السعادة . وهو اذا كان يبحث عن الحب ، كما يستفاد من حديثه مع بروسبرين ، فانما يبحث عنه بمعناه العام الواسع العريض الذى يشمل الانسانية كلها وكائنات الارض جميعا لا عن حب انسان بذاته . هو بعبارة اخرى يحب ذات الله ويفنى فى حبها ولكن الحياء يعقد لسانه فلا يجرؤ ـ كالمتصوفين ـ على طلب المحبة الالهية .

اذا كان مارشبانكس قد قال لموريل انه يحب زوجته فحبه اذن نوع من التقديس ، والشواهد على ذلك كثيرة نجدها في أكثر من موضع من المسرحية .

نجدها أولا فى هذه العبارة : « ان الناظر الذكي الفؤاد اذا تطلع اليها ـ أى الى كانديدا ـ يدرك أنه ايا كان الشخص الذى وضع لوحة « صعود العذراء » فوق مدفأتها فانه فعل ذلك لانه تخيل شبها روحيا ما يجمع بينهما » اى بين كانديدا وبين العذراء مريم أم المسيح عليه السلام .

ونجدها ثانيا فى قوله : « ان امرأة مثل كانديا تملك بصيرة كبصيرة الالهة وانها تحب ارواح الناس لا حماقاتهم وغرورهم وأوهامهم ولا ياقاتهم وستراتهم ولا غير ذلك من الخرق والاسمال الباليه التي يتدثرون بها » وقوله : « انها امرأة ذات روح عظيم تواقة الى الحقيقة والصدق والحرية وانها ، استحالت الى ملاك » ، وفى حديثه عن مركبة الخيل التي يريد أن يهديها لها لتصعد بها فى عنان السماء حيث النجوم هي المصابيح ، وفى كونه حين يفكر فيها لا يفكر او يشعر ابدا بمسز موريل ، الانسانة

والزوجة ، وفى ان كل نداء يناديها ، هو صلاة لها ، أى صلاة للنقاء والبراءة والطهر وهي المعاني اللغوية لكلمة « كانديدا » ، وانه حين يكون معها يحس انه فى السماء وانه غير محتاج الى شيء .

ومارشبانكس بعد ذلك انسان ملهم « ذو طبيعة لا أرضية يرى فيها ذوو الفطرة الشاعرية قبسا من الملائكية . وهو ليس كسائر من قال عنهم موريل انهم قد يصعدون الى أعلى القمم ولكنهم لا يستطيعون ان يلبثوا فيها طويلا ، بل هو يستطيع ان يلبث هناك الى الابد،واللحظات الاخرى هي التى لا يستطيع أن ينعم فيها بالراحةاو يشعر بمجد الحياة الصامت .

ان طبيعة « لا أرضية » مثلطبيعة مارشبانكسلا تجد راحتها فى هذا العالم المادى البغيض.ومن هنا أعلن ـ أى مارشبانكس ـ التمرد على حياة الترف والتفاهة التي تعيشها أسرته ومجتمعه وخرج يبحث عن الحقيقة بين أحضان الطبيعة وفى الكتب ، ولما التقى بكانديدا أحس بأنه وجد ضالته فتعلق بها واستظل بظلها واصبح رضاها مناه وسخطها عذابه واحسأنه يفهمها بصورة لم تتيسر لاقرب الناس اليها وان طريقها هو الحق والصدق وما سواه هو الباطل والضلال .

لقد قال شو فى مقدمة مسرحيات سارة انه كتب مسرحية **كانديدا** ليهاجم المسيحية الاشتراكية . وهذه النية المعلنة وسائر الدلالات هي التي حملتنا على القول بأن حب مارشبانكي لكانديدا هو حب روحي وديني وليس حبا عاطفيا مما يصادفه الانسان فى القصص والمسرحيات الرومانسية . ونحن نستطيع على هذا الاساس ان نجد للمفارقات التي أشرنا اليها تفسيرا يستقيم مع مغزى أحداث المسرحية ، وذلك على النحو الآتي :

ان مارشبانكس لا يخفى حبه لكانديدا عن موريل لانه ليس حبا آثما ، وهو لم يحاول ان يصارح كانديدا بحبه لان حب الانسان للمثل الاعلى هو بطبيعته حب من طرف واحد . كذلك فهو لم يحاول الحط من قدر موريل فى عين كانديدا لأنه ليس عيابا بطبعه وهو لا يحاول ستر عيوبه عنها ولا أن يظهر امامها فى أجمل صورة لأنه لا يريدها لنفسه . اما علة الهجوم الذى شنه على موريل ورغبته فى تقويض سعادته رغم خصاله الحميدة فتكمن فى الحقيقة الآتية : انه ـ اى موريل ـ لم يفهم الدين حق فهمه وخان الامانة بأن انصرف عن تعاليمه الصحيحة وراح يدعو الى صورة مشوهة من الدين ورضى عن نفسه حيث كان الواجب ان يسخط عليها . وقد رأى مارشبانكس من واجبه ان يقف من موريل هذا الموقف لأنه رأى نفسه مكلفا برسالة واذا كان موريل قد أحسن اليه فان مسئوليته قبل الحقيقة الالهية أكبر ومن واجبه ان يوجه الاتهام الى موريل لأنه من المتسببين فى ضياع الدين ورسالات الانبياء .

ولكن موريل غافل عن كل هذا لأنه مشغول بنفسه وبمواعظه ، وهو لا يرى فى كانديدا الا انها زوجته وربة بيته وفى مارشبانكس الا انه فتى يعض اليد التي احسنت اليه .

وقد تحرى شو فى رسم شخصية القسيس الا تكون شخصية ذميمة لئلا يترك مجالا لقائل أن يقول ان رأيه اذاكان صحيحا بالنسبة لرجل الدين السيئ، فان رجل الدين السيئ لايمثل الكنيسة ، ومن ثم فقد جعل موريل حميد الصفات وحسن النية بحيث يمكن اعتباره نموذجا طيبا لرجل الكنيسة ، ولم يجعله منافقا ولا فاسقا ولا نفعيا يستغل صفته الدينية في مآرب شخصية . كذلك لم يجعل شو موريل رجعيا ضيق الافق متعصبا لافكار ونظريات دينية لا تساير روح أواخر القرن التاسع عشر بل جعله — فى براعة نادرة المثال — يؤمن بنفس المبادىء التي يؤمن بها هو نفسه (أى المؤلف) ووضع فى مكتبته عددا من كتب الاقتصاد والاجتماع ومن الكتابات الدينية الحديثة التي تأثر بها هو نفسه . واخيرا لم يجعل شو من موريل انسانا تافها بل جعل له شخصية قوية وقدرة خاصة فى التأثير على الناس .

ولنحاول الآن فى ضوء ما سبق من شرح أن نستخلص من أحداث القصة ومن أفواه شخصياتها العبرة او العبر التي اراد لنا المؤلف ان نخرج بها منها — ولنتابع أولا ما تقوله كانديدا لموريل فهو جوهر المسرحية ولبّها .

انها تخاطبه برفق وفى عطف فتقول : « لماذا تتمسك بالخروج كل ليلة لكي تحاضر وتتحدث .. كلامك طبعا جيد للغاية ولكنه لا يجدى فتيلا . هم لا يعبأون شروى نقير بما تقول . هم يحسبون أنهم متفقون معك ولكن ما قيمة موافقتهم اذا كانوا فى اللحظة التي تدير لهم فيها ظهرك يمضون لحالهم ويفعلون عكس ما تنهاهم عنه بالضبط . انظر الى المترددين على كنيستنا .. ما الذى يجيء بهم ليستمعوا اليك وأنت تتحدث عن المسيحية كل يوم أحد ؟ مجرد أن حياتهم حافلة بالاعمال والجرى وراء المال ستة أيام فى الاسبوع لدرجة تجعلهم يحاولون نسيان كل ما يتعلق بها وأخذ نصيب من الراحة فى اليوم السابع ، لكي يعودوا بعد ذلك الى أعمالهم فى انتعاش ويجروا وراء المال بأشد من ذى قبل . انت فى الواقع تحثهم على ذلك بدلا من أن تزهدهم فيه » . وهي تقول له : أن الناس تتردد على كنيسته يوم الاحد لان الاماكن الاسوأ — أى دور اللهو — مغلقة فى ذلك اليوم ولأنهم لا يجرؤون على أن يراهم احد وهم يرتادونها ولأن وعظه رائع الى درجة لا تقل بالنسبة لهم عن مسرحية. وتقول أيضا : ان النساء لسن متحمسات له ، كما يظن هو ، بسبب اشتراكية وتعاليم ديانته ، لأن هذا لو كان صحيحا لاتبعوا ما يقوله بدلا من الاكتفاء بالحضور لمشاهدته ، ولكنهن متيمات به كرجل ، وتقول له اخيرا « انت متيم بالوعظ لأن وعظك ساحر . أنت تتوهم ان كل هذا ليس الا حماسا لمملكة السماء على الارض وهن يتوهمن ذلك أيضا » . وفى موضع آخر تقول ان مواعظه لا تساوى عندها قلامة ظفر « فما هي الا عبارات تغش بها نفسك وتغش بها الناس كل يوم » .

والكلام واضح لا يحتاج الى تأويل ويمكن تلخيصه فى ثلاث حقائق كبرى : ان الناس تتردد على الكنيسة للراحة والترفيه والظهور بمظهر التدين لا للعبادة والدليل انهم — مهما قال موريل — لا يكفون عن الجرى وراء المال وان موريل متيم بالوعظ حبا للوعظ وان وعظه فى الواقع غش وخداع وهو يأتي بنتيجة عكسية .

ولم يدرك موريل أن قول زوجته هو صوت الدين الصحيح وكان كل ما خرج ، منه ان زوجته نفسار من بروسبرين ومن المترددات على الكنيسة لسماعه . ولما رات كانديدا انها لم تنجح فى اقناعه بوجهة نظرها لم تصر بل اكتفت بأن تسجل عليه تناقضه حين قالت فيما بعد انه هو الذى علمها ان تفكر بغير عون من أحد ، وهذا القول يعتبر فى رأينا محور المسرحية لانه يلخص فلسفة شو فى الدين التي من مقتضاها ان الانسان ينبغي ان يفكر فى وسائل الدين بغير عون من رجال الدين وهو اذا فعل ذلك سيصل الى مفهوم للدين قد لا يقرّه رجال الدين ولكنه هو المفهوم السليم اذا كان صاحبه سليم النية حكيم الفؤاد .

فاذا تساءلنا بعد ذلك من أقوال مارشبانكس وجدنا ان رأيه فى موريل لا يختلف كثيرا عن رأى كانديدا وان كان موقفه ازاءه ليس فيه تسامحها . انه يقول لموريل : « ان الهلع يدركني كلما تصورت كمية الدجل التي كان عليها ان تتجرعها كل تلك السنوات الطويلة المملة التي جعلتك الانانية وعمى البصيرة تضحى خلالها بامرأتك على مذبح غرورك ، انت الذى لا تشترك معها فى فكرة او معنى واحدا . جملة قصيرة يتهمه فيها بالدجل وبالانانية وبعمى البصيرة وبالغرور (والمقصود بالزوجة هنا هو الدين) . وهو يصف كلام موريل بأنه « استعارات ومواعظ وخطب عصماء عفا عليها الزمن ، وتشدق بالالفاظ » ويقول ان موهبته هي موهبة الثرثرة لا اكثر ولا اقل وأن قدرته على الكلام المنمق لا تمت الى الحقيقة بصلة . وهو يقول له ان زوجته (يعنى ديانته) تحتقره فى قلبها كما احتقرت زوجة الملك داود زوجها ، وقصة الملك داود مع زوجته قصة وردت فى الكتاب المقدس (أخبار الايام الاولى : الاصحاح الخامس عشر) بشأن نقل التابوت الذى يشتمل على الالواح الى مدينة داود ، فى هذه العبارة : فكان جميع اسرائيل يصعدون تابوت عهد الرب بهتاف وبصوت الاصوار والابواق والصنوج يصوتون بالرباب والعيدان . ولما دخل تابوت عهد الرب مدينة داود أشرفت ميكال بنت شاؤول من الكوة فرأت الملك داود يرقص ويلعب فاحتقرته فى قلبها » . وهو يسأل موريل : « ما مثلك الأعلى انت وكل هؤلاء الناس الشتبعين الذين يعيشون فى هذه الصفوف البشعة من الدور ؟ » يعنى بذلك الناس جميعا ، ثم يرد على السؤال بقوله : « المواعظ وفرش دمك البلاط ، على ان تقوم انت بالقاء المواعظ وتقوم زوجك بدعك البلاط » . وهو يعير موريل بأنه يترك زوجه توسخ يديها فى زيت الكيروسين وتنظيف ارضية البيت وتقوم بالطهي فهو — أى مارشبانكس — يعتقد ان الحقيقة التي تحملها كانديدا والتي يدفنها زوجها فى المطبخ وفى أعمال البيت هي الحقيقة الدينية العليا التي يحتاج اليها العالم ليهتدى وتنصلح احواله وانه كان الاولى بموريل بدل الثرثرة الفارغة بمفهومه الدنيء الخاطىء ان يجعلها رسالة حياته ويعمل لها ويذيعها فى العالمين . ولم يفهم موريل ما فى كلام مارشبانكس من مغزى عميق رغم انه كان يرى « ان روح الانسان المقدسة وهي نفحة من عند الله لا تقترب من صورة الخالق فى أحد كما تقترب منها فى شخص الشاعر » ، ولم يدرك انه حين كان يقول انه مجنون بكانديدا وانها ملكه لم يكن يعني كانديدا المرأة ولكن كانديدا الروح والعقيدة ، ولم يتنبه الى المعنى الكامن وراء اتهام موريل له بالحماقة وبانه لا يفهم

كانديدا ولا الى حقيقة الأفكار التي يتحدث عنها فى عبارات كقوله « انا لا اخشى أفكار قسيس وسأحارب افكارك » و « سأنقذ زوجتك من استعباد هذه الأفكار واسلط عليها افكارى انا » و « انت تطردني من بيتك لانك لا تجرؤ على السماح لها بأن تختار بين أفكارك وافكارى » ، ولا الى المعنى المختفي وراء قوله : « الرجل الذى اريد ان القاه هو ذلك الذى تزوجته كانديدا . لا اعني القس الداعية الاخلاقي والطبل الاجوف بل أعني الرجل الحقيقي الذى لابد أن القس المحترم جيمس قد أخفاه فى مكان مّا داخل سترته السوداء ، الرجل الذى احبته كانديدا » وهو ان احتراف الدين يشوه جمال الفطرة الانسانية التي برأها الله . كذلك لم يحاول موريل ان يقف لحظة عند موقف الحزن والألم الذى وقفه مارشبانكس حيال كانديدا حين رأى ـ او ظن ـ انها تعذبه ولا عندما تنطوى عليه عبارات مثل : « كنت اشعر حيالك بنفور وكان هذا هو السبب فى أنني كنت اجزع اذا مسستني ، ولكنني رأيت اليوم حين علمت انك تحبها ومنذ تلك اللحظة أصبحت صديقك » ومثل « كان حبي لها من الروعة بحيث لم يكن لى مطلب اكثر من السعادة التى يجلبها ذلك الحب « ومثل » لا ابغى الآن شيئا سوى سعادتها » وليس فيها كلمة تحمل معنى الاستئثار الذى هو قوام حب البشر بل أعمته الغيرة وكان كل ما تخيله أن مارشبانكس واقع فى غرام كانديدا ويريد ان يخطفها منه .

وكما ان حديث مارشبانكس عن محبته لكانديدا حجب عن موريل حقيقتها التي يعنيها ، كان حديث كانديدا عن مارشبانكس من العوامل التي حجبت عن موريل حقيقته . لقد اعربت كانديدا لموريل عن اعزازها لمارشبانكس وقالت انه لا يحظى من الحب بما هو أهله رغم شدة حاجته اليه بينما يحظى هو بقدر اكبر مما يناسبه كما قالت كلاما يفهم منه انها تشعر حياله بالمسئولية وتخشى الا يغتفر لها انها لم تلقنه الحب بنفسها وتركته للنساء الشريرات اللائي يتصور ذوو الشاعرية من الرجال انهن ملائكة . وكان كل ما فهمه موريل من هذا الكلام ومن أقوال سابقة سمعها من مارشبانكس تدل على اعتزازه بنفسه . ان المحذور قد وقع وان كانديدا ـ المرأة ـ احبت مارشبانكس الرجل وانها توشك ان تفر معه او ان تحيد عن الصراط ، فقال لها ـ فى محاولة لتذكيرها بواجبها وبفضيلتها ـ انه يثق فى طيبتها وفى طهرها وتوهم ان قبلتها له هي قبلة الخيانة ، والواقع ان ما قصدته كانديدا ـ التي كانت تجهل ان مارشبانكس قد توصل الى النور الذى اهتدت اليه وانه يعتبرها قديسة ـ تخشى على مارشبانكس من فتنة الدنيا وتريد ان تنبهه باومتها الى انه ليس كل من لبس رداء الملائكة ملاكا ، ولو انه خطر ببالها أن تخون زوجها لكان زوجها آخر من تفكر فى ابلاغه بذلك .

هذا عن كانديدا وموريل ومارشبانكس ، فما الذى يمكن ان يقال عن بروسبرين والقس اسكندر ميل وبرجيس وهي شخصيات المسرحية الثانوية ؟

ان صلة بروسبرين بالدين نابعة من حبها الرومانسي لموريل ، ونظرتها الى الدين من ثم كانت نظرة خاطئة . والفرق بين رأيها فى موريل وبين رأى مارشبانكس انها تنظر اليه كرجل بينما ينظر مارشبانكس اليه كقسيس ، ولذا فهي ترى انه جدير

بالحب وهو يستغرب منها هذا الرأى لان الدين يطلب من الانسان اكثر من ان يكون رجلا طيبا . اما القس اسكندر ميل فموريل يمثل بالنسبة له المثل الاعلى فى فضائل الداعية الديني . واما برجيس فهو يستحق ان نقف عنده لحظة اطول .

وكما فعل شو فى تصوير شخصية موريل فانه لم يصور برجيس صورة بالغة البشاعة لانه اراد ان يتخذ منه نموذجا يرمز به الى القاعدة العريضة من التجار ورجال الاعمال المترددين على الكنيسة يوم الاحد والتي كانت كانديدا تعنيها خلال حديثها مع موريل حول نشاطه الديني ، فلم يحرمه من الخلال الحسنة بل قال انه لا يحمل فى قلبه ضغيفة او حسدا وانه فى حياته الخاصة لين العريكة طيب القلب يحب المرح . اما صفاته السيئة فقد ارجع اغلبيتها لا الى طبيعة اصيلة فيه ولكن الى نوع النشاط الذى يقوم به مثلا أن غلظته وحقارته تولدتا نتيجة لانانيةالتجارة التي هي أنانية لا مفر منها وان الغرور البليد جاءه نتيجة لافراط التغذية والنجاح التجارى كما تولد عنده الجشع لانه لم يجد عملا ذا دخل كريم سوى عمل من يعيشون على عرق غيرهم ، وكلها ظروف مخففة اراد شو من ذكرها ان يشير من طرف خفي الى مسئولية المجتمع فى خلق اسباب الفساد احيانا وهي مسئولية يشترك فيها رجل الدين باعتباره من دعائم هذا المجتمع ومن حراسه .

لقد ابدى برجيس رايه فى موريل وفى الكنيسة فى أقوال تحمل على الابتسام مثل : أحمق كبير كعهدى بك دائما يا جيمس « و » ان قليلا من الحمق يعتبر ميزة لرجل الدين « و » الانسان لا يحمل كل ما يقوله رجل الدين محمل الجد والا ما استطاعت عجلة الدنيا أن تدور « و » كن مسيحيا « و » كل هذا يفيدك يا جيمس فهو يجعل اسمك يظهر فى الصحف ويصنع منك رجلا عظيما « و » كيف سمح لك بالوعظ بتاتا . انا أعرف قسيسا اوقفه اسقف لندن عن عمله عدة سنوات رغم ان المسكين لم يكن أكثر منك ورعا « و » انت وفريقك اصبحتم ذوى نفوذ . لا بد أن ينعموا عليك بمنصب كبير فى يوم من الايام ان لم يكن لشيء فلكي يسدوا فمك « و » مهما يكن ، فقد ادركت انت بالفراسة ما يجب عمله فالخط الذى اخترته هو الخط الرابح لرجل من طرازك » الى آخره . وكثير من هذا الكلام يمثل اراء برناردشو نفسه الذى يقول فى مقدمة « مسرحيات سارة » ان « الديانة بعثت الى الحياة وعادت الى الناس بل والى رجال الدين بقوة بلغ من شدتها ان احدا لم يستطع ان يحول دونها حتى ولا كنيسة انجلترا » .

وقد اراد شو أن يوضح قصر نظر رجل الكنيسة ــ او ما يسميه برجيس بالحماقة ــ فى موضعين من هذه المسرحية هما سبب القطيعة وسبب المصالحة . لقد كان موريل قصير النظر فى مقاطعته لبرجيس لانه لم يدرك ان المنطق الذى جعل برجيس يدفع لعماله اجور كفاف هو منطق الربح والمنافسة الذى يقره المجتمع والكنيسة وان مقاطعة برجيس لن تجدى فى اصلاح الاحوال وأن الذى يجدى ــ وهذا هو ما حدث بعد ذلك هو حماية العاملين وفرض اجور دنيا لهم . وكان موريل قصير النظر فى مصالحته لبرجيس لانه فرح بالاجور المرتفعة التي اصبح

بدفعها للعمال وفاته ان ادخال الالات فى المصنع قد ترتب عليه للعاملات وضع أسوأ من الوضع القديم لانه يقطع مورد رزقهن ويحرمهن حتى من أجور الكفاف ويعرضهن لشر مما كن يتعرضن له من قبل .

وقد جمع شو برجيس والقس ميل وبروسبرين فى مناسبة لا يجب أن تفوتنا الدلالة التي ارادها المؤلف منها : لقد طلب موريل من برجيس أن يصحبه الى المحاضرة ولكن برجيس رفض فى بداية الامر فهو يرى ان موعظة دينية واحدة فى الاسبوع يوم الاحد فيها الكفاية . ولم يجد موريل وسيلة لاغرائه بالذهاب سوى ان يعده بتقديمه لرئيس جماعة القديس متى الدينية الذى هو عضو ذو نفوذ فى لجنة الاشغال فى المجلس البلدى اى ان يلوح امامه بما يمكنه ان يجنيه من التعرف عليه من كسب مادى ، وهذا اغراء لا يتفق مع كرامة رجل الدين الذى يريد ان يصلح المجتمع والذى ينادى بالامانة وبالقيم العليا . وقد ذهب برجيس تحت هذا الاغراء الى المحاضرة الدينية ، التي كانت من أروع محاضرات موريل ، ومع ذلك ما الذى حدث بعدها مباشرة ؟ نفس ما كانت تقوله كانديدا لموريل : دعا برجيس رئيس الجماعة الدينية الى العشاء ودعا معه القس اسكندر ميل وبروسبرين وسقا الجميع شمبانيا ، وهي الخمر واغلى انواع الخمر ، وعاد مسرورا الى البيت وعادت معه بروسبرين المحبة لموريل ومسيحيته واشتراكيته سكرى تتطوح بعد أن حنثت بوعدها بالا تقرب الخمر وعاد معه القس اسكندر ميل ، رجل الدين ، وهو يلهج بالثناء عليه ، فى الوقت الذى كانت دعوته لا تنبع من أريحية خاصة ، ولكن من نية مشبوهة ومن غرض مبيت لاستغلال نفوذ عضو المجلس البلدى فى خدمة مصالحه فى مناقصات التوريد التي يطرحها المجلس والتي يجنى هو من ورائها مالا وفيرا .

لقد اطلق شو على هذه المسرحية اسم كانديدا ولكن بطلها الحقيقي فى الواقع هو موريل . والمسرحية تمثل فى خطوطها العريضة محاكمة لموريل فى محكمة الديانة الصحيحة . وكان أحد الادوار التي لعبتها كانديدا فى هذه المسرحية هو دور القاضي والحكم . وقد تطورت الامور فى المحاكمة الى خصومة بين المتهم وبين ممثل الادعاء الذى هو مارشبانكس . وسمعت كانديدا مرافعة طرفى الخصومة واصدرت حكمها . وتغلبت رحمة القاضي على عدله واعترف المتهم بعد صدور الحكم . اما الادعاء ، لقد رأى ان مهمته انتهت وانصرف بعد رفع الجلسة بعد أن ركع — كما ركع المتهم قبله — امام رحمة القاضي وعطفه .

وبعد ، فهذا هو مدى فهمنا للمعنى البعيد لمسرحية « كانديدا » وهو فهم اجتهادى كان مما دلعنا اليه موقف المؤلف نفسه من شخصية مارشبانكس . لقد رسم شو هذه الشخصية بكثير من العطف والرعاية . ولو ان حب مارشبانكس لكانديدا كان مجرد حب رومانسي مثالى لامراة عادية مهما بلغ حظها من الروعة لاغرقه شو فى بحر من تهكم وسخرية . ولكن الذى حدث انه جعل كانديدا تحترم مواطفه احتراما كاملا وتقف فى صفه باستمرار وتقول انه دائما على صواب وانه يفهم مالا يفهم موريل ، وجعل موريل الذى كان يعتبره طفلا ومراهقا وبكاء وجبانا

فى البداية يهابه بعد ذلك ويحس قوة ضرباته ويخرج فى نقاشــه معــه أكــثر من مرة عن مسلك الوقار المفترض فى رجل الدين بل جعله يضعف امامه ، وجعله بعــد ان اتهم فى نواياه وقال انه لعبان وشيطان يدرك خطأه فى النهاية ويشفق عليه من القيام بعمل طائش .

والذى دفعنا اخيرا الى ترجيح الرمزية فى فهم هذه المسرحية بالاضافة الى ما ذكرناه عبارات معينة يخيل لنا ان المؤلف ساقها عمدا على لسان مارشبانكس ليحملنا على التعمق فى البحث عن معانيه وعدم الاكتفاء بالنظرة العاجلة مثل حديثه عن السيف المشتعل ومثل هذه الكلمات التي وجهها الى كانديدا بعد الموقف الذى ابدت فيه لموريل رأيها فى مواعظه : « انا أعلم أنك لست مسئولة وان ما حدث لم يكن منه مناص » ومثل انكاره للبديهيات كقوله وهو يتحدث عن موريل « بأى حق هو السيد » وقوله لكانديدا ، « انا اكبر منك سنا لو تعلمين » وقوله « ولكن فؤادى ينطوى على سر أفضل من هذا » .

ونحن ندرك جيدا أن تفسيرنا لمعنى المسرحيــة الخفى قــد لا يتفــق وبعض المواقف او بعض العبارات التي وردت فيها هنا وهناك ، ولكن ذلك شيء لم يكن منه مفر فالمسرحية ذات المعنيين تلزم المؤلف فى بعض المواقف والتفاصيل الصغيرة الى مراعاة ما تقضي به وقائع القصة الظاهرة على حساب معناها الخفى .

ومع هذا كله فليس لتفسيرنا صفة الالزام فهو ليس تفسير المؤلف الذى اقتصر تعليقه بشأن المسرحية تقريبا على ما ذكرناه منسوبا اليه . وللقارىء بطبيعة الحال ان يخرج من المسرحية بمعنى رمزى مختلف مستندا فى ذلك الى اسانيد أقوى مما استندنا اليه . بل ان للقارىء حرية كاملة فى ان يرفض فكرة المعنى البعيد من اساسها وان يرى للمسرحية مغزى واحدا هو مغزاها الظاهرى اذا وفق الى العثور على رد مقنع لمختلف ما أثرناه فى صدد مفهومها الظاهر من مفارقات .

هذا وقد لقيت مسرحية كانديدا التي ادرجها شو ضمن مجموعة مسرحياتــه السارة على اعتبار ان موريل قد اعترف فى النهاية بانه كان مخطئا فى فهم زوجته ، نجاحا كبيرا لدى القراء والمشاهدين فى جميع البلاد التي مثلت المسرحية أو نشرت فيها ككتاب . كذلك فان اكثر النقاد يعتبرونها من أحسن ما كتب برناردشو .



كانديدا

١٨٩٥

المسرحية الأولى : من أربع مسرحيات سارة

تأليف : جورج برنارد شو
ترجمة وتقديم : محمود علي مراد
مراجعة : د. عبد الرزاق العدواني

العنوان الاصلى للمسرحية

CANDIDA

1895

Being The Second of Four Pleasant Plays

الفصل الأول

صباح جميل من شهر اكتوبر ١٨٩٤ في المنطقة الشمالية الشرقية من مدينة لندن . حى فسيح يبعد أميالا عن لندن التى يراها الانسان في حى « مى فير » و « بقـديس جيمس » . وهـو ببيوتـه الحقيرة دون هـذين الحيين ضيقا وقذارة وعفونـة وافتقارا الى الهواء . حى من الاحياء الهامة في حياة الطبقة المتوسطة غير ذات الوجاهة فشوارعه عريضة وسكانه لايحصون من كثرتهم ، وبه عدد كاف من دورات الميـاه الحديدية القبيحة ومن نوادى الراديـكالية (١) ومن خطوط الترام التى يتدفق فيها موكب ازلى من العربات الصفراء . طرقـاته الرئيسية تنعم بترف يتمثل في « حـدائق امامية » ينبت فيها النجيل ولا تطؤها قـدم انسان الا في الممشى الـذى يصل ما بين البوابة وباب البهو . وقد نكب هذا الحى بمرض تحملـه بتبلد ، في شكل أميـال وأميال متواترة مـن البيوت الدميمة المبنية بالطوب ، واسوار سوداء حديدية وارصفة حجرية وأسقف مـن الاردواز وناس غير انيقين في احتشام وأقل منهم في حقارة تعودوا تماما على المكان ، يتسكعون اكثر الاحيان في استهتار قريبا من الاماكن التى يعمل فيها غيرهم. اما ما يتجمع من طاقة قليلة ومن حماس قليل فيبددان في صورة جشع كوكنى (٢) وشحذ للاعمال . حتى رجال الشرطة وحتى

---

(١) الراديكالية هى الفريق المتطرف من حزب الأحرار البريطانى الذى نادى بإجراء اصلاحات جذرية .

(٢) الـكوكنى وصف يوصف به أحياء لندن الأصلية القديمة وسكانها ولهجتهم وهى تشمل الشرق ، الشمال الشرقى ، والجنوب الشرقى .

الكنائس ليسوا من الندرة بحيث يخففون من حدة الرتابة. الشمس ساطعة في اشراق ، وليس في الجو ضباب . ورغم ان الدخان يجعل الاشياء كلها - سواء كانت وجوها أو أيدى او طوبا او ملاكا - تبدو فعلا وقد فقدت نضرتها ونظافتها ، فهو ليس كثيفا الى درجة تزعج أهل لندن .

على أن لصحراء البشاعة هذه واحتها ، فبالقرب من نهاية شارع « هيكنى » الخارجية حديقة عامة مساحتها ٢١٧ هكتارا(١) لم يصنع سياجها من قضبان الحديد ولكن من الأوتاد الخشبية ، وهى حافلة بالمروج والاشجار وفيها بركة لهواة الاستحمام ومناطق مزروعة بالرياحين تعتبر مفخرة لفن اهالى لندن الاصليين الذى يثير الاعجاب في فلاحة البساتين بأبسطة من الزهور ، ورقعة صغيرة من الرمل الذى استحضر أصلا من شاطئ البحر ليلهو به الاطفال والذى سرعان ما عزفوا عنه مع ذلك عندما اصبح المرتع الطبيعى لكل حشرات أحياء « كنجزلاند » و « هيكنى » و « هوكستون » . وقد اقيم في الحديقة لاجتذاب الناس منصة للفرق الموسيقية وساحة غير موثثة للخطابة الدينية والمناهضة للدين والسياسة ، وساحات للعبة « الكريكيت » ، و« جمنيزيوم » لممارسة الالعاب الرياضية ، و «كشك» حجرى من الطراز القديم . وحيثما كانت الاشجار او الارض الخضراء المرتفعة تحف بمجال الرؤية فان المكان يبدو بهيجا . اما حيث تنبسط الارض مسطحة الى الاوتاد الرمادية ومن ورائها الطوب والملاط والاعلانات التى ترتفع في السماء والمداخن المزدحمة والدخان ، فان المنظر يجعله موحشا تعافه النفس .

ان أجمل منظر لحديقة فكتوريا هو ذلك الذى تطل عليه النافذة الامامية ، لبيت قس كنيسة القديس دومينيك الذى لاتقع العين المطلة

(١) الهكتار ١٠٠٠٠ متر مربع .

منه على طوبة واحدة . هو بيت شبه منفصل تتصدره حديقة مدخل مسقوف . ثمة درج يصعده الزوار حتى المدخل المسقوف : امـــا الباعة وافراد الاسرة فينزلون عن طريق باب يقع تحت الدرج الى الدور الارضي حيث توجد حجرة الافطار التي تستخدم لجميع الوجبات في المقدمة ويوجد المطبخ في المؤخرة . وفي الدور الاول ، في مستوى باب البهو ، يقع الصالون الذى تطل نافذته ذات اللوح الزجاجي العريض على الحديقة العامة . وفي هذه الحجرة ، وهي حجرة الجلوس الوحيدة التي امكن الاحتفاظ بها بمنأى عن الاطفال وعن وجبات الاسرة ، يؤدى القس المحترم جيمس ميفور موريل عمله . وهو يجلس على كرسى مقوس الظهر متين يمكن التحرك به حركة دائرية ، عند طرف مائدة طويلة وضعت بعرض النافذة بحيث يستطيع القس ان يروح عن نفسه بالنظر فوق كتفه الايسر الى الحديقة العامة . وعند طرف المائدة الآخر منضدة صغيرة ملاصقة لها عرضها نصف عرض المائدة الاولى عليها آلة كاتبة . سكرتيرة القس تجلس الى هذه الآلة الكاتبة وظهرها الى النافذة. نشرات وصحف وخطابات ومجموعة من الادراج المتداخلة واجندة مكتب وميزان بريدى وما الى ذلك منثورة في اهمال على المائدة الكبيرة . كرسى احتياطى للزوار الذين يقصدون القس لامر يتعلق بهم ، موضوع في الوسط في اتجاه القس . في متناول يد القس علبة تشتمل على ورق أبيض وأدوات كتابية ، وصورة فوتوغرافية داخل اطار . في الحائط الذى يقوم وراء ظهـــره ركبت رفوف رصت عليهـــا كتب تستطيع العين الخبيرة أن تدرك منها مدى تفقهـــه وتبحره في الدين ، من كتاب مقالات في علـــم اللاهوت لموريس والمجموعة الكاملـــة لاشعار براونج وعن سياسته الاصلاحية من كتاب أصفر الغلاف عنوانه: التقدم والفقر ، ومقالات فابية ، وكتاب « حلم جون بول » ، وكتاب « رأس المال » لماركس ونصف دستة من الشوامخ الادبية التي تتناول

موضوع الاشتراكية . وفي مواجهة القس في جانب الحجرة الآخر ، قريبا من الآلة الكاتبة باب . وبعد الباب وفي مواجهة المدفأة خزانة كتب وضعت على صوان (بار) لزجاجات الخمر والى جوارها كنبة . نار سخية تشتعل في المدفأة . المكان المواجه للمدفأة يغرى بالجلوس ففى أحد جانبيه مقعد وثير ودلو للفحم مطلى باللون الاسود وقد نقشت عليه زهور ، وفي الجانب الآخر كرسى صغير للاطفال . الجزء البارز في أعلى المدفأة خشبي مدهون « بالورنيش » وعليه رفوف صنعت بعناية ورصعت قوائمها بقطع صغيرة من المرايا ، ومنّبه مما يستخدم فى الاسفار فى حق جلدى (هدية الزواج التقليدية) وعلى الحائط بأعلى المدفأة لوحة كبيرة للمنظر الرئيسى من لوحة « صعود العذراء » للفنان تيشان أو تيشيان . نظام الحجرة فى مجموعها ينبئ عن ربة بيت قديرة هزمها ، فيما يتعلق بالمائدة ، رجل غير مرتب ولكنها في باقي المكان سيدة الموقف . الاثاث يغلب عليه ، من ناحية الزينة ، طابع ، طقم غرفة الصالون » الذى يعلن عنه تاجر الأثاث المزاحم في الضواحى ، ولكن الحجرة ليس فيها شيء عديم الفائدة او مظهرى فان مالية قس فى الحى الشرقي من لندن أضعف من أن تبدد في كماليات منزلية للتفاخر .

والقس المحترم جيمس ميفور موريل من رجال الدين المسيحى الاشتراكيين التابعين لكنيسة انجلترا ، وهو عضو عامل فى جماعة القديس متى والاتحاد الاشتراكى المسيحى ، وهو رجل فى الاربعين قوى العارضة ، نابغ ، محبوب ، صلب العود ، وسيم الطلعة ، يتفجر حيوية ، رقيق الحاشية ، حلو المعشر ، جميل الخصال ، صوته رائق غير متكلف ، وهو يستخدمه بلسان ذرب ، ونطق واضح فصيح فصاحة الخطيب كثير المران . وهو يملك ثروة لغوية واسعة وقدرة كاملة على التعبير . رجل دين من الطراز الاول ، له القدرة على أن يقول ما يشاء لمن يشاء وان يحاضر الناس دون ان يقف منهم

موقف المجوم وان يفرض سلطانه عليهم دون اذلال وان يتدخل ، عند اللزوم ، فى شئونهم دون تطفل . ولم يحدث قط ان نضب المعين الذى يسمّونه حماسة ومشاركة وجدانية ولو لحظة : وهو لايزال يأكل وينام بالاقبال الذى يضمن له الانتصار في المعركة اليومية التى تدور بين الانهاك واستعادة القوى . وهو فيما عدا ذلك طفل كبير ، يغتفر له اعتزازه بقدراته ، وهو راض عن نفسه دون وعى منه . له بشرة ناضرة وجبين ناصع وحاجبان تنقصهما الحدة نوعا وعينان لامعتان متلهفتان وفم ينطق بالعزم ولو أن رسمه ليس فائق الجمال ، وأنف ضخم ، منخاراه، في حركة تمودهما منخارا خطيب درامى وهما ، كسائر ملامحه ، يفتقران إلى الارهاف .

أما مس بروسبرين جارنيت ، السكرتيرة ، فهى امرأة صغيرة الحجم نشيطة في حوالى الثلاثين من عمرها ، من الطبقة المتوسطة حسنة الهندام وان يكن ثوبها رخيصا وهو يتكون من « جونلة » سوداء من الصوف و « بلوزة » . وهى على قدر ملحوظ من سلاطة اللسان وسرعة الرد ، ولا تتمتع بقسط كبير من دماثة الخلق . ولكنها ذات حس وقلب . وهى مكبة على آلتها الكاتبة في جلبة بينما يفض موريل آخر خطابات الصباح . تندّ عنه وهو يقف على محتوياته أنّة يأس مضحكة .

بروسبرين : محاضرة أخرى ؟

موريل : نعم . جماعة هوكستون للحرية تدعونى إلى القاء محاضرة عليها صباح الاحد (يضغط بشدة على كلمة الاحد باعتبار أن هذا هو جانب العملية غير المعقول) ما لونهم يا ترى ؟

بروسبرين : شيوعيون فوضويون على ما أعتقد .

موريل : ليس بمستغرب ان يجهل فوضيون أن لدى القس يوم الاحد ما يشغله عنهم . اخبريهم بأن يحضروا إلى الكنيسة إذا كان يهمهم سماعى . وقولى لهم انى لن أتمكن من الذهاب اليهم الا يوم الاثنين أو يوم الخميس . هل اجندة المواعيد معك ؟

بروسبرين : (تتناول الأجندة) : نعم .

موريل : هل عندى محاضرة يوم الاثنين القادم ؟

بروسبرين : (تراجع الاجندة) : نادى تاور هاملت[1] الراديكالى.

موريل : حسنا . ويوم الخميس ؟

بروسبرين : اتحاد احياء الارض الانجليزى .

موريل : وبعد ذلك ؟

بروسبرين : جماعة القديس متى يوم الاثنين . حزب العمال المستقل ، فرع جرينويتش يوم الخميس .
الاثنين : الرابطة الاشتراكية الديمقراطية فرع ميل اند . الخميس : فصل تثبيت العماد .
(نافذة الصبر) لا . الاحرى ان أخبرهم انك لن تستطيع الذهاب . ماهم الا نصف دستة من باعة الخضر المتجولين الجهلة المغرورين لا يملكون فيما بينهم خمسة شلنات .

موريل : (لا هيا) ولكنهم يمتون الىّ بصلة قرابة وثيقة ؛

بروسبرين : (تحملق فيه) يمتون لك بصلة قرابة !

موريل : نعم : أبونا واحد . . في السموات .

(١) اسم لمكان يحسن عدم ترجمته .

بروسبرين : (وقد سرى عنها) : أهذا كل ما هناك ؟

موريـــل : (بكآبة هي نوع من الترف لرجل مثله يصورهـــا صوته تصويرا بديعا) : انت لا تؤمنـــين بـــذلك. الكل يقوله : ولا أحد يؤمن : لا أحد . (يعود فجأة الى ما كان بصدده) ؟ يا مس بروسبرين : أليس في وسعك أن تجدى تاريخا مناسبا لباعة الخـــــضر المتجولين ؟ ما رأيك في يوم ٢٥ ؟ كان هذا اليو م خاليا أول من أمس .

بروسبرين : (تراجع الأجندة) : مشغول . الجمعية الفابية .

موريـــل : أف من الجمعية الفابية ! هل يوم ٢٨ مشغول هو الآخـــر ؟

بروسبرين : عشاء في حى السيتى (١) . انت مدعو لتناول العشاء لدى شركة سباكة المعادن .

موريـــل : هـــذا مناسب : سأذهب بدلا من ذلك الى جماعة هوكستون للحرية . (تقيد الموعد في صمت وكل خط في وجهها ينطق بسخط ناقم على فوضـــويى هوكستون . موريل يفض عددا من أعداد مجلـــة « مصلح الكنيسة » وصل بالبريد ويلقى نظرة سريعة على مقال مستر ستوارت هدلام الافتتاحى وعـــلى أخبار جماعة القديس متى . يظهر مساعد موريل ، القس المحترم اسكندرميل ، فيشيع الحياة في هـــذا الجو . والقس ميل جنتلمان شاب تلقفه موريل من

---

(١) حى المال والأعمال الذى تتركز فيه البنوك والبورصة ومكاتب الشركات بأنواعها .

أقرب مدينة جامعية وكان قد وفد اليها من جامعة اكسفورد ليفيد حيّ لندن الشرقي بتدريبه الجامعى. وهو حديث عهد بوظيفته كرجل من رجال الدين، معتزّ بنفسه في حسن نية ، متحمس ، غر . ليس فيه شيء غير مقبول سوى عادة في الحديث مع قفل شفتيه بعناية نصف بوصة من كل ركن من ركنى الفم لكى تخرج الالفاظ حروف العلة في حذلقة، وفي استخدام طريقة الجامعيين في نطق حروف العلة وكانت هذه حتى ذلك الوقت طريقته الرئيسية لتغليب تأنقه الاكسفوردى – كما كان يسمى عاداته – على سوقية الكلام الشعبي . يرفع موريل – الذى نجح مساعده في كسب قلبه بالتحبب اليه تحبب الكلب لصاحبه – بصره من صحيفة «مصلح الكنيسة» ويغمزه : «ها يالكس . متأخر ، كالمعتاد ! »

لكسى : هذا صحيح فيما أخشى . بودى لو استطعت ان أبكر في النهوض .

موريل : (جذلا لنشاطه هو) : ها ! ها ! (معاتبا) انظر وادع ربك يا لكسى : انظر وادع ربك :

لكسى : عارف . (يرتفع بذكاء الى مستوى المناسبة) ولكن كيف لى ان انظر وادعو ربى وانا نائم ؟ أليس كذلك يا مس بروس ؟ (١) (يقترب من دفء النار).

---

(١) اختصار لاسم بروسبرين . والأسماء لدى الغربيين تتكون من شقين : اسم الفرد وهو لا يستخدم إلا بين أشخاص رفعت بينهم الكلفة ، واسم الأسرة ويستخدم بين الغرباء وفى المعاملات والمستندات الرسمية . ومس جانيت تنبه لكسى فى السطر التالى إلى أنها لا تسمح له التبسط معها .

بروسبرين : (بجدة) : مس جارنيت من فضلك .

لكـــسى : عفوا . مس جارنيت .

بروسبرين : عليك أن تقوم اليوم بالعمل كله .

لكـــسى : (امام المدفأة) لمـــاذا ؟

بروسبرين : لا يهم لماذا . من الخير لك أن تكسب ــ مثـــلى ــ ثمن عشائك قبل تناوله ولو مرة . هلم ! دعك من التكاسل . كان المفروض أن تخرج لدورتك منـــذ نصف ساعة .

لكـــسى : (مضطربا) أهي جادة يا موريل ؟

موريـــل : (في أحسن حالاته المعنوية وعيناه ترقصان طربا) : نعم . انا الذى سأتكاسل اليوم .

لكـــسى : أنت ! أنت لا تعرف ما هو التكاسل .

موريـــل : (ينهض) ها ! ها ! صحيح ؟ سيكون هذا النهار باكمله لى . زوجتى عائدة : ستكون هنا في الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والاربعين .

لكـــسى : (مستغربا) بهذه السرعة ! مع الاطفال ؟ كنـــت أظن انهم سيمكثون هناك حتى آخر الشهر .

موريـــل : فعلا : ستأتى يومين فقط لتأخـــذ بعض الملابـــس الصوفية لجيمى ، ولترى كيف تسير احوالنا بدونها .

لكـــسى : (قلقا) ولكن ، ياعزيزى موريل ، إذا كان ما ألم بجيمى وفلاقي هو الحمى القرمزية ، أتظن من الحكمة . .

موريـــل : الحمى القرمزية ! كلام فارغ ! إنها الحصبة الألمانية أنا الذى نقلتها بنفسى إلى البيت من مدرسة شارع

بأيكر وفت . القسيس يابنى كالطبيب : عليه أن يواجه العدوى كما يواجه الجندى الرصاص . (يضرب على كتفى لكسى برجولة) خذ عدوى الحصبة ان استطعت يالكسى وهى تقوم بتمريضك وإذا حدث لك هذا فسيكون من حسن حظك . ألست من هذا الرأى ؟

لكسى : (يبتسم متململا) من الصعب أن يفهمك الانسان بخصوص مسز موريل . .

موريل : (برقة) تزوج يابنى : تزوج امرأة صالحة وساعتها ستفهم . هذه عينة من أحسن ما تحفل به مملكة السماء (١) ، التى نحاول أن نقيمها على الأرض . تزوج وستجد أنك شفيت من داء التكاسل . الرجل الامين يشعر بأن عليه أن يدفع دينه للسماء عن كل ساعة سعادة بفترة كافية من العمل الشاق المتفانى لاسعاد الآخرين . نحن لا نملك استهلاك السعادة دون أن ننتجها أكثر مما نملك استهلاك الثروة دون أن ننتجها . اتخذ لنفسك زوجة مثل كانديداى وستكون دائما متأخرا فى الوفاء بدين السماء عليك (يربت على لكسى بحدب ثم يتحرك ليترك الغرفة) .

لكسى : رويدك : نسيت أن اخبرك . (موريل يتوقف ويستدير ومقبض الباب فى يده) حموك قادم ليراك .

(موريل يغلق الباب ثانية فى دهشة وامتعاض وتتغير لهجته تماما .)

---

(١) أى الجنة .

موريــــل : متر برجيس ؟

لكـــسى : أجل . التقيت به في الحديقة العامة وهو يتناقش مع شخص ، وطلب منى أن أخطرك بأنه قادم .

موريــــل : (يكاد لا يصدق) ولكنه لم يأت لزيارتنا منذ ثلاث سنوات . أأنت واثق يالكسى ؟ . أم أنها دعابة ؟

لكـــسى : (جادا) لا ياسيدى . حقيقة .

موريــــل : (متفكرا) أزف الأوان ليلقى نظرة أخرى على كانديدا قبل أن تتغير مع الأيام صورتها التى يعرفها

(يرضخ للامر الواقع ويخرج) .

(لكسى يتبعه بنظرة واساريره تنطق باجلال كالعبادة مس جارنيت ، لعجزها عن تعنيف لكسى ، تصب جام غضبها على الآلة الكاتبة .)

لكـــسى : ياله من انسان خير ! ياله من روح عطوف !

(يجلس مكان موريل إلى المائدة ، ويتخذ وضعا مريحا للغاية وهو يتناول سيجارة) .

بروسبرين : (ضيقة الصدر ، تجذب الخطاب الذى كانت تكتبه من الآلة الكاتبة وتطويه) : أف . لا حرج على أى رجل من أن يحب زوجته ولكن لا إلى الحد الذى يجعله اضحكوكة .

لكـــسى : (مصدوما) مس بروس . ماذا تقولين !

بروسبرين : (تستخرج مظروفا من علبة الأدوات الكتابية بحركة عنيفة وتضع بداخله الخطاب وهى تتحدث) جاءت كانديدا . ذهبت كانديدا . كانديدا في كل مكان ؟

(تلعق المظروف) . شيء يخرج أى انسان عن طوره (تضغط بقبضتها على المظروف ليلتصق) أن يسمع الانسان ان امرأة تستثير الهذيان بهذه الصورة السخيفة لمجرد أن شعرها لا بأس به وان شكلها مقبول .

لكـــسى : (بصرامة ولوم) هى في رأيى سيدة بارعة الجمال يامس جارنيت . (يرفع الصورة الفوتوغرافية . يتطلع اليها ويضيف باعجاب متزايد) بارعـــة الجمال . ما أبهى عينيهـــا !

بروسبرين : عيناها ليستا أفضل في شيء من عينى ! (يعيد الصورة إلى مكانها ويحملق فيها مقطبا) وأنت تعلم جيدا انك تظننى زرية الملبس ومن الدرجة الثانية .

لكـــسى : (ينهض بإباء وشمم) حاشا لله أن يكون هذا رأيى في كائن خلقه سبحانه (يبتعد عنها بجفاء عبر الحجرة مقتربا من خزانة الكتب) .

بروسبرين : (في تهكم) شكرا . قول رقيق للغاية ، يفرج الكرب .

لكـــسى : (وقد أحزنه قلبها الاسود) ، لم يكن يخطر على بالى ان بلك حفيظة على مسز موريل .

بروسبرين : (باستنكار) ليس بى حفيظة عليها . هى سيدة غاية في الرقة وطيبة القلب وأنا أميل اليها كثيرا واستطيع أن أقدر خصالها الحقيقية أكثر بكثير من أى رجل. (يهز رأسه باكتئاب .)

(تنهض وتتقدم منه في عصبية شديدة) ألا تصدقنى ؟ أنت تظن اننى أغار منها . عجبي لمعرفتك للقلب

الآدمى يامستر لكسى ميل ! ما أعظم علمك بنقاط الضعف عند المرأة ! شيء جميل بلاشك ان يكون المرء رجلا وان يكون صاحب ذكاء خارق نفاذ بدلا من مجرد عاطفي مثلنا ، وان يعلم ان السبب الذى يجعلنا لانشارككم في أوهامكم العاطفية هـو أننا جميعا نغار من بعضناالبعض ! (تنصرف عنه بهزة من منكبيها وتعبر الغرفة الى نار المدفأة لتدفئ يديها) .

لكســى : لو أن لديكن أيتها النساء مفتاح قوة الرجل كما ان لديكن مفتاح ضعفه يامس بروس ، لما كان هنالك مسألة نسائية .

بروسبرين : (من فوق كتفها وهى تنحنى مادة يديها إلى اللهيب) أين سمعت موريل يقول ذلك ؟ لست أنت صاحبة هذا القول : أنت لست على هذه الدرجة من الفطنة .

لكســى : عين الصواب . ولا يخجلنى انى مدين له بهذا القول كما انا مدين له بالعديد من الحقائق الروحية الاخرى . لقد قال هذه الكلمة في المؤتمر السنوى لاتحاد حرية المرأة . واسمحى لى ان أضيف إن النساء اذا كن لم يقدرنها حق قدرها فقد قدرتها أنا الرجل . (يتحول ثانية الى خزانة الكتب آملا أن يكون قد سحق برده بروسبرين) .

بروسبرين : (تسوى شعرها في احدى قطع المرايا برف المدفأة) عموما اذا خاطبتنى فخاطبنى بأفكارك الخاصة كما هى ، لا بافكاره هو . انت تبدو في أسوأ حالاتك حين تحاول تقليده .

لكســى : (يحس الوخزة) انا أحاول ان أقتدى به لا أنأقلده.

بروسبرين : (تتقدم منه ثانية في طريق عودتها الى عملها) بلى : أنت تقلده . لماذا تضع مظلتك تحت ذراعك الايسر بدل أن تحملها في يدك كأى شخص آخر ، لماذا تسير وذقنك الى الامام وتسرع الخطو وتلك النظرة المتلهفة في عينيك ؟ ! أنت ! أنت الذى لا يستيقظ أبـــدا قبل التاسعة والنصف صباحا . لماذا حين تنطق كلمة « المعرفة » في الكنيسة تنطقها بطريقة غير التى ننطقها بها في الوقت الحديث الخاص ! أتظن انى لا أعرف؟ (تعود الى الآلة الكاتبة) هلم ! تعال وابدأ عملك : لقد اضعنا من الوقت مافيه الكفاية ليوم واحد .اليك نسخة من الاجندة عن أعمال اليوم. (تسلمه مذكرة).

لكســـى : (مجروح الاحساس) أشكرك . (يأخذ المذكرة ويقف أمام المائدة ليقرأها موليا ظهره لبروسبرين . تبدأ في نقل مذكراتها المكتوبة بطريقة الاختزال على الآلة الكاتبة غير عابئـــة بحالته النفسية) .

(يفتح الباب ويدخل مستر برجيس دون أن يعلن أحد عن قدومه . وهو رجل في الستين من عمره أضفت عليه انانية التجارة الصغيرة — وهى أنانية لا مفر منها— غلظة وحمّارة ، ثم جاء افراط التغذية والنجاح التجارى بعد ذلك فألبساه ثوبا ناعما من الغرور البليد . جلف جاهل سكير ، يهين من يعملون بأجر زهيد ، ويحتقرهم ، ويحترم الثروة والجاه ، وهو في كـــلا الموقفين صادق لا يحمل في قلبه ضغينة أو حسدا . لم تجد عليه

الدنيا بعمل ذى دخل كريم سوى عمل من يعيشون على عرق غيرهم ، لذا فقد غدا جشعا الى حدما . ولكنه شخصيا لايحس بذلك على الاطلاق بل يتصور ، -امينا على نفسه - أن توفيقه في التجارة انتصار حتمى ومكافأة اجتماعية طيبة لصفات الكفاءة والكدح والمهارة والخبرة التى يتمتع بها رجل يتصف في حياته الخاصة بلين العريكة وطيبة القلب وبحب المرح والشراب الى درجة الافراط . وهو جسديا قصير وبدين ، ذو أنف خرطومى يتوسط وجها مربعا مسطحا . لحيته بلون التراب في وسطها بقعة بيضاء تحت الذقن . عيناه صغيرتان مائيتان زرقاوان يختلط في تعبيرهما التشكى والعاطفية ،وهو ينقل هذا التعبير بسهولة الى صوته بفضل عادته في تفخيم نبرة عباراته .)

برجيس : (يقف على العتبة ويجيل النظر حوله) قيل لى ان المستر موريل هنا .

بروسبرين : (تنهض) سأبحث لك عنه .

برجيس : (يحدق فيها خائب الظن) أنت لست الآنسة التى اعتادت أن تكتب له على الآلة الكاتبة .

بروسبرين : لا .

برجيس : (يغمغم في طريقه الى البساط الموضوع امام الموقد) لا : هى كانت أصغر سنا . (مس جارنيت تحملق فيه ثم تخرج وتصفق الباب) . ذاهب فى دورتك يا مستر ميل ؟

لكسـى : (يطوى مذكرته ويضعها في جيبه) أجل : وأنا مضطر الى الذهاب فورا .

برجيس : (موكدا)لا أريد ان أعطلك يا مستر ميل . ما جئت من أجله أمر خصوصى بينى وبين مستر موريل .

لكسـى : (باستخفاف) ليس فى نيّتى أنأكون متطفلا يامستر برجيس . طاب صباحك .

برجيس : (باستعلاء) طاب صباحك .

(موريل يعود ولكسى في طريقه الى الباب .)

موريل : (الى لكسى) ذاهب الى العمل ؟

لكسـى : أجل يا سيدى .

موريل : خذ وشاحى الحريرى ولف به رقبتك ، فهناك ريح باردة . توكل على الله .

(عزاء عن فظاظة برجيس، ينشرح صدره ويخرج .)

برجيس : ارى انك لازلت تفسد مساعديك كعادتك . طاب صباحك . انا حين أدفع نقودا لشخص ما وحين يعتمد علىّ هذا الشخص في كسب قوته، الزمه مكانه.

موريل : (بشيء من خشونة) انا دائما ألزم مساعدىّ مكانهم كأعوان لى ورفاق . واذا كنت أنت تحصل من كتبتك وأمناء مخازنك على مثل العمل الذى أحصل أنا عليه من مساعدىّ فلابد أنك تسير نحو الثراء بخطى سريعة . ألا تجلس فى كرسيك القديم ؟

(يشير بحركة من يوجه امرا مقتضبا الى المقعد ذى الذراعين بجوار النار ثم يجذب الكرسى الخالى من

المائدة ويجلس على مسافة من زائره لاتكون بين حميمين .)

برجيس : (دون أن يتحرك) أنت كعهدى بك دائما ياجيمس !

موريل : فى زيارتك الاخيرة - التى مضى عليها ، فيما أظن ، ثلاث سنوات - قلت نفس الكلام ، بقدر اكبر قليلا من الصراحة . يومها قلت بالحرف الواحد « أحمق كبير كعهدى بك دائما يا جيمس ! »

برجيس : (موافقا) جائز ، ولكننى (ببشاشة استرضاء) لم أقصد اساءة . ان قليلا من التغفيل يعتبر - لو تدرى - ميزة لرجل الدين ، ومما يناسب مهنته أن يكون كذلك . على أى حال أنا لم آت إلى هنا لأثير ضغائن قديمة ، والذى فات مات . (يغدو فجأة بالغ الجدية ثم وهو يقترب من موريل) جيمس ، منذ ثلاث سنوات أصابنى منك مكروه . ضيعت علىّ صفقة وحين عبرت بكلمات شديدة عما كنت أحسه من خيبة أمل طبيعية أو غرت علىّ صدر ابنتى . وهأنذا قد جئت عملا بتعاليم الدين المسيحى (يمد يده) لقد صفحت عنك ياجيمس .

موريل : (يهب واقفا) تبا لوقاحتك !

برجيس : (يتقهقر مستنكرا هذه المعاملة فيما يشبه البكاء) هل هذه لغة تليق بواحد من رجال الدين يا جيمس ؟ وبك أنت بالذات !

موريل : (متحفزا) لا ياسيدى : هذه لغة لا تليق بواحد من رجال الدين . لقد أخطأت في التعبير . كان الواجب

أن أقول « اللعنة على وقاحتك » : هذا ما كان يقوله القديس بولس أو أى قس نزيه . أتظن انى نسيت ذلك العطاء الذى تقدمت به للحصول على صفقة توريد ملابس للملجأ ؟

برجيس : (في قمة من الشعور بمقتضيات المصلحة العامة) لقد تصرفت وفقا لمصلحة دافعى الضرائب ياجيمس ، كان عطائى أقل عطاء قدم في المناقصة : أنت لا تستطيع ان تنكر ذلك .

موريل : أجل . أقل عطاء لأن الاجور التى كنت تدفعها للنسوة اللائى كن يحكن الملابس كانت أقل مما يدفعه أى رب عمل آخر . أجور كفاف ، بل أقل من أجور الكفاف. أجور كان من شأنها أن تدفع بهن إلى طريق الرذيلة لكسب ما يسد الرمق (تزداد حدة غضبه أكثر وأكثر) أولئك النسوة كن من نساء أبرشيتى (١) . أنا جعلت المسئولين عن الملجأ يخجلون من قبول عطائك ، كما جعلت دافعى الضرائب يخجلون من تركهم يقبلونه ، جعلت الجميع يخجلون الا أنت . (يضطرم غيظه) كيف واتتك الجرأة ياسيدى على الحضور إلى هنا وعرض شمولى بصفحك والتحدث عن ابنتك و . .

برجيس : على رسلك ياجيمس. على رسلك ، على رسلك ! لاتستسلم للغضب دون داع . لقد اعترفت بأنى كنت مخطئا .

موريل : حقا ؟ أنا لم أسمعك .

---

(١) الابرشية هى منطقة الاختصاص التى يمارس فيها القس نشاطه الروحى .

برجيس : بالطبع اعترفت . هأنذا الآن اعترف . هدئ روعك انى أسألك الصفح للخطاب الذى كتبته لك . هل يكفيك هذا ؟

موريل : (يفرقع باصابعه) ليس هذا هو المهم. هل رفعت الاجور ؟

برجيس : (بانتصار) نعم .

موريل : ماذا تقول ؟

برجيس : (مصانعا) أنا أصبحت رب عمل نموذجى . أنا الآن لا أستخدم النساء : طردتهن جميعا . الذى يقوم الآن بالعمل هو الآلات . اقل رجل عندى لا يتقاضى اقل من ست بنسات في الساعة . أما العمال المهرة فيحصلون على الاجور التى حددتها النقابة . (معتدا بنفسه) هل لديك الآن قول ؟

موريل : (مأخوذا) هل يمكن هذا ! « هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب » (١) يتقدم من برجيس وصدره يفيض بالمودة وبالاعتذار (ياعزيزى برجيس : ما أروع هذا من جانبك ! من كل قلبي اعتذر لك عن ظنى السيء . (يأخذ كفه) والآن ، ألا تشعر بأنك أحسن حالا لهذا التغيير ؟ اعترف ! أنت أكثر سعادة من ذى قبل يبدو عليك انك فعلا أكثر سعادة .

---

(١) الفقرة ٧ من الاصحاح الخامس عشر من انجيل لوقا نصها الكامل كالآتى من أقوال السيد المسيح : «أقول لكم أنه هكذا يكون فرح فى السماء بخاطىء واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين بارا لا يحتاجون إلى توبة » .

برجيس : (باكتئاب) ربما لا بد أنني أبدو كذلك ما دمت قد لاحظته . على أى حال فالمجلس البلدى يقبل العطاءات التى أتقدم بها ! (بضراوة) هم يرفضون التعامل معى الا إذا دفعت اجورا عادلة : شرذمة من الأغبياء يتدخلون فيما لا يعنيهم . عليهم اللعنة !

موريل : (يسقط كفه وقد فت في عضده تماما) هذا اذن هو السبب الذى حملك على رفع الأجور !

(يجلس متكدرا) .

برجيس : (متجهما وبنبرة منتشرة متصاعدة) وما الذى يضطرنى إلى رفعها لولا ذلك ؟ ما الذى يجره رفع الأجور سوى دفع العمال إلى السكر والتعالى ؟ (يجلس في وقار على المقعد الوثير) كل هذا يفيدك ياجيمس فهو يجعل اسمك يظهر في الصحف ويصنع منك رجلا عظيما . ولكنك لا تفكر ابدا في الضرر الذى تحدثه بوضع النقود في يد عمال لا يعرفون كيف ينفقونها وبأخذها ممن لعلهم يحسنون استخدامها

موريل : (بزفرة عميقة ، يتحدث في أدب بارد اللهجة) ما شأنك معى هذا الصباح ؟ أنا لن اتظاهر بتصديق أنك جئت بدافع من شعورك العائلى المجرد .

برجيس : (بتشبث) بل هذا هو الواقع : شعورى العائلى ولا ولا شيء غيره .

موريل : (بهدوء وضجر) أنا لا أصدقك .

برجيس : (يقوم مهددا) لا تقل ذلك ثانية ياجيمس ميفور موريل .

موريـــل : (لا يهتز) سأقوله عدد ما يلزم من المرات لاقنعك بأنه صحيح . أنا لا أصدقك .

برجيـــس : (يهوى إلى قرار سحيق من المشاعر الجريحة) مادمت مصرا على هذا الموقف العدائى فلعل الانسب أن أنصرف . (يتحرك ملى مضض تجاه الباب . لا لا تبدر من موريل أى بادرة . يتلكأ) . لم أكن انتظـــر يا جيمس أن أجـــد فيك قلبـــا لا يعفو (حـــين يرى أن موريـــل لا يستجيب لكلامه ، يخطو عـــلى كره منـــه خطوات قليلـــة أخرى صوب الباب ثم يعود أدراجه ، وبصوت متهدج) . علاقتنا لم يكن يعكرها شيء تقريبا رغم ارائنا المختلفة فما الذى جعلك تتغير من جهتى ؟ أقسم لك بشرفي أننى جئت إلى هنا والمشاعر الطيبة رائدى الوحيد لكيلا تشوب الشوائب علاقتى بزوج ابنتى . هيا يا جيمس . كن مسيحيا وتقبل يدى الممدودة .

(يضع يده بعاطفية على ذراع موريل) .

موريـــل : (يرفع اليه طرفه في تفكر) اسمع يابرجيس . اتريد أن تقابل هنا بنفس الترحيب الذى كنت تقابل به قبل أن تفقد تلك الصفقة ؟

برجيـــس : أجل يا جيمس . ذلك ما أتمناه من كل قلبى .

موريـــل : لماذا اذن لا تتصرف بالطريقة التى كنت تتصرف بها في ذلك الوقت ؟

برجيـــس : (يرفع يده من مكانها بحذر) ماذا تعنى ؟

موريـــل : سأخبرك . زمان كنت تظننى شابا أحمق .

برجيس : (معاتبا) ابدا يا جيمس . انما . .

موريل (يقاطعه) بل كنت تظننى كذلك . أما أنا فكنت أظنك وغدا هرما .

برجيس : (يستهجن بأقصى ما يستطيع من قوة هذه المغالاة في اتهام النفس من جانب موريل) هذا غير صحيح . أنت تظلم نفسك .

موريل : بل هذا ما كنت أظنه . وبالرغم من ذلك كانت علاقتنا على خير ما يرام . لقد جعل الله منك ماأسميه انا بالوغد كما جعل منى ما تسميه أنت بالاحمق . (التأثير الذى تحدثه هذه الملحوظة على برجيس هو انها تزيل حجر الاساس في قوس بنائه المعنوى . يصيبه وهن جثمانى وبينما يثبت عينيه في موريل في نظرة من لا حول له ولا قوة ، يمد يده في وجل ليحتفظ بتوازنه كما لو كانت الارض قد انحدرت تحته فجأة . موريل يستطرد بنفس لهجة الاقتناع الصارم) انا لا اعترض على خلقة ربنا في احدى الحالتين اكثر مما أعترض عليها في الحالة الأخرى . وطالما أنك جئت الى هنا بأمانة كوغد تام يحترم نفسه ويؤمن بأنه وغد ، وطالما كنت تجد لهذه الصفة فيك ما يبررها وتفخر بها ، فأهلا بك وسهلا . ولكن (هنا ينطلق صوت موريل مجلجلا وينهض ويلطم ظهر الكرسى زيادة في توكيد ما يقول) أرفض ان تجيئنى لتخبرنى متباكيا انك رب عمل نموذجي وانك قد آمنت واهتديت والحقيقة أنك لست الا

مرتدا قلب سترته ظهرا لبطنه من أجل صفقة يحصل عليها من المجلس البلدى . (يومئ اليه معززا قولـه ثم يذهب الى البساط الذى يغطى أرضية المدفـأة ويقف على راحته في وضع آمر وظهره الى النار ، ويستطرد) لا : يهمنى ان يكون الانسان صادقا مع نفسه ، حتى في الشر . والآن : اما أن تأخذ قبعتك وتمضى مع ألف سلامة أو أن تجلس وتعطينى سببا وغديا وجيها يحملك على نشدان مودتى . (برجيس ، وقد هدأت انفعالاته بالقدر الكافي لكى يعبر عنهـا بابتسامة مبهورة ، يشعر بارتياح لهذا الاقتراح المحدد يديره في رأسه لحظة ثم ، ببطء وفي تواضع جـم ، يجلس على الكرسى الذى تركه موريل لتوه) والآن أفرغ ما في جوفـك .

برجيـس : (يغالب الضحك) انت شخص عجيب يا جيمس ، ما في ذلك جدال . ولكن المرء (فيما يشبه التحمس) لا يملك الا ان يستخف ظلك : وفضلا عن ذلك فان الانسان ـ كما قلت من قبل ـ لا يحمل كل ما يقوله رجل الدين محمل الجد والا ما استطاعت عجلة الدنيا ان تدور . اليس كذلك ؟ (يتخذ هيئة تناسب حديثا اكثر خطـورة ويستأنف الكلام بجديـة بليـدة وهو يقلب بصره في موريل) دعنى أخبرك ، مادمت ترغب في ان نتحدث على حريتنا ، اننى كنت اعتقد فعلا في وقت من الاوقات أنك أحمق ولكنى بدأت الآن ادرك اننى ربما كنت متخلفا بعض الشيء عـن زمـانى .

موربـــل : (جذلا) مرحى ! لقد اكتشفت ذلك أخيرا . أليس كذلك ؟

برجيـــس : (مزهوا) بلى : لقد تغير العصر اكثر مما كنـــت أعتقد ، فمنذ أربع سنوات لم يكن أى عاقل يفكر في الاخذ بآرائك . وكنت انا شخصيا اتساءل كيف سمح لك بالوعظ ،أنا أعرف قسيسا أوقفه أســقف لندن عن عمله عدة سنوات رغم ان المسكين لم يكن أكثر منك ورعا . اما اليوم فاذا عرض أى شخص ان يراهنني على ألف جنيه أنك أنت نفسك سينتهى بك الامر الى ان تصبح اسقفا فلن أقبل الرهـــان . (باقتناع عميق) انت وفريقك اصبحتم ذوى نفوذ : بوسعى ان أرى ذلك . لا بد أن ينعموا بمنصب كبير في يوم من الايام ، ان لم يكـــن لشيء فلكى يسدوا فمك . مهما يكن ، فقد ادركت انت بالفراســة ما يجب عمله فالخط الذى اخترته هو الخط الرابح في الزمن الطويل لرجل من طرازك .

موريـــل : (يمـــد يده في عزم) كفك يا برجيس . أنت الآن تتحدث بأمانة لا أظـــن أنهم سيجعلوننى أســقفا ولكنهم اذا فعلوا فسأقدمك الى اكبر سماسرة سيتاح لى أن أدعوهم الى حفلات العشاء التى أقيمها .

برجيـــس : (يقوم من مجلسه بابتسامة مرتبكة ويقبل يد المـــودة الممدودة اليه) امزح كما تشاء يا جيمس . لقد سوينا ما كان بيننا من خصام . أليس كذلك ؟

صوت نسائى : قل بلى يا جيمس .

(يباغتان . يلتفتان بسرعة ليجدا ان كانديدا وصلت لتوها وانها تنظر اليهما بتسامح الام التى ترى شيئا طريفا من صغارها ، وهو التعبير المميز لها .

كانديدا امرأة في الثالثة والثلاثين ، قوية البنية ، لا تقتر على نفسها في الاكل ، ولديها ، فيما يبدو ، استعداد لأن تصبح فيما بعد من نوع ربات البيوت الممتلئات ولكنها الآن في أحسن صورها فهى تجمع الى سحر الشباب سحر الأمومة . طريقتها هى طريقة امرأة وجدت أنها تستطيع دائما أن تسوى أمورها مع الناس باستمالة قلوبهم واتبعت هذا الاسلوب دون أقل غضاضة بصراحة وبصورة تلقائية . وهى حتى الآن لا تختلف عن أى امرأة أخرى جميلة اوتيت من سعة الحيلة ما يكفى لاستغلال فتنتها في اغراض ذاتية يسيرة ، لكن طلعتها الوضاءة وعينيها الجريئتين وفمها وذقنها في جمال تركيبها تنبئ عن رجاحة في العقل وكرم في الخلق يعطيان لمكرها في كسب قلوب الناس معنى ساميا . ان الناظر الذكى الفؤاد اذا تطلع اليها لا يلبث ان يدرك انه ايا كان الشخص الذى وضع لوحة « صعود العذراء » فوق مدفأتها فانه فعل ذلك لانه تخيل شبها روحيا ما يجمع بينهما ولكنه لن يعزو الى زوجها او اليها هى مثل هذا الخاطر ، ولا أى اهتمام بفن الرسام تيشان او تيتيان .

وهى الآن ترتدى قبعة على شكل قلنسوة ومعطفا

محزما حشرت فيه مظلتها ، وحقيبة يدها وعددا من الصحف المصورة .

موريـــل : (يستفظع بشاعة اهماله) كانديدا ! ولكن . . (ينظر إلى ساعته ويهوله تأخيره) .
ياحبيبي ! (يهرع اليها ويتناول لفّة البساط ، والفاظ الأسف والاعتـــذار تنهـــال من فمــه طيلة الوقت) كان في نيّتي أن أستقبلك في المحطة ولكن الوقت سرقني .
(يقذف بالبساط على الكنبة) كنت منهمكا في . . (يعود اليها) ويحه ! . . نسيت شيئا ! . (يقبلها بانفعال وندم) .

برجيـــس : (في شيء من الخزى وفي شك من كيفية استقباله) كيف حالك ا كاندى ؟ (هى ، وذراعا موريل لايزالان يطوقانها ، تقدم له خدها . يقبلها) جيمس وأنا توصلنا إلى تفاهم . تفاهم شريف . أليس كذلك يا جيمس ؟

موريـــل : (بعصبية) تبا لتفاهمك ! لقد أخرتني عن استقبال كانديدا . (بمشاعر اشفاق معتلجة) ياحبيبتي المسكينة : كيف دبرت أمر المتاع ؟ كيف . .

كانـــديدا : (تستوقفه وتخلص نفسها من ذراعيه) حسبك ! حسبك ! حسبك ! لم أكن بمفردى . أوجين كان معنا وقد صحبني في السفر .

موريـــل : (مغتبطا) أوجين !

كانـــديدا : نعم : انه يكافح في حمل متاعى ، يالفتى المسكين . اخرج اليه فورا ياعزيزى والا فسيدفع أجر العربة وأنا لا أريد ذلك . (موريل يهرول خارجا . كانديدا تتخفف من حقيبة يدها ثم تخلع معطفها وقبعتها وتضعهما على الكنبة مـــع البساط وهى تتجاذب مع أبيها أطراف الحديث) . كيف تسير احوالكم يا أبى في البيت ؟

برجيـــس : البيت منذ تركته يا كاندى لا يستحق أن يعيش فيه الانسان . بودى لو جئت لزيارتنا وتحدثت قليلا إلى البنت . من أوجين هذا الذى أتى معك ؟

كانـــديدا : أحد اكتشافات جيمس . لقد وجده نائما على جسر النهر في شهر يونيه الماضى . الم تلفت نظرك لوحتنا الجديدة (تشير إلى لوحة العذراء) ؟ هو الذى اهداها لنا .

برجيـــس : (غير مصدق) أتريدين أن تفهمينى — وأنا أبوك — أن هذا الفتى الذى يشتغل باستدعاء سيارات الاجرة وحمل حقائب ركابها أو بشىء قريب من ذلك على جسر النهر يشترى لوحات من هذا النوع ؟ (عابسا) لا تخدعينى ياكاندى . هذه لوحة من لوحات الكنيسة العليا وقد اختارها جيمس بنفسه .

كانـــديدا : خمن مرة ثانية . أوجين لا يشتغل باستدعاء سيارات الأجرة وحمل حقائب ركابها .

برجيـــس : اذن ماهو ؟ (بتهكم) لابد أنه احد النبلاء .

كانديدا : (تومئ برأسها ايجابا في حبور) فعلا . عمه مـــن

النبلاء . « ايرل » (١) حقيقى على قيد الحياة .

برجيس : (لايجرؤ على تصديق مثل هذا الخبر السار) لا !

كانديدا : بلى . وكانت في جيبه كمبيالة تستحق الدفع بعد اسبوع بمبلغ ٥٥ جنيها عندما وجده جيمس على الجسر . كان يظن انه لايستطيع ان يحصل على قيمتها حتى تمر الايام السبعة وقد منعه حياؤه من طلب سلفة. يا للغلام العزيز ! انه اثير لدينا جدا .

برجيس : (يتظاهر بالحط من قدر الارستقراطية ، ولكن بعنين ملتمعتين) لاشك من غير المعقول أن يتردد ابن أخ ايرل على حديقة فكتوريا الا اذا كان معدما الى حدما . (يعيد التطلع الى اللوحة) أنا بالطبع لا أعجب بهذه الصورة ياكاندى ولكن هذا لايمنع من كونها تحفة فنية عظيمة . هذا شيء استطيع أن أراه . اريد منك ان تقدميني ياكاندى . (ينظر الى ساعته في قلق) لن استطيع أن أبقى اكثر من دقيقتين.

(يعود موريل مع اوجين الذى يتأمله برجيس وقد تندت عيناه من الحماس . وأوجين شاب غريب الاطوار ، خجول في الثامنة عشرة من عمره ، نحيل ، مخنث ، صوته رفيع كصوت طفل . تعبيره ، وهو تعبير شخص معذب مطارد ، وهيئته المنكمشة ينبئن عن هذه الحساسية المؤلمة التى تتخذ صورة تهيب سريع وحاد عند الشبان قبل أن تنمو شخصيتهم الى أوج قوتها . لايدرى في تعاسة حيرته اين يقف ولا

(١) الايرل نبيل انجليزى رتبته بين المركيز والفيكونت .

ماذا يفعل . انه يتهيب برجيس ولو واتته الجرأة لفرّ لائذا بوحدته : ولكن الشدة التى يعانى بها موقفا عاديا جدا تنبع هى نفسها من قوة عصبية مفرطة .فتحتا أنفه وفمه وعيناه ملامح تفصح عن ارادة عنيفة الهياج ولكن منحنى جبينه الذى وخطته الشفقة فى هذه السن المبكرة، يبعث على الاطمئنان . فنظره غير عادى للدرجة تجعله يبدو كما لو لم يكن من أهل هذه الارض ، وطبيعة اللا أرضية هذه تنطوى عند عامة الناس على عنصر ذميم ، هذا في الوقت الذى يرى فيها ذوو المزاج الشاعرى قبسا من الملائكة. فوضوى فى لباسه ، وهو يرتدى جاكتة قديمة زرقاء من قماش السيرج الصوفي محلولة الازرار فوق قميص صوفي مما يلبسه لاعبو التنس ،ويستخدم منديلا حريريا بدل رباط العنق ، وبنطلونا يناسب الجاكتة وحذاء بنى اللون من القماش . والظاهر انه رقد بهذه الملابس على العشب وخاض في المياه ، وليس هناك ما يدل على انه استخدم الفرشاة في تنظيفها ولو مرة .

حين يلمح غريبا عند دخوله يقف وينتحى وهو يسير على طول الجدار ناحية في الجانب المقابل من الحجرة .)

موريل : (وهو يدخل) تعال : أظن أنك تستطيع على اى حال ان تمنحنا ربع ساعة من وقتك . هذا حماى . يا مستر برجيس ، أقدم لك مستر مارشبانكس .

مارشبانكس : (يتقهقر فى عصبية بظهره الى خزانة الكتب)سعيد بلقائك يا سيدى .

برجيس : (يعبر الغرفة اليه يتودد شديد بينما ينضم موريل الى كانديدا بالقرب من نار المدفأة) وأنا يسعدنى حقـا أن أتعرف بك يا مستر مورشبانك .(١) (يرغمه على مصافحته) ما رأيك فى هذا الجو ؟ أرجو ألا تترك جيمس يغرس في رأسك أفكارا حمقاء .

مارشبانكس : أفكار حمقاء ؟ تعنى الاشتراكية ؟ لا .

برجيس : هذا حسن . (ينظر الى ساعته ثانية) انا مضطر الى الانصراف الآن : لامهرب لى من ذلك . هل انت آت فى طريقى يامستر مور شبانكس ؟

مارشبانكس : أى طريق طريقك ؟

برجيس : محطة حديقة فكتوريا . هناك قطار ذاهب الى المدينة فى الساعة ١٢,٢٥ .

موريل : هراء . أنا أنتظر من أوجين ان يبقى معنا للغداء .

مارشبانكس : (يعتذر بلهفة) لا . . أنا . . أنا . .

برجيس : انا على كل حال لا أريد ان اضغط عليك : أراهن انك تفضل البقاء لتناول الغداء مع ... كاندى. .أرجو مع ذلك أن تأتى يوما لتناول العشاء معى فى نادى ، نادى الفريمان فرنلدرز فى نورتون فولجيت : عدنى بأنك ستفعل !

---

(١) برجيس ينطق اسم مارشبانكس بالواو بدل الالف الأولى . وفى نقطة عيوب أخرى عديدة فهو مثلا يحذف الهاء من مكانها الطبيعى ويضيف « هاء » إلى الحروف المتحركة ولغته عموما لغة سوقية تدل على انعدام كامل للثقافة .

مارشبانكس : شكرا يا مستر برجيس . واين نورتون فوبجيت ؟ في « سرى » . أليس كذلك ؟

(برجيس ، وقد أحسّ بدغدغة تفوق التعبير ، تنتابه نوبة من الضحك المتلاحق .)

كانديدا : (تهب لانقاذ الموقف) سيفوتك القطار يا أبى ان لم ترحل من فورك . عد الينا في العصر لتخبر المستر مارشبانكس عن مكان النادى .

برجيس : (يزأر ضاحكا) في « سرى » ! ها ، ها ! يالهـا من نكتة . انا لم أقابل قط رجلا يجهل نورتون فوبجيت (يدركه الخجل لما يحدث من ضوضاء) الى اللقاء يا مستر مورشبانكس : أنا أعلم انك من عراقـة الاصل بحيث لا تأخذ مزاحى على محمل سيء . (يمد يده من جديد) .

مارشبانكس : (يأخذها برعشة عصبية) لا . أبدا .

برجيس : الى اللقاء ياكاندى . سأطل عليكم ثانية فيما بعد .الى اللقاء يا جيمس .

موريل : أمن الضرورى ان تغادرنا ؟

برجيس : لاتتحرك . (يخرج وانشراحه على حاله) .

موريل : سأصحبك الى الخارج . (يتبعه) .

(اوجين يشيعهما بنظره فى وجل ويكتم انفاسه حتى يختفى برجيس .)

كانديدا : (تضحك) والآن يـا أوجين ؟ (يلتفت منتفضـا ويقترب منها بلهفة ولكنه يتوقف مترددا وهو يقابل نظرتها اللاهية) . ما رأيك فى أبى ؟

مارشبانكس : أنا . . أنا لم أكد اعرفه بعد . يبدو أنه كهل ظريف .

كانديدا : (بسخرية رقيقة) وسنّذهب إلى نادى الفريمان فوندرز لنتناول معه العشاء . اليس كذلك ؟

مارشبانكس : (يظنها جادة ، وفي تعاسة) نعم . اذا كان هذا يسرك

كانديدا : (متأثرة) انت يا أوجين ، رغم كل غرابتك ، ولد في غاية الذوق . لو أنك ضحكت على أبى ،لما همنى ولكن معزتك عندى تضاعفت لانك كنت رقيقا معه.

مارشبانكس : هل كان المفروض أن أضحك ؟ لقد لاحظت انه قال شيئا مضحكا ، ولكنى شديد الارتباك مع الغرباء كذلك فانى لا أفهم النكتة . أنـــا في شـــدة الاسف (يجلس على الكنبة : مرفقاه على ركبتيه وجبهته بين قبضتيه بتعبير من الالم اليائس) .

كانديدا : (تستحثه بلطف) لا عليك أيها الطفل الكبير ! ارى انك اسوأ حـــالا من المعتاد هذا الصباح . مـــا سر انقباضك ونحن في طريقنا بالعربة الى هنا ؟

مارشبانكس : لا . لا شيء . كنت فقط اتساءل عما يجب ان ادفعه لسائق العربة . انا أعلم ان هذا شيء فى منتهى الحمق ، ولكنك لاتدركين فظاعة مثل هذه الامور بالنسبة الى والى أى حد يفزعنى أن اضطر الى التعامل مع مـــن لا أعرفهم . (بسرعة ، مطمئنا) ولكنها فرجت . لقد فاض عليه البشر ومس قبعته احتراما حين نقده موريل شلنين. كنت على وشك اعطائه عشرة شلنات. (موريل يعود ببعض الخطابات والصحف التى حملها اليه بريد الظهيرة .)

كانديدا : تصور يا جيمس انه كان يريد أن يعطى السائق عشرة شلنات لمسافة لم تستغرق بالعربة أكثر من ثلاث دقائق ربــــاه !

موريـــل : (وقد جلس إلى المائدة يتصفح الخطابات) لا تهتم لقولها يا مارشبانكس. ان نزعة دفع اكثر من المستحق نزعة جود ، وهى خير من نزعة دفع أقل مما هـــو مستحق . كذلك فهى أقل منها انتشارا .

مارشبانكس : (يستبد به الهم من جديد) لا : هى جبن وقصور . مسز موريل محقة تماما .

كانديدا : طبعا هى محقة (تأخذ حقيبة يدها) والآن أنا مضطرة لتركك لجيمس فترة من الوقت . انت ، فيما افترض ، لاتدرى ، من فرط شاعريتك : الحالة التى تجد فيها أى امرأة بيتها بعد أن تغيب عنه ثلاثة أسابيع . اعطنى بساطى . (اوجين يأخذ البساط المحزم من الكنبة ويسلمها ايــاه . تأخذه بيسراها لان يمناها تمسك بالحقيبـــة) . والآن علـــق معطفى بـــالعرض على ذراعى (يطيع) والآن قبعتى . (يضعها في اليد التى تحمل الحقيبة) . والآن افتح لى الباب . (يهرول امامها ويفتح الباب) شكرا . (تخرج ويغلـــــق مارشبانكس الباب) .

موريـــل : (لا يزال مشغولا لدى المائدة) ستبقى بطبيعة الحال للغداء يامارشبانكس .

مارشبانكس : (مذعورا) لا ينبغى هذا . (يلقى على موريل نظرة

سريعة ولكنه يتفادى نظرته الصريحة ويضيف بخبث واضح) اعني انني لا استطيع .

موريـــل : بل تعني أنك لا تريـــد .

مارشبانكس : (بحرارة) لا : بل ان ذلك يسرني حقا . شـــكرا جزيلا . ولكن . . ولكن . .

موريـــل : ولكن . . ولكن . . ولكن . . ولكن . . ما هذا ! إذا كنت تريد أن تبقى فابق . امـــا اذا كنت تحس خجلا فاذهب ودر دورة في الحديقة واقرض الشعر حتى الواحدة والنصف ثم تعال وتناول وجبة مغذية.

مارشبانكس : اشكرك . هذا مما يسرني جدا ولكنني حقيقة لا يجب ان أبقى . وان شئت الصدق فان مسز موريل نهتني عن ذلك . قالت انها لا تظن انك ستدعوني للغـــداء وان علي مع ذلك ان اتذكر ، ان فعلت ، انك في الحقيقة لا تريد ان أبقى . (متشكيا) قالت انـــني سأفهم ، ولكنني لست فاهما . أرجوك الا تخبرها أني قلت لك .

موريـــل : (بلهجة مضحكة) هذا كل ما هنالك ؟ الا يساعد اقتراحي بان تقوم بجولة في الحديقة على التغلب على هذه المشكلة ؟

مارشبانكس : كيف ؟

موريـــل : (ينفجر بانباسط) سأوضح لك أيها الابلـــه . . (ولكن هذه اللهجة الصاخبة تؤذي مشاعره وكذا مشاعر أوجين . يراجع نفسه) . لا : لـــن أشرح الموضوع بهذه الطريقة . (يتقدم من أوجين بجدية

وعطف) . يا ولدى العزيز : في الزواج السعيدالذى يشبه زواجنا تنطوى عودة الزوجة الى بيتها على شيء مقدس جدا . (ما رشبانكس يرمقه بسرعة ويكاد يفهم ما يرمى اليه) . وفي مثل هذه المناسبات فـــان وجود صديق قديم او شخص نبيل كبير القلـــــب لا يسبب ازعاجا . (تعبير الشخص المطارد المرتاع يرتسم في جلاء مفاجئ على وجه أو جينءاذ يفهـــم ما يعنيه . موريل لا يتنبه الى ذلك لانشغاله بأفـــكاره الخاصة) . كانديدا ظنت انني أفضل الا تبقى هنا ولكنها كانت مخطئة انني يابني اكن لك اعزازا كبيرا ويهمني ان ترى بنفسك مدى السعادة التي ينطـــوى عليها زواج كزواجي .

مارشبانكس : سعادة ! زواجك ! صحيح ؟ أتعتقد ذلك !

موريـــل : (في مرح) فاهم يا بني . الكاتب « لاروشفوكو » قال ان هناك زيجات مناسبة ولكـــن ليست هنـــاك زيجات بهيجة . ان في اكتشاف حقيقة مثل هــــــذا الكذاب الأشر والساخر العفن عزاء لا يخطر لك على بال . ها ! ها ! والآن انطلق الى الحديقة واكتب قصيدتك . وتذكر : الواحدة والنصف بالدقيقـــة فنحن لا نؤخر موعد وجباتنا قط من أجل أحد .

مارشبانكس : (بتوحش) لا : مكانك : لن تفعل . سأظهر الأمر

موريـــل : (لا يفهم) تظهر ماذا ؟

ما شبانكس : لابد أن أتحدث اليك . هناك أمر يجب تسويته بيننا .

موريـــل : (ينظر الى ساعته ويلوح عليه الاستغراب) الآن ؟

مارشبانكس : (مضطرم النفس) الآن . قبل أن تبرح هذه الغرفة. (يتراجع خطوات ويقف كما لو كان يريد أن يسد طريق موريل الى الباب) .

موريـــل : (دون أن يتحرك وبصرامة بعد أن ادرك ان المسألة خطيرة) أنا لم أكن أهم بمبارحتها يا ولدى العزيـــز بل ظننت انك انت الذى ستبرحها . (اوجـــين ، وقد اربكته هذه اللهجة الحازمة ، يوليه ظهره وهو يتميز غضبا . موريل يذهب اليه ويضع يده على كتفه بقوة وعطف متجاهلا محاولة ابعادها) . تعـــال : اجلس بهدوء وقل لى ما الخبر . وتذكر أننا صديقان واننا لا يجب أن نخشى أن يفقد أحدنا صبره مـــع الآخر او أن يسيء اليه أيا كان ما يقوله .

مار شبانكس : (يستدير ليواجهه) أنا لست غافلا عن نفسى : كل ما في الامر (يغطى وجهه قانطا بيديه) ان الاشمئزاز يملؤنى . (يسقط يديه ويدفع وجهه بشراسة نحـــو موريل ويواصل الكلام بلهجة تهديدية) سترى اذا كان هذا هو وقت الصبر او تجنب الاساءة . (موريل صامد كالصخر ، ينظر اليه بتسامح) لا تنظر الى نظرة الرضى عن نفسك . انت تتوهم انك أقـــوى منى ، ولكنى سأزعزع كيانك اذا كان في صدرك قلب .

موريـــل : (شديد الثقة بنفسه) تفضل يابنى . زعزع كيـــانى. أفصح .

مارشبانكس : أولا . .

موريـــل : أولا ؟

مارشبانكس : أنا أحب زوجتـــك .

(موريل يرتد ثم بعد أن يتفرس فيه لحظة في عجب بالغ ينفجر في ضحك لا يستطيع مغالبته . اوجـــين يباغت ولكنه لا يفقد زمام نفسه بل سرعان ما يظهر عليه التأفف والازدراء .)

موريـــل : (يجلس في محاولـــة للكف عن الضحك) طبعـــا يا ولدى العزيز . هذا أمر طبيعى . كل الناس يحبونها وليس لهم في ذلك حيلة . وهو شيء يرضيني . ومع ذلك (ينظر اليه مازحا) فانى اتساءل يا أوجـــين : أتظن ان حالتك تحتمل التحدث عنها ؟ أنت لم تبلغ العشرين بعد وهى قد تجاوزت الثلاثين . ألا تبـــدو هذه الحالة شديدة الشبه بهوى المراهقـــة ؟

مارشبانكس : (مشبوب العاطفة) كنت تقول عنها ذلك ! أهـــذا هو رأيك في الحب الذى هى ملهمته ؟ هذه اهانة لها !

موريـــل : (ينهض بسرعة وبنبرة متغيرة) لها ! أوجين : فتح عينك . لقد صبرت على كلامك وأرجو ألا ينفد صبرى . ولكن هناك أمورا لن أتهاون فيها . لا ترغمني على معاملتك بالتسامح الذى أعامل به الأطفال . كن رجلا .

مارشبانكس : (تبدو منه حركة كما لو كان ينزح شيئا وراءه) لا . دعنا ننحى كل هذا الدجل ، جانبا .
ان الهلع يدركني كلما تصورت كمية الدجل التى كان عليها ان تتجرعها كل تلك السنوات الطويلة

المملة التي جعلتك الانانية وعمى البصيرة تضحى خلالها بامرأتك على مذبح غرورك : انت ! (يتحول اليه) الذى لا تشترك معها في فكرة .. أو معنى .. واحد .

موريـــل : (بفلسفة) هى ، على ما يبدو ، تتحمل ذلك على خير وجه ! (يصوب عينيه إلى وجهه) أوجين ياولدى : لا تكن أحمق . هذه حماقة كبرى . خذها منى كلمة واضحة مفيدة .

(يحاول أن يدق هذا الدرس في رأسه بايماءة على عادته القديمة ويتخذ مكانا على بساط المدفأة ويجعل يديه خلفه ليدفئهما) .

مارشبانكس : هل تظن انى لا أعرف كل هذا ؟ هل تظن ان الأمور التى يرتكب الناس من أجلها الحماقات تقل في حقيقتها وصدقها عن تلك التى يتصرفون فيها بعقل ؟ (نظرة موريل تضطرب للمرة الأولى . يفوته ، أن يدفئ يديه ويقف مستمعا ، في انزعاج وتفكر) انها أصدق منها : انها الاشياء الوحيدة الصادقة . أنت هادئ جدا ومعقول ومعتدل معى لأن في استطاعتك أن ترى أنى مجنون بزوجتك ، تمـــاما كما كان ذلك العجوز الذى كان هنا منذ لحظة ولاشك عاقلا جدا بشأن اشتراكيتك لانه يرى أنك مجنون بها . (ربكة موريل تزداد عمقا بشكل ظاهر . أوجين يستمر في الضرب على الوتر الحساس ويمطره بشراسة بالاسئلة) . هل هذا دليل على

خطئك ؟ هل يدل زهوك ورضاك عن نفسك على
انى أجانب الصواب ؟

موريـــل : مارشبانكس : هناك شيطان يجرى على لسانك هذه
الكلمات . من السهل — من السهل بشكل مخيف —
أن تهز ثقة انسان بنفسه . والذى يستغل هذا ليحطم
معنويات انسان يعمل عملا شيطانيا . حذار مما أنت
بسبيله . حذار .

مارشبانكس : (بلارحمة) عارف . وأنا أفعل ما أفعل عامدا
متعمدا . ألم أقل لك انى سأزعزع كيانك ؟

(يواجهان أحدهما الآخر لحظة والشرر يتطاير
من عينيهما ثم يستعيد موريل وقاره) .

موريـــل : (برقة نبيلة) أوجين . اصغ الى . ستكون انت في
يوم من الايام ، كما ارجو وأثق ، رجلا سعيدا
مثلى . (أوجين يبدو عليه الاشمئزاز ويرفض
الاعتراف بمثل هذه السعادة .
موريل وقد أحس باهانة بالغة يتحكم في نفسه
متذرعا بصبر جميل ويستأنف حديثه في ثبات
بأداء على قدر كبير من الجمال الفنى) ستتزوج
وستعمل ما وسعك الجهد والبسالة لتجعل كل بقعة
في الارض في مثل سعادة بيتك . ستكون واحدا من
صانعى مملكة السماء على الأرض ، ومن يدرى ؟
لعلك تكون بناء عظيما حيث لا أزيد أنا عن أن
أكون اجيرا متواضعا . لا تظن ، يابنى ، أننى
لا أستطيع أن استشف فيك ، رغم أنك في مقتبل

العمر ، ما يبشر بامكانيات اسمى مما استطيع أنا أن أدعيه يوما لنفسي . أنا أعلم حق العلم أن روح الانسان المقدسة — وهي نفحة من عند الله — لا تقترب من صورة الخالق في أحد كما تقترب منها في شـخص الشـاعر . ان التفكير في هـذا ، أي في احتمـال ان يلقى على كاهلك عبء الشاعر الباهظ وموهبته العظيمة ، ينبغي أن يجعل فرائصك ترتعد .

مارشبانكس : (لا يتأثر ولا يحس وخز الضمير . طريقته الصبيانية في ابداء رأيه دون محسنات لفظية تتنافر بشكل صارخ مع لهجة موريل الخطابية) تفكيري في هذا لا يجعل فرائصي ترتعد . الذي يجعلها ترتعد هو افتقار الآخرين اليه .

موريـل : (يضاعف قوة أسلوبه تحت وطأة شعوره الصادق وتشبث أوجين) فلتساعد اذن على اذكائه فيهم — فيّ أنا — لا على اخماده . وغدا ، حين تسعد مثل سعادتي ، سأكون أخا صادقا لك في اليقين . سأعينك على الايمان بأن الله قد وهبنا عالما حماقتنا دون غيرها هي التي تحول دون أن يكون جنة من جنـات النعيم . سـأعينك . على أن تـؤمن بأن كل عمل تعمله انما يبذر السعادة للمحصول العظيم الذي سيجنيه الجميع — حتى أقل الناس شأنا — ذات يوم . وأخيرا ولكن — صدقني — ليس آخرا ، سأعينك على الاعتقاد بأن زوجتك تحبك وانها سعيدة في بيتها . نحن نحتاج إلى مثل هذا العون

يامارشبانكس : نحن في مسيس الحاجة اليه دائما . وهناك عديد من الاشياء التى تحملنا على الشك في ذلك لو اننا سمحنا لفهمنا للأمور أن يختل . نحن ، في عقر دارنا ، نجلس كما لـــو كنا في معســـكر ، وجيش من الشكوك المعادية يضرب حولنا الحصار . هل في نيتك أن تقوم بدور الخائن وتجعلها تنقــض عليّ ؟

مارشبانكس : (يجيل نظره كوحش مفترس) هل تسير الأمـــور هنا دائما على هذا النحو بالنسبة لها ؟ امرأة مثلها ، ذات روح عظـــيم ، تواقة إلى الحقيقـــة والصدق والحرية ، لا تجد من طعام سوى استعارات ومواعظ وخطبا عصماء عفا عليها الزمن ، وتشدق بالألفاظ . هل تظن أن روح امرأة يمكنها أن تعيش على موهبتك في الوعظ والارشاد ؟

مـــوريل : (ملدوغا) مارشبانكس : أنت تجعل من الصعب عليّ أن أسيطر على نفسي . موهبتي تشبه موهبتك إذا كان لها أى قيمة حقيقية على الاطلاق . موهبة العثور على الكلمات للتعبير عن الحقيقة المقدســـة .

مارشبانكس : (بفورة) موهبة الثرثرة لا أكثر ولا أقل . ما لقدرتك على الكلام المنمق ، وللحقيقة . انها ليست أقدر على التعبير عنها من العزف على الارغن . أنا لم أذهـــب الى كنيستك ابدا ولكنى حضرت اجتماعاتك السياسية وشاهدتك وانت ترتفع بالحاضرين ، كما يقال ، الى قمـــة الحماس : أى أنك أثرتهم حتى أصبحـــوا

يتصرفون تماما كما لو كانت قد لعبت برؤوسهم الخمر . هذا وزوجاتهم يشهدن ذلك ويرين أى حمقى اصبحوا . لا . انها قصة قديمة : ستجدها في الكتاب المقدس . يخيل الى ان الملك داود كان في نوبات حماسه شديد الشبه بك . (يطعنه بالكلمات التالية) فاحتقرته زوجه في قلبها .(١)

موريل : (ساخطا) اخرج من بيتى . سامع ؟ (يتقدم منه متوعدا) .

مارشبانكس : (ينكمش ويتراجع حتى يلاصق النكبة) دعني وشأني . لاتمسني . (موريل يقبض عليه بقوة من طية صدر سترته : يجلس على الكنبة متكوما على نفسه ويهتف في شدة الانفعال) . حذار ياموريل . ان ضربتني فسأقتل نفسي : لن أطيق ذلك . (في شبه هستيرية) دعني انصرف . ابعد يدك .

موريل : (باحتقار بطيء وفي توكيد) أيها الجرو البكاء الجبان . (يخلى سبيله) . رح لحالك قبل ان يخلع الخوف قلبك .

مارشبانكس : (على الكنبة ، لاهثا ولكن بارتياح لأن موريل سحب يده) انا لا أخشاك بل أنت الذى تخشانى .

موريل : (بهدوء وهو يقف مهيمنا عليه) يبدو ذلك . ألا توافقني ؟

---

(١) يشير إلى القصة الواردة فى الكتاب المقدس « العهد القديم » أخبار الأيام الأول الاصحاح الخامس عشر الفقرة «٢٩» . . . .

مارشبانكس : (جائش الصدر وفي مكايده) بلى . (موريـــــل ينصرف عنه بازدراء . اوجين يتحامل على قدميـــه ويتبعه) . انت تحســـب ، لانى أنفر من المعاملـــة الخشنة ، ولانى (يتهدج صوته) لا أملك سوى البكاء الغاضب حين أقابل بالعنف ، ولانى أعجز عن حمل حقيبة كبيرة ثقيلة من أعلى العربـــة مثلك ، ولأنى لا استطيع ان اقاتلك على زوجتك كعامل مخمور . انت تحسب لكل ذلك انى أخشاك . ولكنك غلطان . اذا كنت لا أتصف بما تسميه برباطة الجأش البريطانية فانى لا أتصف كذلك بالجبن البريطانى : أنا لا أخشى أفكار قسيس . وسأحارب أفكارك . سأنقذ زوجتك من استعباد هذه الافكار واسلط عليها افكارى أنا . انت تطردنى من البيت لانك لاتجرؤ على السماح لها بان تختار بين افكارك وأفكارى . انت تخشى السماح لى برؤيتها ثانية . (موريل ، وقد استبد به الغضب ، يستدير اليه فجأة . مارشبانكس يفزع الى الباب في خوف لا ارادى) . قلت لك دعنى وشأنى . أنـــا راحــــل .

مـــوريل : (بازدراء وبرود) انتظر لحظة : لن أمسك : لاتخف حين تعود زوجتى ستريد أن تعرف لماذا انصرفت . وعندما تكتشف انك لن تعبر عتبتنا ثانية ، ستطلب ان تتلقى تفسيرا لذلك أيضا . والحق انى لا أريد أن انكد عليها باخبارها انك تصرفت تصرف انسان حقير .

مارشبانكس : (يعود بفورة متجددة) بل ستخبرها . يجب ان تخبرها . واذا فسرت لهـــا الموضوع بغير التفسير الحقيقى فأنت كـــاذب وجبان . ردد على مسمعها كلامى ، وكيف انك كنت قويا ذا فتوة وكيف انك هززتنى كما يهز كلب « التريير » فأرا ، وكيف انى فزعت وارتعبت ، وكيف لقبتنى بالجرو البكّاء الجبان وطردتنى خـــارج البيت . اذا أنت لم تخبرها فسأخبرها انا : سأكتب لهابذلك .

مـــوريل : (متحيرا) ما بالك تريدها أن تعلم هذا ؟

مارشبانكس : (بنشوة غنائية) لأنها ستفهمنى وهى تعلم انى أفهمها. واذا أخفيت عنها كلمة مما حدث – اذا لم تكن على استعداد مثلى لوضع الحقيقة عند قدميها – فستعلم حتى آخر يوم في عمرك أنها في واقع الامر ملكى أنا وليست ملكك . وداعا . (يتحرك للانصراف) .

مـــوريل : (في شدة الانزعاج) مكانلك : أنا لن أخبرها .

مارشبانكس : (يستدير قرب الباب) اذا ذهبت أنا فاما أن تخبرها بالحقيقة او ان تكذب عليها .

مـــوريـــل : (يتجنب الارتباط بشيء) مارشبانكس : من المباح أحيانا . .

مارشبانكس : (مقاطعا) عارف : أن نكذب . لا فائدة وداعا يا سيادة القسيس . (حين يتجه أخيرا الى الباب اذا بالباب يفتح وكانديدا تدخل في ثياب البيت .)

كانديدا : راحل يا أوجين؟ (تنظر اليه بتدقيق أكبر) ما هذا ؟ انظر الى شكلك . تخرج الى الشارع بهذه الحالـــة ! صدق من قال: شاعر . انظر اليه يا جيمس ! (تمسكه من سترته وتدفعه الى الامام لتريه لموريل) . انظر الى ياقته ! انظر الى رباط عنقه ! انظر الى شعره ! من يراك يخيل اليه ان أحدا كان يخانقك . (اوجين يحاول بحركة غريزية ان يحول نظره الى موريـــــل ولكنها تجذبه الى الوراء) . قف ساكنا ! (تزرر ياقته وتعقد المنديل الذى يستخدمـــه كرباط رقبة وترتب شعره) . هكذا ! منظرك الآن لطيف بشكل يجعلنى أظن من الافضل أن تبقى معنا للغداء رغم انى طلبت منك الا تفعل . سيكون الغداء معدا في خلال نصف ساعة . (تضع اللمسة الاخيرة في عقدة رباط الرقبة يقبل يدها) لاتكن أبله .

مارشبانكس : بودى بالطبع أن أبقى . اللهم الا اذا كان لدى سيادة زوجك المحترم ما يعترض به ؟ على ذلك .

كانديدا : هل تأذن له يا جيمس بالبقاء اذا وعد بأن يكون ولدا عاقلا وساعدنى في اعداد المائدة ؟

مـــوريل : (باقتضاب) نعم بكل تأكيد : خيرا يفعل . (يسير الى المائدة ويتظاهر بأنه مشغول بفحص أوراقـــــه الموضوعة عليها) .

مارشبانكس : (يقدم ذراعه لكانديدا) هيا ولنعد المائدة .(تأخذ ذراعه ويسيران الى الباب معا . يضيف وهما يعبران الباب) انا أسعد مخلوق على وجه البسيطة .

مـــوريل : وهكذا كنت انا . . منذ ساعة .

★ ★ ★

الفصل الثانى

في ساعة لا حقة من عصر نفس اليوم . نفس الغرفة . الكرسى المخصص للزوار أعيد إلى مكانه لدى المائدة . مارشبانكس ، وحيدا وليس لديه ما يشغله ، يحاول ان يكتشف كيف تعمل الآلة الكاتبة . يسمع شخصا لدى الباب فيبتعد متسللا الى النافذة كمن ارتكب ذنبا ويتظاهر بالاستغراق في تأمل المنظر الطبيعى . مس جارنيت تجلس إلى الآلة الكاتبة وفي يدها الكراسة التى تكتب فيها بطريقة الاختزال الخطابات التى يمليها عليها موريل.تعكف على نقل الخطابات على الآلة الكاتبة باهتمام يجعلها لا تتنبه إلى وجود أوجين . حين تبدأ السطر الثانى تتوقف وتتفحص الآلة الكاتبة بنظرها . من الواضح أن شيئا فيها لا يسير كما يجب .

بروسبرين : أف ! عبثت بآلتى الكاتبة يامستر مارشبانكس . لن يجديك شيئا أن تحاول التظاهر بأنك لم تفعل .

مارشبانكس : (في استحياء) آسف جدا يا مس حارنيت . كل ما فعلته هو انى حاولت ان اجعلها تكتب . (متشكيا) ولكنها امتنعت .

بروسبرين : لقد غيرت المسافة بين السطر والسطر .

مارشبانكس : (باخلاص) اؤكد لك انني لم أفعل . لم أفعل ذلك البتة . كل ما فعلته هو انـــي ادرت عجلة صغيرة . وقد احدثت صوتا يشبه الطفطقة .

بروسبرين : الآن فهمت . (تعيد المسافة في الآلة الكاتبة إلى ما كانت عليه وهى تسترسل في الحديث دون توقف). لعلك ظننتها أرغنا يدويا أو شيئا من هذا القبيل: كل ما عليك أن تفعله هو أن تدير اليد وإذا بالآلة تسطر في الحال خطابا غراميا .

مارشبانكس : (جادا) اظن أن أى آلة كاتبة يمكن أن تستخدم في كتابة خطابات غرامية . أليست كلها سواء ؟

بروسبرين : (بشئ من الاستنكار فان مثل هذه المناقشة لا تدخل في اطار ما ترتضيه من قواعد السلوك الا على سبيل المزاح) وكيف لى أن أعرف ؟ ما بالك تسألنى ؟

مارشبانكس : أرجو المعذرة ، كنت أحسب ان اصحاب البراعة من الناس — أى الناس الذين يستطيعون أن يقوموا بالاعمال ويكتبوا الخطابات وما الى ذلك —محتاجون دائما للدخول في علاقات غرامية لكيلا يصابوا بالجنون .

بروسبرين : (تنهض ثائرة لكرامتها) مستر مارشبانكس ! تنظر اليه بصرامة وتسير في خيلاء إلى خزانة الكتب).

مارشبانكس : (يدنو منها متذللا) ارجو ألا أكون قد أسأت اليك . لعله ما كان ينبغى ان اشير الى غرامياتك .

بروسبرين : (تأخذ كتابا أزرق من الرف وتستدير اليه بحدة) أنا ليس عندى غراميات .كيف تجرؤ على التلفظ

بمثل هذا الكـــلام ؟ (تضع الكتـــاب تحت ذراعها وتندفع عائدة الى آلتها الكاتبة واذا به يخاطبها باهتمام متزايد وعطـــف .)

مارشبانكس : حقا ! اذن فأنت ، مثلي ، من النوع الخجول .

بروسبرين : انا قطعا لست خجولا . ما قصدك ؟

مارشبانكس : (كمن يبوح بسر) لابد أنك خجولا : هذا هو السبب في قلة القصص الغرامية في العالم . كلنا لانفتأ نتمنى الحب . انه أول ما نحتاج اليه بفطرتنا . أول دعـــاء لقلوبنا . ولكننا – لان الخجل يعقد السنتنا – لانجرؤ على التصريح بتلهفنا عليه . (بحرارة شديدة) مس جارنيت . اهناك شيء يعز عليك دفعه في سبيل ان تتخلصي من الخوف والخجل ؟

بروسبرين : (باستنكار) لقد تجاوزت حدودك !

مارشبانكس : (بفظاظة وضيق صدر) لاتخاطبيني بمثل هذا السخف انه لا يضللني : ما فائدته ؟ فيم خوفك من اطلاعـى على حقيقة نفسك ؟ أنا أشبهك تماما .

بروسبرين : تشبهني ! قل لى من فضلك : هل أنت تمتدحني ام تمتدح نفسك ، فاني في حيرة من أمرى؟ (تحـــاول مرة ثانية أن تعود لعملهـــا) .

مارشبانكس : (يستوقفها في غموض) ، صه ! أنا لا أكف عن نشدان الحب . وأجده مخزونا بكميات لاتقدر فى صدور الآخرين . ولكنني حين أهم بطلبه اذا بهذا الخجل الفظيع يأخذ بخناقي واذا بى اقف كالأبكم

او أسوأ من الابكم. أهرف بكلام لا رأس له ولاذيل أكاذيب حمقاء . وانظر فأرى المحبة التى اصبو اليها تمنح للقطط والكلاب والطيور الاليفة لانها تأتى وتطلبها . (فيما يشبه الهمس) لابد أن نطلبه : انه كالشبح : لا يستطيع الكلام الا اذا وجه اليه الخطاب. (بعنفه المعتاد ولكن في اكتئاب عميق) كل الحب الذى في الدنيا يتمنى ان يفصح عن نفسه ، ولكنه لايجــروُ على الافصاح لانــه خجول ! خجول ! خجول ! هذه هى مأساة العالم . (بزفرة عميقة يجلس على الكرسى المخصص للزواو ويدفن وجهه في يديه) .

بروسبرين : (مندهشة ولكنها تظل في وعيها ، وهذه بالنسبة لها مسألة كرامة كلما التقت بشاب على قدر مــن الغرابة) الاشرار يتغلبون أحيانا على هذا الخجل . ألا توافقنى ؟

مارشبانكس : (يقوم متحامــلا على نفسه فيما يشبه الشراسة) المقصود بالاشرار قوم لا ينبض قلبهم بحب : لذا فهم مجردون من الخجل . ان لديهم القدرة على طلب الحب لانهم ليسوا بحاجة اليه : ولديهم القدرة على عرضه لانهم لايملكون ما يمكن منحه . (يتهاوى على كرسيه ويضيف ملتاعا) اما نحن . نحن الذين تنبض قلوبهم بالحب وتهفو نفوسهم لمزجــه بحب الآخرين فلا نستطيع ان نعبر عن مكنوننا بكلمة . (بحياء) أليس هذا شعوورك ؟

بروسبرين : اسمع يا مستر مارشبانكس : اذا لم تكف عن مثل هذا الحديث فسأغادر الحجرة : سأغادرها اؤكد لك . هذا كلام غير جائز .

(تعود الى مقعدها امام الآلة الكاتبة وتفتح الكراسة الزرقاء وتتأهب لتنقل منها فقرة .)

مارشبانكس : (فاقد الامل) مامن شيء يستحق أن يقال يجوز أن يقال . (ينهض ويحوم في الغرفة بطريقته التي تشي بالضياع) . أنا عاجز عن فهمك يامس جارنيت . عم تريدين أن أتحدث ؟

بروسبرين : (تتعالى عليه) تحدث عن أشياء لاتقدم ولا تؤخر . تحدث عن الجو .

مارشبانكس : هل يمكنك ان تتحدثي عن أشياء لاتقدم ولا تؤخراذا كان هناك طفل قريب يجأر بالصياح من الجوع ؟

بروسبرين : لا أظـــــن .

مارشبانكس : حسنا : انا لا استطيع التحدث عن أشياء لاتقدم ولا تؤخر وقلبي يجأر بالصياح المر من الجوع .

بروسبرين : اذن فامسك لسانك .

مارشبانكس : طبعا : هذا ما ينتهي اليـــه الحال دائما : أن نمسك ألسنتنا . هل يخرس هذا ولولة قلبك ؟ لان قلبك يولول . اتنكرين ذلك ؟ اذا كان لك قلب فلابد أنه يولـــول .

بروسبرين : (تنهض فجأة ويدها تضغط على قلبها) لافائدة من محاولة العمل وانت تتحدث هكذا . (تترك مائدتها

الصغيرة وتجلس على الكنبة وصدرها يجيش بمشاعره)،
ليس من شأنك ما اذا كان قلبي يولول اولا يولول .
ومع ذلك فنفسي تنازعني لكي أخبرك .

مارشبانكس : لاحاجة بك الى ذلك فانا أعرف انه لامناص له من ذلك .

بروسبرين : ولكن حذار ، فاذا سولت لك نفسك ان تردد ذلك على لساني فسأنكره .

مارشبانكس : (في اشفاق) عارف . أفهم من هذا أن شجاعتك لا تواتيك لتخبريه ؟

بروسبرين : (تثب واقفة) لاخبره ا من هو ؟

مارشبانكس : كائنا من كان الذى تحبينه . قد يكون اى انسان . ربما مستر ميل ، مساعد القسيس .

بروسبرين : (بامتهان) مستر ميل ! ! ! حقا . رجل بهي الاوصاف لاحطم قلبي من أجله ! لو كان علي أن اختار لفضلتك أنت على مستر ميل .

مارشبانكس : (يجفل) لا . حقيقة . انا في شدة الاسف . ارجوك الا تفكرى في ذلك . أنا . .

بروسبرين : (بنزق وهى تسير الى المدفأة وتقف لديها وظهرها اليه) لا تفزع : انت لست الشخص . ولا أى شخص معين .

مارشبانكس : عارف . أنت تشعرين بأن في امكانك ان تحبي أى شخص يعرض . .

بروسبرين : (تستدير وقد طفح كيلها) أى شخص يعرض !الا .

ليس هذا شعورى . من تظننى ؟

مارشبانكس : (مثبط العزيمة) لافائدة . أنت لاتريدين أن تجيبى على اسئلتى اجابات صحيحة : ليس وراءك سوى ذلك اللغو الذى يردده الناس كافة . (يتجه كالتائه الى الكنبة ويجلس عليها وقد غلبه الاسى) :

بروسبرين : (يحفظها ما تعتبره حطا من قدرها من جانب هـذا الاستقراطى) ماعليك اذا أردت حديثا فيه جدة وابتكار الا ان تناجى نفسك .

مارشبانكس : هذا ما يفعله الشعراء جميعا : يناجون انفسهم بصوت عال فتتناهى نجواهم الى سمع العالم . ولكن الشاعر يحس بوحشة مخيفة اذا لم يستمع بين الحين والحين لحديث شخص آخر .

بروسبرين : عليك اذن بالانتظار حتى يجئ مستر موريل فيحادثك . (يبدو الاشمئزاز على مارشبانكس). لاتزو وجهك فحديثه اكثر طلاوة من حديثك . (بعصبية) ولواراد لأطاح بحديثه رأسك الصغير . (تعود حانقة الى مكانها واذا به ، وقد سطعت في رأسه فكرة يقفز فجأة ويوقفها) .

مارشبانكس : ها ! فهمـــت !

بروسبرين : (يتضرج وجهها) ماذا فهمت ؟

مارشبانكس : سرك . خبرينى : هل يمكن حقا وصدقا ان تقع امرأة في غرامه ؟

بروسبرين : (كأنه قد تجاوز بهذا السؤال كافة الحدود) عجيب أمرك ! !

مارشبانكس : (منفعلا) لا : أجيبيني . اريد أن أعرف : لابد ان أعرف . هذا شيء يفوق ادراكي . أنا لا أرى فيه غير الفاظ وقرارات تقية ، مايسميه الناس بالطيبة . أنت لايمكن ان تحبي ذلك .

بروسبرين : (تحاول الترفع عليه باتخاذ سمة تأدب بارد) انا ببساطة لا أعرف عم تتحدث . انا لا أفهمك .

مارشبانكس : (بفورة) بل تفهمينني . انت تكذبين .

بروسبرين : تبّا لك !

مارشبانكس : انت تفهمين تماما . وتعرفين عم أتحدث . (مصمما على أن يحظى بجواب) هل من الممكن ان يتعلق به قلب امرأة ؟

بروسبرين : (تتصفح وجهه) أجل . (يغطي وجهه بيديه) ماذا دهاك ! (يخفض يديه . تهلع لرؤية قناع الفجيعة الذي يطالعها به فتهرول عبره الى أبعد مسافة ممكنة وعيناها لا تبرحان وجهه حتى يتحول عنها ويمضي الى كرسي الطفل الموضوع الى جوار أرضية المدفأة ويجلس عليه وقد بلغ منه الا بتئاس أشده . تقترب من الباب واذا به يفتح ويدخل برجيس . تهتف حين تراه) حمدا للسماء ! شخص يشاركنا المجلس (وتشعر بقدر كاف من الطمأنينة لتعود الى مكانها لدى مائدتها . تضع ورقة جديدة في الآلة الكاتبة بينما يعبر برجيس الغرفة الى أوجين) .

برجيس : (حريصا على العناية بالزائر العظيم) . هكذا يتركونك وحيدا يا مستر مورشبانكس ! لقد جئت

لمؤانستك . (مارشبانكس ينظر اليه مشدوها ولكن برجيس لا يفهم) جيمس في غرفة المائدة يستقبل وفدا جاء لرؤيته . اما كاندى فى الدور العلوى تعلم فتاة صغيرة يهمها أمرها . (مغريا) لابد أنك تحس هنا بالوحشة وليس في الحجرة من تحدثه سوى السكرتيرة (يجذب المقعد الوثير ويجلس عليه) .

بروسبرين : (مستشاطة الغضب) لا بأس عليه ، الآن في وسعه ان ينهل من حديث الممتع ! هذا على أى حال مطمئن . (تبدأ في الكتابة على الآلة الكاتبة في حدة وضوضاء) .

برجيس : (متعجبا لجرأتها) أنا لم أكن ، فيما أعلم ، أتوجه اليك بالحديث ايتها الفتاة .

بروسبرين : هل رأيت عمرك يا مستر مارشبانكس طريقة في معاملة الناس أسوأ من هذه الطريقة ؟

برجيس : (في صرامة) مستر مورشبانكس جنتلمان وهو يعرف مقامه . يعرفه خيرا من بعضهم .

بروسبرين : (مناكفة) لحسن الحظ أنك وانى لسنا من ابناء الطبقة الراقية . ولولا ان مستر مارشبانكس هنا لكان لى معك حديث صريح . (تجذب الخطاب من الآلة الكاتبة بحركة حانقة تجعله يتمزق) . ها قد تمزق مني الخطاب ! سأضطر الى اعادته من جديد! لقد افلت عيارى : مغفل غبي عجوز !

برجيس : (ينهض وهو يلهث من الغضب) أنا مغفل غبي عجوز ؟ حقا (يشهق) ! حسنا ، يا فتاتى ! حسنا.

انتظرى عليّ حتى أخبر بذلك من تعملين عنده . سترين . سأؤدبك : سترين بعينك .

بروسبرين : (وقد أدركت أنها قد تعدت حدودها) أنا . .

برجيس : (يقاطعها) لا : لقد فعلتها وانتهى الامر . لاجدوى من مخاطبتى . سأريك من أنا . (بروسبرين تدير اسطوانة الآلة الكاتبة بالورقة فتحدث صوتا يحمل معنى التحدى ثم تستأنف عملها في استخفاف) لاتلق اليها بالا يا مستر مورشبانكس ، فهى أدنى من ذلك (يعود الى الجلوس بعظمة) .

مارشبانكس : (في حالة سيئة من العصبية والاضطراب) ألا يحسن بنا أن نغير الموضوع ؟ أنا . . أنا لا أظن ان مس جارنيت كانت تريد اساءة .

بروسبرين : (باقتناع شديد) أتظن ذلك حقا ؟

برجيس : أنا لن أهين نفسى بالاكتراث بها .

(يدق جرس كهربى مرتين .)

بروسبرين : (تجمع كراستها وأوراقها) هذا لى . (تهرع خارجة) .

برجيس : (يصيح في اثرها) لا حاجة بنا اليك . (يشعر بشيء من الارتياح لانتصاره باعتباره صاحب الكلمةالاخيرة ولكن نفسه تنازعه لمحاولة الاستزادة منه فيتابعها بنظره لحظة ثم يجلس على مقعده بجوار أوجين ويخاطبه بلهجة من يفضى بسر خطير) والآن وقد اصبحنا وحدنا يا مستر مورشبانكس دعنى أصرح

كصديق بشيء لا أصرح به لأى انسان . منذ كم من من الوقت تعرفت بزوج ابنتى جيمس ؟

مارشبانكس : لا أدرى . انا لا استطيع ابدا أن اتذكر التواريـخ. منذ شهور قليلة فيما أظن .

برجيس : هل لا حظت عليه قط شيئا غريبا ؟

مارشبانكس : لا أظـن .

برجيس : (بلهجة ايمائية) طبيعى ، وهذا هو الخطير في الموضوع . الذى أريد أن أقوله هو أنه مجنون .

مارشبانكس : مجنـون !

برجيس : مجنون مائة في المائة . لا حظه وسترى .

مارشبانكس : (متململا) ولكن . هذا بالتأكيد راجع الى أن أراءه ...

برجيس : (يمس ركبة مارشبانكس بطرف اصبعه ويضغط عليها ليسترعى انتباهه) هذا بالضبط ما كنت أظنه من قبل يا مستر مورشبانكس . لقد ظننت ردحا من الزمن ان ذلك راجع الى آرائه ليس الا ، ولو ان الآراء كما تعرف تصبح شيئا بالغ الخطورة حين يأخذ الناس في العمل بمقتضاها كما يفعل هو . ولكن هذا ليس بيت القصيد . (يجيل النظر حوله ليتأكد من أنهما بمفردهما ويميل على أذن أوجين) ماذا تحسب انه قال لى هذا الصباح في نفس هذه الحجرة؟

مارشبانكس : ماذا ؟

برجيس : قال لى — وثق ان هذا حدث وثوقك من أننا جالسان هنا الآن — قال « أنا أحمق » وقال « انت وغد » .

تصور ! أنا وغـد ! ثم صافحني كما لو كان ذلك يرفع من قدرى ! هل تريد أن تخبرنى ان ذلك رجل عاقل ؟

موريـل : (في الخارج يرتفع صوته مخاطبا بروسلىين وهو يفتح الباب) خـذى اسماءهم وعناوينهم جميعا يا مس جارنيت .

بروسبرين : (من على بعد) حاضر يا مستر موريل .

(موريل يدخل حاملا مستندات الوفـد .)

برجيـس : (جانبا الى مارشبانكس) هذا هو . ما عليك الا ان تراقبه بعينيك وسترى . (ينهض متأهبا لطـرق موضوع خطير) آسف يا جيمس . أنا مضطر الى الشكوى اليك . لا أفعل ذلك برغبتى ولكنى أشعر انه لا بد من ذلك لان المسألة مسألة حق وواجب .

موريـل : ما الحديث ؟

برجيـس : مستر مورشبانكس سيؤيد كلامى : لقد كان شاهد عيان . (بجدية شديدة) سكرتيرتك نسيت نفسها ووصفتنى بالمغفل الغبى العجوز .

موريـل : (من قلبـه) قول لا يصدر الا مـن بروسى ! يا لصراحتها : انها لا تستطيع ان تتحكم في نفسها ! مسكينة بروس ! ها ! ها !

برجيـس : (ينتفض من الهياج) وهل تتوقع ان أتحمل ذلك من مثلهـا ؟

موريـل : دعك من هذا الهراء ! لا تعرها اهتماما واطـرح

المسألة من فكـــرك . (يسير الى « البـــار » ويضع الاوراق في أحد ادراجه) .

برجيـــس : انا لا يهمني ، وأنا ارفع من ذلك مقاما . ولكن هل هذا يصح ؟ هذا ما أريد أن أعرفه، هل هذا يصح ؟

موريـــل : هذا تساؤل يوجه الى الكنيسة لا الى سواد النـــاس . هل اصابك منه ضرر ؟ هذا هو السؤال بالنسبة لك . بالطبع لم يصبك . لا تفكر في الموضوع اكثر مـــن ذلك . (ينهي الحكاية بالتوجه الى مكانه لدى المائدة والجلوس ليعكف على مكاتباته) .

برجيـــس : (جانبا الى مارشبانكس) ألم أقل لك ؟ مخبول مائة في المائة (يسير الى المائدة ويسأل بدماثة الرجـــــل الجائع العليلة) متى نتناول العشاء يا جيمس .

موريـــل : لن يكون ذلك قبل ساعتين من الآن .

برجيـــس : (برضوخ وحسرة) اعطني يا جيمس لو سمحت كتابا لطيفا اقرأ فيه قرب نار المدفأة .

موريـــل : كتاب من أى نوع ؟ كتاب جيد ؟

برجيـــس : (بما يوشك ان يكون صيحة احتجاج) لا ! كتاب مسل ، لمجرد قضاء الوقت (موريل يأخذ صحيفة مصورة من على المائدة ويقدمها له . برجيس يتقبلها في استكانة) شكرا يا جيمس . (يعود الى الكرسى الكبير لدى المدفأة ويتربع عليه ويأخذ في القراءة) .

موريـــل : (وهو يكتب) ستحضر كانديدا لتؤنسك حالا . لقد تخلصت من تلميذتها . انها تملأ المصابيح .

مارشبانكس : (يهب واقفا في أشد حالات الذعر) ولكن هذا سيلوث يديها (أنــا لا أستطيع أن أتحمل ذلك يا موريل : من العار أن يحدث هذا . سأذهب أنا وأملأها . (يتجه إلى الباب) .

موريـــل : خير لك ألا تفعل . (مارشبانكس يتوقف متردداً) كل ما ستفعله هو أنها ستكلفك بتنظيف حذائى لتوفر عليّ مئونة تنظيفه بنفسى في الصباح .

برجيـــس : (بانكار وقور) أليس لديكم الآن من يقوم بالخدمة ياجيمس ؟

موريـــل : بلى ، ولكن الخادم ليست من العبيد ، والبيت يبدو كما لو كان عندى ثلاثة خدم . معنى هذا ان على كل منا أن يمد يد المساعدة . خطة لا بأس بها : بروسى وأنا نستطيع أن نتحدث في العمل بعد الافطار ونحن نغسل الآنية . غسيل الاوانى ليس متعبا حين يقوم به اثنان .

مارشبانكس : (معذبا) هل تظن أن لكل النساء خشونة مس جارنيت ؟

برجيس : (بتوكيد) معك حق يامستر مور شبانكس : معك حق ، هى فعلا خشنة .

موريـــل : (بهدوء وبلهجة ذات معنى) مارشبانكس !

مارشبانكس : نعم .

موريـــل : كم عدد الخدم في بيت أبيك ؟

مارشبانكس : (متجهما) لا أدرى (يتحرك نحو الكنبة كما لو

كان يريد أن يبتعد قدر الامكان عن استجواب موريل ويجلس في حالة شديدة من الاحتضار النفسى وهو يفكر في زيت الكيروسين) .

موريـــل : (برصانة شديدة) انهم من الكثرة بحيث لا تدرى ! (بهجومية أكبر) حين يكون هناك عمل خشن لابد أن يؤدى فما عليك الا أن تدق الجرس وتلقى به على عاتق شخص آخر . أليس كذلك ؟

مارشبانكس : أرجوك لا تعذبنى . حتى الجرس انت لا تدقه . ولكن اصابع زوجتك الجميلة تنضح في زيت الكيروسين بينما تجلس سيادتك هنا على راحتك لالقاء المواعظ : مواعظ أزلية . مواعظ ! ألفاظ ! ألفاظ ! ألفاظ !

برجيـــس : (يعجب بهذا الرد اعجابا متناهيا) ها ! ها ! لا لافض فوك ! (مشرق الوجه) لقد غلبك ياجيمس بالضربة القاضية .

(كانديدا تدخل ، وقد لفت مئزرها حولها بعناية ، بمصباح قراءة سويت فتيلته وملئ بالزيت واصبح مهيئا للاشعال . تضعه على المائدة قريبا من موريل جاهزا للاستعمال .

كانديدا : (تفرك اطراف اصابعها باختلاجة خفيفة في أنفها) اذا كنت ستبقى معنا يا أوجين فأظن أنى سأعهد اليك بأمر المصابيح .

مارشبانكس : سابقى بشرط أن تعهدى الىّ بكل الاعمال الخشنة :

كانديدا : هذه رجولة منك ولكنى أفضل أن أرى أولا كيف تقوم بها . (تتحول الى موريل) جيمس : أنت لم تهتم بشئون البيت كما يجب .

موريل : ما الذى فعلته – أو لم أفعله – ياحبيبتى ؟

كانديدا : (بتأفف جدى) فرشاتى الخاصة المفضلة التى استخدمها في تنظيف الارضية استعملت للطلاء باللون الاسود . (صرخة يتفطر لها القلب تصدر من مارشبانكس . برجيس يتلفت حوله في دهشة . كانديدا تهرول الى الكنبة) . ما الخبر ؟ هل أنت مريض يا أوجين ؟

مارشبانكس : لا : لست مريضا . ولكنها رعشة الغثيان الغثيان ! (يضع برأسه بين يديه) .

برجيس : (مصدوما) ماذا ! مصاب بالرعشة يامستر مورشبانكس وفي سنك ! ! يجب ان تقلع عن المشروب تدريجياً (١)

كانديدا : (وقد اطمأنت) هراء ما تقول يا أبى ! ماهى الا رعشة الغثيان الشاعرى . أليس كذلك يا أوجين (تربت عليه) ؟

برجيس : (مكسوفا) رعشة الغثيان الشاعرى ؟ لا مؤاخذة . (يستدير الى نار المدفأة وهو يلعن تسرعه في التشخيص) .

كانديدا : ما الحكاية يا أوجين ؟ موضوع فرشاة التنظيف ؟

---

(١) برجيس اعتقد أن ما أصاب الشاب هو رعشة مدمنى الخمر ! ! .

(يرتعد قشعريرة) . لا ، لا ! هون عليك . (تجلس الى جواره) ألا تريد أن تهدى الىّ فرشاة جديدة ظهرها من العاج المحلى بالصدف ؟

مارشبانكس : (بنبرة ناعمة وموسيقية وان تكن مشبعة بالحزن والحنين) لا . قارب ، لا فرشاة تنظيف : قارب شراعى صغير خفيف لتجرى فيه ، بعيدا عن العالم ، حيث يغسل ماء المطر أرضية بيتك الرخامية وتجففها أشعة الشمس ، وحيث تنظف رياح الجنوب سجاجيدك الجميلة الخضراء والارجوانية . او مركبة تجرها الخيل ! مركبة تصعد بنا في عنان السماء حيث النجوم هى المصابيح وحيث لاتكون بك حاجة الى ملئها بالكيروسين كل يوم .

موريل : (بجفاء) وحيث لاشغلة ولامشغلة سوى البطالة والانانية والعبث .

كانديدا : (متأذية) أوه . جيمس . حرام عليك أن تفسد كل هذا المجال .

مارشبانكس : (يشتعل غضبا) نعم . البطالة والانانية والعبث : أى أن تكون زوجتك جميلة طليقة سعيدة : أليس هذا ما يتمناه كل رجل بجماع روحه للمرأة التى يحبها ؟ هذا هو مثلى الاعلى : فما مثلك الأعلى انت وكل هؤلاء الناس الشنيعين الذين يعيشون في هذه الصفوف البشعة من الدور ؟ المواعظ وفرش دعك البلاط ! على أن تقوم أنت بالقاء المواعظ وتقوم هى بدعك البلاط .

كانديدا : (مبادرة) هو يقوم بتنظيف حذائـــه يـــا أوجين . وسيكون عليك انت أن تنظفه لــه غدا جزاء لك على تطاولك .

مارشبانكس : لاتتحدثى عن الاحذية ! قدماك سيكونان جميلتين على سفوح الجبال .

كانديدا : قدمـــاى لن تكونا جميلتين وانا حافية اذرع بهما شارع هيكنى .

برجيـــس : (ممتعضا) كفى يا كاندى ! لاتتحدثى كما يتحدث الرعاع . مستر مورشبانكس ليس معتادا على ذلك . أنت تسببين له رعشة الغثيان من جديد . اعنى رعشة الغثيان الشاعرى .

(موريل يلوذ بالصمت . هو في الظاهر مكب على خطاباته ولكن الحقيقة ان الهواجس تنتهبه في شأن تجربته الجديدة المزعجة فان ثقته في قوة ضرباتـــه الاخلاقية كلما زادت ، زادت معها السرعة والفعالية التي يصدها بها أوجين . كذلك فهو يحس الما مريرا لانه بدأ يهاب رجلا لا يحترمه .)

(مس جارنيت تدخل ببرقيـــة .)

بروسبرين : (تناول موريل البرقية) ثمن الرد مدفوع والغلام في الانتظار . (الى كانديدا وهى تعود الى آلتها الكاتبة وتجلس) ماريا الآن رهن اشارتك في المطبخ يا مسز موريل . (كانديدا تنهض) . البصل حضر .

مارشبانكس : (باختلاجة عصبية) بصـــل !

كانديدا : أجل ، بصل . وليته كان بصلا اسبانيا : وانما بصل أحمر صغير كريه الرائحة . ما رأيك في أن تساعدني في تخريطه ؟ تعال .

(تمسكه من معصمه وتجرى خارجة وهى تجره وراءها . ينهض برجيس مصعوقاً ويقف مشدوها على بساط المدفأة وهو يلاحقها بنظراته .)

برجيس : من غير اللائق ان تعامل كاندى ابن أخ ايرل بهذه الطريقة . هذا تجاوز للحدود . اسمع ياجيمس : هل تصرفاته دائما بهذه الغرابة ؟

موريل : (باقتضاب وهو يسطر برقية) علمى علمك .

برجيس : (بعاطفية) ما أحلى حديثه . انا كنت دائما أميل الى شيء من الشعر ، وقد أخذت كاندى هذا الاستعداد منى . وكانت تطلب منى أن أقص عليها قصصا عن الجنيات حين كانت طفلة صغيرة لا تزيد عن هـذا (يضع راحته على ارتفاع قدمين ، أو حوالى ذلك ، من الارض) .

موريل : (مشغولا) معقول . (يجفف حبر البرقية ويخرج) .

بروسبرين : هل كنت تؤلف قصص الجنيّات من نسج خيالك ؟

(برجيس لا يتنازل بالرد ويتخذ وهو واقف على بساط المدفأة هيئة تدل على منتهى الاحتقار .)

بروسبرين : (في هدوء) ما كان يدور بخاطرى ابدا ان لديك هذه المقدرة . على فكرة : دعني أحذرك ، مادمت تستلطف مستر مارشبانكس إلى هذا الحد ، انه مجنون .

برجـسُ : مجنون ! ماذا ! هو أيضا ! !

بروسبرين : مجنون مائة في المائة . لقد اخافنى ، اؤكد لك ، قبل وصولك بلحظة . أما لاحظت ما يقوله من كلام غريب .

برجيـــس : هذا اذن هو المقصود برعشة الغثيان الشاعرى . لقد خطر لى فعلا مرة أو مرتين أن بـــه شعرة جنون ! (يعبر الغرفة إلى الباب ويرفع صوته وهو ينصرف) هذه مصحة امراض عقلية معتبرة لشخص يكون فيها ولا أحد غيرك يعنى بأمره !

بروسبرين : (وهو يمر أمامها) نعم ، وأى مصيبة لو حدث لك شيء !

برجيـــس : (بتكبر) لا توجهى الى ملاحظات . أخبرى رب عملك انى ذهبت إلى الحديقة لأدخن .

بروسبرين : (هازئة) حقا !

(قبل أن يرد عليها برجيس يعود موريل .)

برجيـــس : (بعاطفية) أنا ذاهب ياجيمس إلى الحديقة في جولة لادخن .

موريـــل : (بفظاظة) افعل ما بدا لك . (برجيس ينصرف في حالـــة مؤثرة وفي شخصية رجل نال منـــه الاعياء . موريل يقف لدى المائدة يقلب اوراقه ويضيف موجها الخطاب الى بروسبرين ولهجته بين الدعابة والشرود) ها يامس بروسى . ما بالك تهينين حماى ؟

بروسبرين : (يتضرج وجهها بحمرة كاللهيب وترفع بصرها اليه بسرعة بين الخوف والعتاب) أنا . . (تنفجر في البكاء) .

موريـــل : (يميل بمرح عطوف عبر المائدة في اتجاهها وفي لهجة مواساة) حسبك ! حسبك ! لا عليك يا بروسى : هو عجوز مغفل غبي ، اليس كذلك ؟

(بزفرة كالقذيفة تندفع إلى الباب وتختفى وهى تصفقه وراءها . موريل يتنهد وهو يهز رأسه في استسلام ويسير في اعياء إلى كرسيه . يجلس على الكرسى ويقبل على عمله وقد بدا مسنا ومكروبا .

تدخل كانديدا . لقد فرغت من عمل البيت وخلعت ازارها . تلاحظ على الفور مظهره المغتم وتتخذ في سكون موقفا لدى كرسى الزوار وتخفض بصرها اليه لا تنبس بكلمة .)

موريـــل : (يرفع بصره اليها دون أن يضع القلم وهو يتأهب لمواصلة عمله) هه . أين أوجين ؟

كانديـــدا : يغسل يديه تحت الحنفية في حجرة غسل الاطباق ؛ سيكون طباخا ماهرا ، لو استطاع فقط أن يتغلب على خوفه من ماريا .

موريـــل : (باختصار) حقا ؟ هو ذلك . (يعاود الكتابة) .

كانديـــدا : (تدنو منه وتضع يدها برفق على يده لتمنعه من الكتابة وهى تقول) تعال أيها الحبيب .
دعني انظر اليك . (يسقط القلم ويترك لها قياده . تجعله ينهض وتبتعد به قليلا عن المائدة وهى تنظر

اليه بعين ناقدة طيلة الوقت) . ادر وجهك إلى الضوء . (تجعله يواجه النافذة) . فتاى لا يبدو في حالة طيبة . هل كان يجهد نفسه في العمل ؟

موريـــل : لا شئ أكثر من المعتاد .

كانديـــدا : انه يبدو حائل اللون ، مبيض الشعر ، مغضنا وكهلا ، (كآبته تزداد عمقا وتهاجم هى هذه الكآبة بمرح عنيد) اجلس : (تجذبه نحو المقعد الوثير) لقد كتبت اليوم بما فيه الكفاية . دع لبروسى أن تنهى عملك . تعال وتحدث الىّ .

موريـــل : لكن . .

كانديـــدا : (مصرة) أجل . لابد أن تحدثنى . (ترغمه على الجلوس وتجلس هى على السجادة قريبا من ركبته ها (تربت على يده) قد بدأ التحسن يظهر عليك . لماذا تتمسك بالخروج كل ليلة لكى تحاضر وتتحدث ؟ أنا لا أكاد أظفر منك بأمسية في الاسبوع . كلامك طبعا سديد للغاية . ولكنه لا يجدى فتيلا : هم لا يعبأون شرو نقير بمـــا تقول . وهم يحسبون انهم متفقون معك ولكن ما قيمة موافقتهم إذا كانوا في اللحظة التى تدير لهم فيها ظهرك يمضون لحالهم ويفعلون عكس ما تنهاهم عنه بالضبط . انظر إلى المترددين على كنيستنا ، كنيسة القديس دومينيك ! ما الذى يجيء بهم ليستمعوا اليك وأنت تتحدث عن المسيحية كل يوم أحد ؟ مجرد أن حياتهم حافلة بالاعمال والجرى وراء المال ستة أيام في الاسبوع

لدرجة تجعلهم يحاولون نسيان كل ما يتعلق بها وأخذ نصيب من الراحة في اليوم السابع ، وذلك لكي يعودوا بعد ذلك إلى اعمالهم في انتعاش ويجروا وراء المال أشد من ذى قبل ! انت في الواقع تحثهم على ذلك بدلا من أن تزهدهم فيه .

موريل : (بجدية وحماس) أنت تعلمين تماما ، يا كانديدا ، انني طالما عنفتهم على ذلك تعنيفا شديدا . وإذا لم يكن في ترددهم على الكنيسة سوى الراحة والتنويع فلم لا يختارون شيئا اكثر ترويحا عن النفس واكثر إمتاعا ؟ لابد أن هناك بعض الخير في كونهم يفضلون كنيسة القديس دومنيك أيام الاحد على ما هو أسوأ منها من الاماكن .

كانديدا : الاماكن الأسوأ مغلقة وحتى اذا كانوا يفضلون هذه الاماكن فانهم لا يجرؤون على ان يراهم أحد وهم يرتادونها . أضف الى ذلك يا حبيبي جيمس ان وعظك رائع الى درجة لا تقل بالنسبة لهم عن أى مسرحية . لماذا تظن ان النساء متحمسات هذا الحماس ؟

موريس : (باستنكار) كانديدا ؟

كانديدا : سلني أنا . أيها الفتى الاحمق : انت تظن ان اشتراكيتك وتعاليم ديانتك هى السبب . ولكن هذا لو كان صحيحا لاتبعن ما تقوله لهن بدلا من الاكتفاء بالحضور لمشاهدتك . انهن جميعا يعانين من شكوى بروسى .

موريـــل : شكوى بروسى ! ما قصدك يا كانديدا ؟

كانديدا : أجل . هى وجميع السكرتيرات اللاتى عملن معــك من قبل . ما الذى يجعل بروسى تهين نفسها وتقوم بالغسيل وتقشير البطاطا وتحط من قدرها بكافـــة الوجوه مقابل أجر يقل ستة شلنات عما اعتادت أن تتقاضاه في اى مكتب من مكاتب حى الاعمـــال بلندن ؟ لانها متيمة بك ياجيمس: هذا هو السبب. كلهن متيمات بك . وانت متيم بالوعظ لان وعظك ساحر . أنت تتوهم ان كل هذا ليس الا حماسا لمملكة السماء على الارض ، وهن يتوهمن ذلك أيضا يا حبيبي الابلـــه .

موريـــل : كانديدا : أى تهكم فظيع . اى تهكم مدمر هذا ؟ هل تمزحين ؟ أو . . أيمكن ان يكون هذا ؟ . . أهى الغـــيرة ؟

كانديدا : (بتأمل غريب) فعلا . أنا أشعر أحيانا بشيء مـــن الغـــيرة .

موريـــل : (غير مصدق) من بروسى ؟

كانديدا : (ضاحكة) لا ، لا ، لا ، لا ، لا أشعر بالغيرة من أحد . ولكن من أجل شخص آخر لا يحظى بما هو أهل له من الحب .

موريـــل : أنـــا ؟

كانديدا : أنت ؟ لعمرى ان لديك تخمة من الحب والعبـــادة : أنت تحظى منهما باكثر كثيرا مما يناسبك . لا : انما أعنى أوجـــين .

موريل : (مذعورا) أوجين !

كانديدا : يبدو من الاجحاف ان تنال انت كل الحب ولا يصيبه هو منه شيء رغم ان حاجته اليه اكبر بكثير من حاجتك . (تهزه بالرغم منه حركة تشنجية) . ما لك ؟ هل يقلقك حديثي ؟

موريل : (من فوره) لا أبدا . (يتطلع اليها طويلا بتركيز واضطراب) أنت تعلمين انى اثق فيه ثقة مطلقة يا كانديدا .

كانديدا : أيها المغرور ! أواثق انت الى هذا الحد من سحرك الذى لا يقاوم ؟

موريل : كانديدا : أنت تصدمينى . انا لم أفكر ابدا في سحرى ، بل فكرت في طيبتك،في طهرك ، هذا هو ما أثق فيه .

كانديدا : ما اقبح هذا من كلام مزعج . صدق يا جيمس من قال انك قسيس : قسيس بالطول وبالعرض .

موريل : (ينصرف عنها وقد أصيب في الصميم) هكذا يقول أوجين .

كانديدا : (باهتمام كبير ، تميل عليه وذراعاها على ركبتيه) أوجين دائما على صواب . انه فتى رائع : لقد زادت معزته عندى أكثر وأكثر طوال الوقت الذى غبت خلاله . أتعرف يا جيمس انه — ولو ان ذلك لم يطف له بخاطر — على وشك ان يحبنى الى درجة الجنون ؟

موريل : (بجهامة) تقولين ان ذلك لم يطف له بخاطر ؟

كانديدا : (على الاطلاق) . تسحب ذراعيها من على ركبته وتستدير في تفكر ثم تتخذ وضعا اكثر استرخاء ويداها في حجرها) . سيدرك ذلك يوما ما : حين يكبر ويعرك الحياة ، مثلك . وسيدرك انني لا بد أن اكون قد عرفت . لعمري ماذا سيكون رأيه في حينئذ .

موريل : كل خير يا كانديدا . كل خير فيما أرجو وأعتقد .

كانديدا : (متشككة) ذلك يتوقف .

موريل : (متحيرا) يتوقف !

كانديدا : (تنظر اليه) نعم : يتوقف على ما سيحدث له . (ينظر اليها نظرة من لا يفهم) . ألا ترى ما أعنيه ؟ يتوقف على الطريقة التى سيتعلم بها ما هو الحب حقيقة . اعنى على نوع المرأة التى سيتعلم الحب على يديها .

موريل : (كالتائه) نعم . لا . لم أفهم ما تعنين .

كانديدا : (مفسرة) اذا تعلم الحب على يد امرأة طيبة فسيمر كل شيء بسلام : سيغفر لى .

موريل : يغفر لك ؟

كانديدا : ولكن هب انه تعلمه على يد امرأة شريرة ، كما يحدث لكثير من الرجال وخاصة ذوى الشاعرية منهم ، الذين يتصورون ان النساء جميعا ملائكة ! هب انه لم يكتشف قيمة الحب الا بعد ان يكون قد طرحه وراءه وتسبب بجهله في اهدار كرامة نفسه .

أتراه يغفر لى حينذاك ؟

موريـــل : يغفر لك ماذا ؟

كانديدا : (تدرك مدى غبائه ، ويخيب ظنها فيه قليلا دون ان يؤثر ذلك على رقة مشاعرها حياله ، ألا تفهـــم ؟ (يهز رأسه . تستدير اليه ثانية لتشرح له باكبر قدر من الألفة والاعزاز) أعنى هل سيغتفر لى انى لم أعلمه بنفسى ، وانى لتشبثى باهداب ما تسميه انت بطيبتى وطهرى ، تركته للنساء الشريرات . آه يا جيمس. يا لقلة فهمك لى . تحدثنى عن ثقتك في طيبتى وطهرى لو لم يكن هناك غير هما ما يصدنى لو هبتهما كليهما لاوجين المسكين بنفس السماحة التى كنت اتنـــازل بها عن «شالى» لشحاذ يموت من البرد . ضع ثقتك في حبى لك يا جيمس . لان هذا اذا ذهب فلن تساوى مواعظك عندى قلامة ظفر ، فما هى الا عبـــارات تغش بها نفسك وتغش بها الناس كل يوم . (تهـــم بالقيـــام) .

موريـــل : كلماتـــه !

كانديدا : (تراجع نفسها بسرعة اثناء قيامها) كلمات من ؟

موريـــل : أوجـــين .

كانديدا : (منشرحة الصدر) هو دائما على صواب . هــــو يفهمك ، ويفهمنى ، ويفهم بروسى . اما أنت ، يا حبيبى ، فلا تفهـــم شيئا . (تضحك وتقبله في مواساة . يتراجع كما لو كان قد تلقى طعنة ويهـــب واقفـــا) .

موريـــل : كيف تواتيك القـــدرة على فعـــل ذلك بينما . . آه يا كانديدا (وصوته ينضح باللهفة) كنت أفضل أن تغرسي مخطافا حديديا في قلبي بدلا من ان تجودى على بتلك القبلة .

كانديدا : (في دهشة) حبيبي : ماذا جرى ؟

موريـــل : (يشير لها مهتاجا بالابتعاد) لا تمسيني .

كانديدا : جيمـــس ! ! !

(يدخل مارشبانكس مع برجيس فيقطعان حوارهما . يقفان بجوار الباب مبهوتين .)

مارشبانكس : هل حدث شيء !

موريـــل : (يستميت في ضبط نفسه ، وقد شحب وجهه فغدا كالاموات) لا شيء غير هذا : اما انك كنت على حق هذا الصباح أو أن كانديدا مصابة بالجنون .

برجيـــس : (باحتجاج صارخ) ماذا ! كاندى مجنونة أيضا ! حيلك ! حيلك ! حيلك ! (يعبر الغرفة الى المدفأة ، ويبدى اعتراضه اثناء سيره ويدق على قضبان المدفأة بغليونه ليخرج رماده) .

(موريل يجلس الى مائدته وقـــد ركبه اليـــأس ، وينحنى الى الامام ليخفى وجهه ويشبك اصابعه بقوة لتحتفظ بثباتها) .

كانديدا : (لموريل ضاحكة ، وقد سرى عنها) انت مصدوم وحسب ! أهذا كل ما في الأمر ؟ ما أقرب الشـــبه بينكم جميعا أيها المتفردون وبين غيركم من الناس ! (تجلس بمرح على ذراع الكرسى) .

لكسى : (الى موريل) لقد حضرت لتوى من عند جماعة القديس متى . هم في أشد حالات الانزعاج بشأن برقيتك .

كانديدا : بأى خصوص كانت برقيتك يا جيمس ؟

لكسى : (لكانديدا) كان المفروض ان يلقى عليهم خطابا هذا المساء وقد استأجروا القاعة الكبرى بشارع مير وأنفقوا مالا كثيرا على الاعلانات واذا بموريل يبعث برقية يقول فيها انه لن يتمكن من الحضور . لقد وقعت عليهم هذه البرقية وقع الصاعقة .

كانديدا : (متعجبة وقد بدأت تشتبه في ان في الامر شيئا) الغيت ارتباطا لقاء خطاب !

برجيس : أراهن انها المرة الاولى في حياته . أليس كذلك يا كاندى ؟

لكسى : (لموريل) لقد اتخذوا قرارا بارسال برقية عاجلة اليك ليستفسروا عما اذا لم يكن في وسعك ان تغير رأيك . هل تلقيتها ؟

موريل : (يجاهد لئلا تفلت اعصابه) نعم ، نعم : تلقيتها.

لكسى : لقد دفعوا مقدما رسم الرد التلغرافي .

موريل : اعلم ذلك . وقد ارسلت ردى . لن استطيع الذهاب.

كانديدا : ولكن لماذا يا جيمس ؟

موريل : (في لهجة أقرب إلى الشراسة) لانه ليس لى في ذلك خيار . هؤلاء الناس ينسون انى بشر : أنا في رأيهم آلة متكلمة تدار للترفيه عنهم كل أمسية في حياتى .

أليس من حقى أن آخذ ليلة واحدة اقضيها في بيتى مع زوجتى واصدقائى ؟

(الكل في دهشة من هذا الانفجار ما عدا أوجين . تعبيره لايتغير .)

كانديدا : اسمع ياجيمس . لاتكترث لقولى بهذا الصدد . انت ان لم تذهب ستعانى غدا من وخز الضمير .

لكسى : (في تخوف ولكن بالحاح) انا بالطبع اعلم انهم يشتطون في طلباتهم . ولكنهم بعد أن بحثوابالتلغراف في البلد كلها عن خطيب لم يتمكنوا من العثور الا على رئيس اتحاد اللاأدريين (١) ؟

موريل : (فورا) ماله ؟ رجل ممتاز ولن يجدوا افضل منه .

لكسى : ولكنه يصر دائما بقوة على ان الاشتراكية شيء والمسيحية شيء آخر ، ويفسد كل ما فعلناه . انت بالطبع سيد العارفين ولكن . . (يهز كتفيه ويسير متمهلا الى المدفأة بجوار برجيس) .

كانديدا : (بدلال) أرجوك أن تذهب ياجيمس . سنذهب كلنا .

برجيس : (متبرما) اسمعى ياكاندى ! لنبق في البيت مرتاحين بجوار نار المدفأة . هو لن يبقى بالخارج أكثر من ساعتين .

كانديدا : ستكون مرتاحا بنفس الدرجة في الاجتماع . سنجلس جميعا على المنصة كعلية القوم .

---

(١) اللا أدرية مذهب يرى أن وجود الله أو أى كائن وراء الظواهر المادية مسائل لا يمكن القطع فيها بشيء يقيني . « والعياذ بالله »

أوجـين : (مرتاعا) أرجوك لاتجعلينا نجلس على المنصة . لا . سنكون محط الانظار . انا لا أطيق ذلك . سأجلس أنا في مؤخرة القاعة .

كانديـدا : لاتخف . انشغالهم بالنظر إلى جيمس سيجعلهم لا لا يفطنون إلى وجودك .

موريـل : شكوى بروسى كانديدا ! هـه ؟

كانديـدا : (بمرح) أجل : شكوى بروسى .

برجيـس : (لا يفهم) شكوى بروسى ! عم تتحدثان يا جيمس

موريـل : (لا يلقى اليه بالا . ينهض ويسير نحو الباب ويفتحه ويبقيه مفتوحا . ينادى في لهجة آمره) مس جارنيت

بروسبرين : (من بعيد) حاضر يامستر موريل . قادمة .

(ينتظر الجميع باستثناء برجيس الذى يستدير خلسة إلى لكسى .)

برجيـس : اسمع يامستر ميل . ما شكوي بروسى ؟ هل اصابها شيء ؟

لكسـى : (في همس) لا أعلم بالضبط . ولكنها حدثتنى هذا الصباح بطريقة غريبة . يخيل الى ان خللا عقليا ينتابها أحيانا .

برجيـس : (مستهولا) أقسم انها عدوي ! أربعة في نفس البيت !

بروسبرين : (تظهر عند مدخل الغرفة)أي خدمة يامستر موريل؟

موريـل : برقية إلى جماعة القديس متى بأنى ذاهب اليهم .

بروسبرين : (في استغراب) أليسوا في انتظارك ؟

موريـــل : (ينهرها) افعلـــى ما آمرك به .

(بروسبرين تجلس في وجل إلى آلتها الكاتبة وتطيع أمره . موريل وقد اضحى الآن شديد المراس قوى الارادة لعلة غير مفهومة ، يعبر الغرفة إلى برجيس . كانديدا تتابع حركاته بعجب وريبة متزايدين .)

موريـــل : برجيس : انت لا تريد أن تأتى .

برجيـــس : لاتنظر للموضوع هذه النظرة ياجيمس . المسألة وما فيها ان اليوم كما تعلم ليس يوم أحد .

موريـــل : لا تؤاخذنى . ظننت انك قد تحب أن تتعرف برئيس الجماعة . انه عضو في لجنة الاشغال بالمجلس البلدى وله نفوذ في مسائل المقاولات . (برجيس يفيق فورا) ستأتى ؟

برجيـــس : (بحماس) بالطبع ياجيمس فالاستماع اليك يبعث في النفس السرور دائما .

موريـــل : (يلتفت إلى بروسى) ساحتاج اليك في الاجتماع يامس جارنيت لأخذ بعض المذكرات ، هذا ان لم يكن لديك ارتباط آخر . (توافق باشارة من رأسها ولا تواتيها الجرأة على الكلام) . وأنت يالكسى . أظنك آت .

لكســـى : بكل تأكيد .

كانديـــدا : كلنا آتون ياجيمس .

موريــل : لا : أنــت لن تــأتى ، واوجــين كذلك لن يأتى . ستبقين هنا لتؤنسيه .. للاحتفال بعودتك إلى بيتك . (أوجين ينهض ، مبهور الانفاس) .

كانديــدا : ولكن ياجيمس ..

موريــل : (بلهجة جازمة) أنا مصر . أنت لا تريدين الحضور وهو لا يريد الحضور . (كانديدا تهم بالاعتراض) . لا تهتما بأمرى : سيكون عندى بدونكما الكثيرون : مكانكما سيحتاج اليه أناس ضالون لم يسبق لهم سماعى .

كانديــدا : (مضطربة) أوجين : ألا تريد الذهاب ؟

موريــل : سأخشى الانطلاق على سجيتى أمام أوجين ، فهو قاس في نقده للمواعظ (ينظر اليه) هو يعلم انى أخشاه : لقد قال لى ذلك هذا الصباح . وسأريه إلى أى حد أخشاه بتركه هنا في عهدتك ياكانديدا .

مارشبانكس : (لنفسه ، بشعور عميق) هذه شجاعة شئ جميل .

كانديــدا : (بقلق وتوجس) ولكن .. ولكن .. ما أصل المسألة ياجيمس ؟ (في ارتباك شديد) أنا عاجزة عن الفهم ..

موريــل : (يأخذها في حدب بين ذراعيه ويقبلها على جبينها) كنت أحسب ياحبيبتى انى أنا الذى أعياه الفهم .

★ ★ ★

الفصل الثالث

الساعة قد تجاوزت العاشرة مساء . الستائر مسدلة والمصابيح مضاءة الآلة الكاتبة داخل صندوقها : المائدة الكبيرة اخليت مما كان عليها ونظفت : كل شيء يشير الى ان عمل اليوم قد انتهى .

كانديدا ومارشبانكس يجلسان الى نار المدفأة . مصباح القراءة موضوع على رف المدفأة فوق مارشبانكس الذى يقرأ بصوت عال وهو جالس في الكرسى الصغير . كومة صغيرة من الكراسات وديوانا شعر على السجادة بجواره . كانديدا جالسة على المقعد الوثير . المسعر الذى يستعمل في اذكاء النار ، وهو قضيب خفيف الوزن مصنوع من النحاس الاصفر ، في يدها ، في وضع عمودى . كانديدا تنظر الى طرف هذه الأداة بتمعن وقد مالت الى الوراء ومدت قدميها في اتجاه اللهيب — هى في حلم من أحلام اليقظة وقد سرحت بافكارها على مسافة اميال من الجو المحيط بها ونسيت أوجين تماما .

مارشبانكس : (يتوقف عن الانشاد) ما من شاعر عاش في هذه الدنيا الا وصاغ هذا المعنى في قصيدة من نوع السونيت (١) . هذا أمر حتمى يفرض نفسه عليه. (ينظر اليها في انتظار ان تبدى موافقتها ويلاحظ استغراقها في تأمل المسعر) . ألم تكونى معى؟ (لا جواب) مسز موريل !

---

(١) مقطوعة شعرية تتكون من أربعة عشر بيتا .

كانديدا : هـا ! !

مارشبانكس : ألم تكونى تنصتين ؟

كانديدا : (في لهجة مهذبة بصورة مبالغ فيها يشمّ منها شعور الذنب) بلى ، بلى . جميلة جدا . استمر يا أوجين . انا مشتاقة لسماع ما حدث للملاك .

مارشبانكس : (كراسة الشعر تقع من يده على الأرضية) آسف اذا كنت قد اثقلت عليك .

كانديدا : ولكنك لا تثقل عليّ ، اؤكد لك . ارجوك ان تستمر . استمر يا أوجين .

مارشبانكس : لقد انتهيت من قصيدة الملاك منذ ربع ساعة . وتلوت عليك بعدها عدة قصائد .

كانديدا : (بندم) لا تؤاخذنى يا أوجين . لابد أن هذا المسعر تسلط على حواسى كمنوم مغناطيسى .

(تضع المسعر من يدها) .

مارشبانكس : لقد سبب لى هذا المسعر ازعاجا فظيعا .

كانديدا : لم لم تخبرنى ، اذن لوضعته في الحال .

مارشبانكس : كنت أخشى ازعاجك . كان يبدو كسلاح . لو انى كنت بطلا من ابطال الزمن الغابر لجردت سيفى ووضعته بيننا . موريل اذا جاء فقد يتبادر الى ذهنه انك انتضيت المسعر لعدم وجود سيف يفصل بيننا.

كانديدا : (في تعجب) ماذا ؟ (تنظر اليه نظرة متسائلة) أنا لم أدرك غرضك تماما . لقد جعلت « سونيتاتك » افكارى تختلط كلية . لماذا يجب ان يكون بيننا سيف

مارشبانكس : (يتهرب من الاجابة) لا داعي . (ينحنى ليلتقط كراسة الشعر) .

كانديدا : دع هذه الكراسة في مكانها يا أوجين . ان طاقتى على هضم الشعر — ولو كان شعرك — محدودة لقد ظللت تنشدنى شعرا اكثر من ساعتين ، منذ خرج جيمس . أريد أن اتحدث .

مارشبانكس : (ينهض مذعورا) لا : أنا لا يجب ان أتحدث . (يجيل نظره حوله بطريقته التى تعكس الضياع ويضيف فجأة) اظن انه يجمل بى ان اخرج واتمشى في الحديقة العامة .

(يتجه نحو الباب) .

كانديدا : هراء : الحديقة العامة موصدة الابواب منذ مدة. تعال واجلس على بساط المدفأة وتحدث عن ضوء القمر كما اعتدت ان تفعل . اريد ان تروح عنى. الا تقبل ؟

مارشبانكس : (بين الفزع والسعادة الغامرة) بلى .

كانديدا : اذن هلم . (تحرك مقعدها الى الوراء قليلا لتخلى له مكانا) .

(يتردد ثم يتمدد في حياء على بساط المدفأة ووجهه الى أعلى ويدفع رأسه الى الخلف على ركبتيها رافعا اليها بصره .)

مارشبانكس : كنت أشعر بمنتهى التعاسة طيلة المساء لانى كنت اتصرف حسب الاصول . اما الآن فانى اخالف الاصول وها أنا أشعر بالسعادة .

كانديدا : (تجد في قوله طرافة . وبرقة) أجل : انا واثقة انك تشعر الآن بانك شببت عن الطوق واصبحت رجلا مخادعا شريرا . هذا الشعور يرضي غرورك . أليس كذلك ؟

مارشبانكس : (يرفع رأسه بسرعة ويستدير قليلا ليحول اليهـــا بصره (حاذرى من الغلط . انا اكبر منك سنابكثير لو كنت تعلمين . (يستدير تماما على ركبتيه ويداه مشبوكتان وذراعاه على حجرها ، ويتحدث بنبض متزايد وقد بدأ الدم يتحرك في عروقه) هل تأذنين لى في أن احدثك كما يتحدث الاشرار ؟

كانديدا : (دون اقل خوف او جفاء وباحترام كامل لعواطفه المشبوبة ولكن بلمسة من فطرتها التى تختلط فيهـــا الامومة بحكمة الفؤاد)لا . ولكنك تستطيع ان تفصح عن أى شيء تحسه حقيقة وفعلا. اى شيء على الاطلاق دون قيد ولا شرط . مابى خوف من ذلك طالما كان الذى يتحدث هو حقيقة نفسك وليس مجرد افتعال : افتعال للشهامة او افتعال للشر او حتى افتعال للشعر. انا اتركك لشرفك ولصدقك ، ولك الآن ان تقول ما يحلو لك .

مارشبانكس : (يختفى التعبير المحموم من شفتيه ومنخريه بينما تلتمع عيناه بروحانية مثيرة للشفقة) انا الآن عاجز عـــن

قول أى شيء : كل الكلمات التي أعرفها تنتمي الى هذا الافتعال او ذاك . . كلها باستثناء واحدة .

كانديـــدا : وأى واحدة هى ؟

مارشبانكس : (بصوت خفيض ونفسه تذوب في موسيقى الاسم كانديدا ، كانديدا ، كانديدا ، كانديدا ، كانديدا . ليس أمامى الآن ما اقوله غير هذا الاسم وقد أوكلتنى لشرفي ولصدقـــى .

أنا لا افكر ابدا في مسز موريل أو أشعر بمسز موريل التى افكر فيها واشعر بهـــا دائما هى كانديدا .

كانديـــدا : طبعا . وما هو الكلام الذى تريد أن تخاطب به كانديدا ؟

مارشبانكس : لا شيء سوى أن أردد اسمك الف مرة . الا تحسين بان كل مرة هى صلاة لك ؟

كانـــديدا : هل تشعر بسعادة لأن في مقدورك ان تصلى ؟

مارشبانكس : نعم بسعادة عظمى .

كانديـــدا : هذه السعادة هى استجابة لصلاتك . هل تريد شيئا آخر ؟

مارشبانكس : كلا : لقد حللت بالسماء حيث لاعوز ولا حاجة . يدخل موريل . يقف عند عتبة الباب ويحيط بالمشهد بنظرة .

موريـــل : (برصانة ودون أن يفقد سيطرته على نفسه) ارجو الا اكون قد ازعجتكما .

(كانديدا تقوم بعنف ولكن دون اقل شعور بالحرج وتضحك من نفسها .

أوجين وقد جعلته حركتها المفاجئة ينقلب ، يتمالك نفسه دون أن ينهض من مكانه ، ويجلس على البساط ممسكا برسغى قدميه . هو الآخر لا يشعر باد نى حرج .)

كانديـــدا : أفزعتنى ياجيمس ! كان أوجين يستحوذ على اهتمامى لدرجة جعلتنى لا أسمع مفتاحك وهو يدور في القفل . كيف دار الاجتماع . هل كنت موفقا في الحديث . ؟

موريـــل : في حياتى لم اتحدث كما تحدثت اليوم .

كانديـــدا : عظيم . وكم بلغت التبرعات ؟

موريـــل : فاتنى أن أسأل .

كانديـــدا : (الى أوجين) لابد أن يكون قد أبدع في الحديث والا لما غفل عن ذلك قط . (الى موريل) أين الآخرون كلهم ؟

موريـــل : انصرفوا قبل أن اتمكن أنا من الانصراف بوقت طويل : حسبت انى لن استطيع الفكاك .

اعتقد انهم يتناولون العشاء في مكان ما .

كانديـــدا : (في لهجتها المنزلية العملية) في هذه الحالة تستطيع ماريا أن تأوى إلى فراشها . سأذهب لابلغها بذلك . .

(تخرج إلى المطبخ) .

موريـــل : (ينظر إلى مارشبانكس بصرامة) وبعد .

مارشبانكس : (وهو جالس القرفصاء على بساط المدفأة في وضع مبتذل ودون أن يشعر باى تحرج حيال موريل بل وفي لهو كلهو العفاريت) وبعد !

مـــوريل : هل لديك ما تنهيه الىّ ؟

مارشبانكس : فقط انى كنت مشغولا باظهار حماقتى هنا فيجلسة خاصة بينما كنت انت مشغولا باظهار حماقتك علنا وعلى رؤوس الاشهاد .

مـــوريل : بطريقة مختلفة فيما أحسب .

مارشبانكس : (بحماس وهو ينهض واقفا) . بل بنفس الطريقة . بنفس الطريقة بالضبط . كنت أنا أحاول ان أقوم بدور الرجل الطيب . مثلك تماما . انت حين بدأت حركاتك البطولية بشأن تركى هنا مع كانديدا .

مـــوريل : (بالرغم منه) كانديدا !

مارشبانكس : أجل : لقد تقدمت الى هذه المرحلة . ولكن لاتخف. الحركات البطولية معدية : لقد انتقل المرض منك إلىّ فأقسمت الا تصدر منى في غيابك كلمة كنت استنكف من قولها في حضورك منذ شهر مضى .

مـــوريل : وهل بررت بقسمك ؟

مارشبانكس : (يجلس كالطائر على ظهر المقعد الوثير) بطريقة ما برّ قسمى بنفسه حتّى حوالى عشر دقائق مضت . حتّى تلك اللحظة كنت اقرأ لها واقرأ اشعارى . . وأى أشعار أخرى . . لأتجنب الدخول في حديث . كنت أقف خارج بوابة النعيم وأرفض الدخول . لايمكنك

ان تتصور مدى البطولة التى اقتضاها ذلك ومدى التعب الذى ترتب عليه ! ثم . .

مـــوريل : (يتحكم بثبات في اعصابه) ثم . .

مارشبانكس : (ينزلق بحركة خالية من الرواء الشاعرى فيجلس على المقعد في وضع عادى تماما) ثم اذا بها لاتطيق سماع المزيد من انشادى .

مـــوريل : واقتربت اخيرا من بوابة النعيم .

مارشبانكس : أجـــل .

مـــوريل : وبعد ؟ (بشراسة) تحدث يارجل : الا تأخذك بى رحمة ؟

مارشبانكس : (بصوت واهن موسيقى) ثم استحالت الى ملاك . وكان هناك سيف مشتعل يعترض كل طريق ليحول بينى وبين الدخول . فقد رأيت ان تلك البوابة كانت في الحقيقة بوابة الجحيم .

مـــوريل : (منتصرا) صدتك !

مارشبانكس : (ينهض باحتقار وضرارة) لا أيها الاحمق : لوانها فعلت ذلك لما اتيح لى ابدا أن اتبين اننى كنت فعلا في النعيم صدتنى ! اتظن ان صدها كان يمكن ان ينقذنا ! بالترفع الفضلاء ! لعمرى انت لاتستحق ان تعيش معها في عالم واحد .(يتحول عنه في ازدراء الى طرف الحجرة الآخر).

مـــوريل : (الذى راقبه بهدوء دون ان يغير مكانه) اتظن انك ترفع من قدرك باهانتى يا أوجين ؟

مارشبانكس : هنا ينتهى الدرس الاول بعد الالف . موريل : انا في الواقع لا اكن لوعظك احتراما كبيرا : واظن انى لو اردت لكنت اطول منك فيه باعا . الرجل الذى اريد ان القاه هو ذلك الذى تزوجته كانديدا .

موريل : الرجل الذى . . ؟ تعنيني ؟

مارشبانكس : لا أعني القس المحترم جيمس ميفور موريل الداعية الاخلاقي والطبل الاجوف ، بل أعني الرجل الحقيقى الذى لابد ان القس المحترم قد أخفاه في مكان ما داخل سترته السوداء : الرجل الذى احبته كانديدا . انت لا تستطيع ان تجعل امرأة مثل كانديدا تهواك لمجرد انك تشبك أزرار ياقتك من الخلف بدلا من شبكها من الامام .

موريل : (بشجاعة وثبات) عندما قبلت كانديدا ان تقترن بى كنت نفس الداعية الاخلاقي والطبل الاجوف الذى تراه الآن . كنت ارتدى سترتى السوداء وكانت ازرار ياقتى تشبك من الخلف لا من الامام . اتظن ان حبها لى كان يزداد لو انني لم اخلص لمهنتى ؟

مارشبانكس : (على الكنبة يضم رسغى قدميه) لقد عفت عنك ، تماما كما عفت عنى لكونى جبانا وضعيفا وما تسميه انت بالجرو البكاء الصغير وبقية هذه الاوصاف . (حالما) امرأة مثل هذه المرأة تملك بصيرة كبصيرة الآلهة : انها تحب ارواحنا لا حماقاتنا وغرورنا واوهامنا ، ولا ياقاتنا وستراتنا ، ولا غير ذلك من هذه الخرق والاسمال البالية التى نتدثر بها . (يفكر

في هذا المعنى لحظة ثم يتحول بتصميم الى استجواب موريل) ما اريـــد ان أعرفه هو كيف تسنى لك اجتياز السيف الملتهب الذى قطع علىّ الطريق .

مـــوريل : ربما لأن احدا لم يقاطعنى بعد عشر دقائق .

مارشبانكس : (مأخوذا) ماذا تقول !

مـــوريل : قد يصدق الانسان إلى أعلى القمم ولكنه لا يستطيع ان يلبث فيها طويلا .

مارشبانكس : (يقفز واقفا) هذا باطل: انه يستطيع ان يلبث هناك إلى الابد. هناك وحسب. اللحظات الأخرى هى التى لا يستطيع ان ينعم فيها بالراحة او يشعر بمجد الحياة الصامت . اين تريدنى أن اقضى لحظاتى ان لم يكن على القمم ؟

مـــوريل : في غرفة غسيل الاوانى تخرط البصل وتملأ المصابيح .

مارشبانكس : او على المنبر في دعك نفوس رخيصة من الطين .

مـــوريل : أجل . هذا أيضا . من ذلك المكان احرزت لحظتى الذهبية والحق ، في تلك اللحظة ، في ان اسألها حبها. انا لم آخذ تلك اللحظة نسيئة ، ولا استخدمتها في السطو على سعادة رجل آخر .

مارشبانكس : (فيما يشبه الغثيان وهو يعود مسرعا إلى المدفأة) لا شك عندى انك اتممت الصفقة بنفس الامانة التى كنت تشترى بها رطلا من الجبن . (يقف عند حافة بساط المدفأة ويضيف بتفكر) محدثا نفسه ، وقد أدار ظهره لموريل) أما أنا فما كنت املك الذهاب اليها الا اكشحاذ .

موريـــل : (منتفضا) شحاذ يموت من البرد ! يطلب منها ان تعطيه « شالها » ؟ !

مارشبانكس : (يستدير في استغراب) شكرا لهذا التنقيح لشعرى . نعم ، إذا اردت : كشحاذ يموت من البرد يسألها أن تتصدق عليه « بشالها . »

موريـــل : (مستثارا) ولكنها رفضت . اتريد أن اخبرك لماذا رفضت ؟ سأخبرك مستشهدا بها هى نفسها . رفضـــت لأن . . .

مارشبانكس : هى لم ترفض .

موريـــل : لم ترفض !

مارشبانكس : لقد عرضت على كل ما يحلو لى أن اطلبه : « شالها » ، جناحيها ، اكليل النجوم الذى يتوج رأسها ، الزنابق في يدها ، هلال القمر من تحت قدميها . .

موريـــل : (يقبض عليه) الىّ بالحقيقة يارجل : زوجتى هى زوجتى : لا اريد المزيد من تنطعك الشعرى . انا اعرف جيدا انه لن يكون هناك قانون يلزمها لو انني فقدت حبها و كسبته انت .

مارشبانكس : (بنبرة غريبة ، دون خوف أو مقاومة) اقبض على من ياقة القميص ياموريل وستصلحه هى لى بعد ذلك كما فعلت هذا الصباح . (في جذل هادئ) سأحس بيديها تلمسانى .

موريـــل : أيها الشيطان الحقير : اتدرى مدى خطورة قولك مثل هذا الكلام لى ؟ أم أن (بتوجس مفاجئ) شيئا ما أمدك بالشجاعة ؟

مارشبانكس : ما أنا الآن بخائف . قبل الآن كنت اشعر حيالك بنفور وكان هذا هو السبب في انني كنت اجزع إذا مستسني. ولكنني رأيت اليوم – حين عذبتك – انك تحبها ، ومنذ تلك اللحظة اصبحت صديقك : لك أن ترهق روحي خنقا لو أردت .

موريـــل : (يخلي سبيله) أوجين : مالم يكن هذا اختلاقا صدر من انسان بلا قلب . . ولو كان قد بقي عندك ذرة من الشعور الانساني . . فخبرني بالذى حدث خلال فترة غيابي .

مارشبانكس : الذى حدث ؟ السيف الملتهب (موريل يدق الأرض بقدمه من نفاذ الصبر) . . أو – ان شئت أن أتحدث بالنثر الدارج – كان حبي لها من الروعة بحيث لم يكن لى مطلب أكثر من السعادة التى يجلبها مثل ذلك الحب . وقبل أن يتسع بى الوقت للهبوط من أعالى القمم ، دخلت أنت ، .

موريـــل : (في عذاب شديد) أى ان الموضوع لا زال معلقا . ولا تزال تعاسة الشك ماثلة .

مارشبانكس : تعاسة ! أنا أسعد الرجال ، ولا أبغى الآن شيئا سوى سعادتها . (بعاطفة جياشة) موريـــل : لنتنازل عنها كلانا . لماذا نضطرها إلى الاختيار ما بين آفــــة شقية تافهة عصبية مثلى ، وقس عنيد مثلك ؟ لنشد رحالنا انت إلى الشرق وأنا إلى الغرب بحثا عن حبيب جدير بها : ملاك جميل ذى أجنحة ارجوانية . . .

موريــل : يكون كسقط المتاع ! إذا بلغ بها العته أن تتركنى وتختارك من ذا الذى سيحميها ؟ من ذا الذى سيشد عضدها ؟من ذا الذى سيعمل من أجلها؟ من ذا الذى سيكون أبا لأطفالها ؟ (يجلس مضعضع النفس على الكنبة ومرفقاه على ركبتيه ورأسه مستند إلى قبضتيه المضمومتين) .

مارشبانكس : (يطقطق اصابعه بعصبية) هى لا تسأل هذه الاسئلة الغبية . انها هى التى تحتاج إلى من تحميه وتشد عضده وتعمل من أجله إلى من يهبها اطفالا تحميهم وتشد عضدهم وتعمل من أجلهم . الى شخص رشيد عاد فاصبح طفلا من جديد . آه أيها الاحمق ، أيها الاحمق ، أيها الاحمق ثلاثا ! أنا هذا الرجل يا موريل : أنا هذا الرجل . (يرقص في هياج وهو يصيح) انت لا تفهم ماهى المرأة . أرسل في طلبها يا موريل : ارسل في طلبها ودعها تختار بين . .

(يفتح الباب وتدخل كانديدا . يتوقف عن الكلام كانمــا تحجر) .

كانديــدا : (مشدوهة على عتبة الباب) أوجين : ما الذى تريده من هذا الكلام بحق السماء ؟

مارشبانكس : (بنبرة شاذة) جيمس وأنا في مباراة وعظ . وقد بدأت الدائرة تدور عليه .

(كانديدا تتلفت بسرعة إلى موريل . حين تراه مهيض الجناح تهرع اليه في حالة شديدة من السخط.)

كانديــدا : كنت تضايقه . أنا لن اسمح بهذا يا أوجين :

سامع ؟ (تضع يدها على كتف موريل وتنسى في سورة غضبها كياستها كزوجة) . فتاى لن يغتم : سأتولى انا حمايته .

موريـــل : (ينهض بكبرياء) حمايتي !

كانديـــدا : (لا تعبأ به : إلى أوجين) ما الذى كنت تقوله ؟

مارشبانكس : (جزعا) لا شيء . أنا . .

كانديـــدا : أوجين ! لا شيء ؟

مارشبانكس : (في حالة يرثى لها) أعنى . . أنا . . أنا في شدة الأسف . لن أعود إلى ذلك : لن اعود ابدا . سأتركه في حاله .

موريـــل : (يكبر عليه الأمر وبحركة هجومية نحو أوجين) تتركنى في حالى ! انت أيها الصغير الا . .

كانديـــدا : (تستوقفه) صه . . لا : دعنى يا جيمس أتولى أمره .

مارشبانكس : أرجو الا يكون في قلبك غضب علىّ .

كانديدا : (بتجهم) بل انا فعلا غاضبة : غاضبة جدا . ولو طاوعت نفسى لحملتك والقيت بك خارج البيت .

موريـــل : (مأخوذا لقوة شكيمـــة كانديدا دون ان يستمرئ بحال تصديها لا نقاذه من رجل آخر (رفقـــا يا كانديدا ، رفقا . انا استطيع ان أتكفل بأمره .

كانديدا : (تطيب خاطره) اجل يا حبيبى : انت بالطبـــع تستطيع . ولكن أحـــدا لا يجب ان ينغص عليك ويتسبب في اشقائك .

مارشبانكس : (تكاد تطفر دموعه ، يتخذ سبيله الى الباب) سلام عليكم .

كانديدا : لا حاجة بك الى ذلك : انا لا أريد ان اطردك في مثل هذه الساعة من الليل . (بقوة) عيب عليك ! عيب!

مارشبانكس : (بنبرة يائسة) ولكن ما الذى فعلته ؟

كانديدا : أنا أعرف ما الذى فعلته . اعرفه كما لو كنت قد بقيت هنا طيلة الوقت لا . هذا شيء لا يليق ما أنت الا طفل . أنت لا تستطيع أن تمسك لسانك .

مارشبانكس : انا مستعد للموت عشر مرات ولا أسبب لك لحظة ألم.

كانديدا : (باحتقار كامل لسذاجته) يا فرحتي بموتك من أجلي !

موريل : حبيبتي كانديدا : هذه مشادة غير كريمة . انها مسألة بين رجلين وانا الشخص الذى عليه تسويتها .

كانديدا : رجلان ! هل تسمى هذا رجلا؟ (الى أوجين) ايها الصبي الشقي !

مارشبانكس : (يستمد من التقريع شجاعة فريدة عطوفا) ما دمت تؤنبينني كصبي فاني مضطر الى الاعتذار كصبي . هو كان البادئ ، وهو اضخم مني .

كانديدا : (تفقد بعض اطمئنانها وقد بدأت تنزعج بشأن كرامة موريل) لا يمكن ان يكون هذا صحيحا . (الى موريل) انت الذى بدأت هذه المشادة ياجيمس؟

موريل : (بازدراء) لا .

مارشبانكس : (مستهولا) تنكر ؟

موريل : (الى أوجين) انت الذى بدأتها : هذا الصباح . (كانديدا تربط على الفور بين هذا وبين اشارته الخفية بعد الظهر الى شيء قاله له اوجين في الصباح ، وتنظر اليه في ريبة خاطفة . موريل يستطرد بلهجة السيادة التي اهينت) ولكن ادعاءك الثانى في محله . انا بالتأكيد اضخم الاثنين وكذا ، يا كانديدا ، اقواهما فيما أرجو . لذا فيحسن ان تدعى الموضوع بين يدى .

كانديدا : (تلاطفه من جديد) حاضر يا حبيبي . ولكن (بانشغال) أنا لم أفهم قولك بشأن ما حدث هذا الصباح .

موريل : (يتعالى عليها برفق) لا داعى لان تفهمى يا حبيبتى .

كانديدا : ولكننى يا جيمس (يقرع جرس باب الشارع) . . أف ! هاهم جميعا قد حضروا . (تخرج لتفتحلهم)

مارشبانكس : (يعود نحو موريل) ويلنا يا موريل . أليس ذلك شيئا مخيفا . انها ناقمة علينا : هى تكرهنى . ماذا عساى أصنع ؟

موريل : (بقنوط غريب ، يذرع منتصف الغرفة جيئة وذهابا) اوجين : رأسى يدور كدوامة . سأبدأ الآن في الضحك .

مارشبانكس : (يتبعه في قلق) لا ، ارجوك ستظن انى دفعت بك الى حالة هستيرية . لا تضحك . (تسمع أصوات صاخبة وضحك وهى تقترب . لكسى ميل ، وعيناه تلتمعان ، وهيئته العامة تنبئ عن معنويات عالية

بصورة غير معتادة ، يدخل مع برجيس الذى يبدو مداهنا ومنسجما ولو انه متمالك لكافة قواه الذهنية. مس جارنيت تتبعهما وقد ارتدت اشيك قبعة وجاكتة لديها . ورغم ان عينيها اكثر التماعا من ذى قبل فمن الواضح ان الوساوس تنتهبها . تقف بحيث يكون ظهرها الى منضدة الآلة الكاتبة وتتكئ عليها باحدى يديها لتحتفظ بتوازنها وتضع اليد الاخرى بالعرض على جبهتها كما لو كانت تشعر ببعض التعب والصداع .

ما رشبانكس يغرق في استحيائه من جديد وينزوى بعيدا الى جوار النافذة حيث كتب موريل) .

لكسي : (منتشيا) موريل : دعني اهنئك . (يشد على يده) كان الخطاب الذى القيته علينا خطابا بلغ غاية النبل والروعة والالهام . لقد تفوقت فيه على نفسك .

برجيس : فعلا يا جيمس . لقد ابقانى مستيقظا حتى آخر كلمة فيه . أليس كذلك يا مس جورنيت ؟

بروسبرين : (مهمومة) لم اكن ملتفتة اليك . كنت أسجل مذكراتى . (تخرج كراسة مذكراتها وتنظر الى الكتابة التى سجلتها عليها بطريقة الاختزال . توشك على البكاء حين ترى ما فيها) .

موريل : هل كنت أتحدث بسرعة يا بروسى ؟

بروسبرين : بغاية السرعة . انت تعلم ان سرعتى في الاختزال لا تزيد على تسعين كلمة في الدقيقة .

(تفرج عن كربها بالقاء كراستها بغضب قـــرب الآلة الكاتبة بحيث تكون جاهزة في الصباح التالى) .

موريـــل : (مهدئا) لا عليك . لا عليك . لا عليك . هل تناولتم جميعا عشاءكم ؟

لكـــسى : مستر برجيس تكرم بدعوتنا الى عشاء فاخر حقا في مطعم بلجريف .

برجيـــس : (باسراف في التعبير عن أريحيته) العفو يا مستر ميل (بتواضع) لقد نعمت بصحبتكم في هـــذه العشوة البسيطة .

بروسبرين : شربنا شمبانيا . لم أكن قد ذقتها من قبل . أنا أشعر بدوار شديد .

موريـــل : (باستغراب) عشاء بالشمبانيا ! يا للروعة ! بلاغتى هى التى تسببت في كل هذا البذخ ؟

لكســى : (يختار الفاظة) بلاغتك وسخاء مستر برجيس . (بانفجار جديد لنشوته) يالرئيس المجلس من رجل عظيم ياموريل ! لقد صحبنا على العشاء .

موريـــل : (يمط عبارته بطريقة ذات مغزى وهو يرمق برجيس) كذا ! رئيس المجلس . فهمت .
(برجيس يسعل سعلة اعتراض ليخفى شعورا عميقا بالرضى عن دهائه الدبلوماسى .)
(لكسى يشبك ذراعيه ويميل تجاه الكنبة في وضع انسجام بعد أن كاد توازنه أن يختل . كانديدا تدخل باكواب وليمون وابريق من الماء الساخن على صنينية .)

كانديـــدا : من يريد ليموناده ؟ انتم تعرفون قواعد سلوكنا : الامتناع التام عن شرب الخمر . (تضع الصينية على المائدة وتأخذ اداة عصر الليمون وتجيل فيهم نظرة تساؤل) .

موريـــل : لا فائدة ياعزيزتى . لقد شربوا شمبانيا . كلهم . وحنثت بروسبرين بعهدها .

كانديـــدا : (الى بروسبرين) افهم من ذلك انك شربت شمبانيا ؟

بروسبرين : (بعناد) فعلا . أنا من الممتنعين عن شرب البيرة . لا من الممتنعين عن شرب الشمبانيا . أنا لا أحب البيرة . هل هناك أى خطابات أرد عليها يامستر موريل ؟

موريـــل : ليس الليلة .

بروسبرين : حسنا . طاب مساؤكم جميعا .

لكســـى : (بشهامة) الا تفضلين أن اصحبك إلى البيت يامس جارنيت ؟

بروسبرين : لا . شكرا ، أنا لن اعهد بنفسى الليلة إلى أحد . بودى لو لم اتعاط ولو قطرة من ذلك الشيء . (تحدد لنفسها هدفا مشوشا عند الباب . تنطلق صوب الهدف . لا تفلت من الكارثة الا بصعوبة) .

برجيـــس : (يحس باهانة) شيء حقا ! تلك الفتاة لا تعرف ماهى الشمبانيا ! زجاجتها ماركة « بومرى وجرينو » باثنى عشر شلنا وستة بنسات . لقد جرعت كأسين دفعة واحدة تقريبا .

موريــل : (قلقا بشأنها) اذهب يا لكسى واعتن بها .

لكســى : (منزعجا) كيف يكون الحال لو انها . . هب انها اخذت تغنى في الشارع أو فعلت شيئا من هذا القبيل .

موريــل : تماما : قد يحدث ذلك . ولذا فمن الافضل أن تصحبها حتى توصلها إلى بيتها بسلام .

كانديــدا : أرجو أن تفعل يالكسى : هكذا المروءة والا فلا . (تصافحه وتدفعه برفق إلى الباب) .

لكســى : من واجبي كما يتضح أن اذهب . أرجو الا يكون لذلك مقتضى . طاب مساؤك يامسز موريل (الى الباقين) طاب مساؤكم . (يذهب . كانديدا توصد الباب) .

برجيــس : اما لكسى فكان يذوب ورعا وتقوى بعد حسوتين . الناس لم تعد تشرب كما تعودت في الماضى . (يمضى صاخبا الى المدفأة) وبعد يا جيمس . حلت ساعة الاغلاق . يامستر مورشبانكس : هــل سأسعد برفقتك شطرا من الطريق إلى بيتك ؟

مارشبانكس : (فزعا) أجل : خير لى أن أنصرف . (يهرع إلى الباب ولكن كانديدا تسبقه وتقف امامه معترضة طريقه) .

كانديــدا : (آمرة في هدوء) اجلس . أنت لن تمضى بعد .

مارشبانكس : (يتخاذل) لا : أنا . . أنا لم أقصد ذلك . (يجلس بذلة على الكنبة) .

كانديـــدا : مستر مارشبانكس سيبقى معنا الليلة يا أبى .

برجيـــس : أتمنى لكم اذن ليلة سعيدة . إلى اللقاء ياجيمس . (يصافح موريل ويقترب من أوجين) . اجعلهم يعطونك مصباحا تضعه بجانب فراشك يامستر مورشبانكس ليكون انيسا لك إذا استيقظت في الليل بمس من تلك الرعشة التى تشكو منها . طاب مساؤك .

مارشبانكس : شكرا . سأفعل . طاب مساؤك يامستر برجيس . (يتصافحان . برجيس يمضى إلى الباب)

كانديـــدا : (تستوقف موريل الذى يتبع برجيس) ابق هنا ياعزيزى : سألبس أبى معطفه بنفسى .

(تخرج مع برجيس) .

مارشبانكس : (ينهض ويسترق الخطى إلى موريل) موريل : سيحدث الآن مشهد رعب : ألا يداخلك خوف ؟

موريـــل : اطلاقـــا .

مارشبانكس : انا لم أغبطك قط على شجاعتك من قبل . (يضع يده مناشدا على ساعد موريل) . قف الى جانبي أرجوك .

موريـــل : (يزيحه بعزم) كل منا مسئول عن نفسه ياأوجين . عليها الآن أن تختار بيننا . (تعود كانديدا . أوجين يزحف عائدا إلى الكنيسة كتلميذ مذنب .)

كانديـــدا : (بينهما ، مخاطبة أوجين) هل أنت آسف ؟

مارشبانكس : (باخلاص) نعم . محطم القلـــب .

كانديـــدا : مادام الأمر كذلك فقد صفحت عنك . اذهب الآن إلى فراشك كما يفعل الصغار النجباء فانى أريد أن اتباحث مع جيمس في شأنك .

مارشبانكس : (ينهض في ذهول شديد) . لا يمكن أن أفعل هذا يا موريل . لابد أن أبقى هنا . انا لن انصرف .قل لها .

كانديـــدا : (وقد تأكدت شكوكها) يقول لى ماذا ؟ (عيناه تتجنبانها خفية . تستدير وتنقل السؤال في صمت إلى موريل) .

موريـــل : (يستجمع قواه للكارثة) ليس عندى ما اقوله لهـــا سوى (صوته يعمق هنا في نبرة متزنة ورقـــــة حزينة) انهـــا اكبر كنز املكه على الارض . . ان كنت حقيقة املكهـــا .

كانديدا : (بفتور ، وقد آذى شعورها انسياقه لغريزةالخطيب ومعاملته لها كمـــا لو كانت احدى المستمعات في جماعة القديس متى) إذا كان هذا كل ما هنـــاك فأنا على يقين من أن ما يستطيع أوجين ان يقوله ليس أقل من ذلك .

مارشبانكس : (وقد تخلت عنه شجاعته) موريل : انها تضحك منا.

موريـــل : (بلمسة تأفف) ليس في الامر ما يستوجب الضحك . هل انت تضحكين منا يا كانديدا ؟

كانديدا : (تكتم غضبها) اوجين فى حاضر البديهة يا جيمس بودى لو اضحك ، لكننى لست على ثقة من انـــى لن اسخط سخطا شديدا . (تذهب الى المدفأة وتقف

هناك مائلة وذراعها على رف المدفأة وقدمها على سياجها بينما يتسلل أوجين الى موريل ويجذبه من كمه) .

مارشبانكس : (في همس) كفى يا موريل . فلنمسك عن الكلام .

موريل : (يدفع اوجين بعيدا دون ان يتفضل بالنظر اليه) ارجو يا كانديدا الا يكون قولك هذا على سبيل التهديد .

كانديدا : (في تحذير بالغ) حاذر يا جيمس . اوجين : لقد سألتك ان تذهب . هل انت ذاهب ؟

موريل : (يتخذ قرارا حازما) لن يذهب . اريد منه أن يبقى.

مارشبانكس : سأذهب . سأفعل اى شئ تريدين . (يتحول الى الباب) .

كانديدا : مكانك ! (يطيع) . ألم تسمع جيمس يقول انه يريدك ان تبقى؟جيمس هنا هو السيد . ألا تعلم ذلك؟

مارشبانكس : (يصعد الدم الى وجهه بنقمة الشاعر الشاب على الطغيان) بأى حق هو السيد ؟

كانديدا : (بهدوء) أخبره يا جيمس .

موريل : (يفاجأ) انا يا عزيزتى لا أعلم بوجود حق يجعلنى سيدا . انا لا ادعى لنفسى مثل هذا الحق .

كانديدا : (بمنتهى العتاب) لا تعلم ؟ آه يا جيمس، ياجيمس! (الى اوجين ، مستغرقة في التفكير) ترى هل فهمت يا اوجين ! (يهز رأسه دون حول ولا قوة ولايجسر على النظر اليها) . لا : انت صغير جدا . مع كل

فسأسمح لك بالبقاء . ابق وتعلم . (تبتعد عن المدفأة وتتخذ لنفسها مكانا بينهما) . والآن يا جيمس ! ماذا حدث ؟ هلم : خبرنى .

مارشبانكس : (يهمس اليه عبر الغرفة بصوت مرتعش) لاتفعل .

كانديدا : هيا . افرغ ما في جعبتك !

موريـــل : (بأناة) كان قصدى يا كانديدا ان أهيِّىء ذهنـــك بعناية لكى اتفادى اسباب اساءة الفهم .

كانديدا : أجل يا عزيزى : انا واثقة ان هذا كان قصــدك . ولكن لا عليك : لن اسىء الفهم .

موريـــل : الواقع . . ان . . (يتردد لان الشرح الطويل الذى كان يفترض انه على طرف لسانه لا يواتيه) .

كانديدا : الواقع ماذا ؟

موريـــل : (يخرج الكلمات دون ترو ولا زخرفة) أوجـــين يقرر انك تحبينه .

مارشبانكس : (كالمسعور) لا ، لا . لا ؛ لا ، ابدا . انا لم اقل ذلك يا مسز موريل : هذا افتراء . قلت انى احبك. قلت انى افهمك وانه هو يعجز عن هذا الفهـــم . ولم يكن كلامى بعدما حصل هناك امام المدفــأة : اقسم لك بشرفي على ذلك ؛ بل قلت ما قلته هـــذا الصباح .

كانديدا : (تستبين ما كان غامضا) هذا الصباح ؟

مارشبانكس : أجل (ينظر اليها ، مهيبا بها ان تصدقه ثم يضيـــف ببساطة) ومن هنا كانت يا قى بالحالة التى كانت عليها.

كانديدا : ياقتلك ؟ (ينفذ اليها فجأة معنى كلامه فتستدير الى موريل باستنكار) . جيمس ! هل : (تتوقف) ؟

موريـــل : (في خجل) انت تعرفين يا كانديدا ان فيّ حدة في الطبع لابد ان اغالبها . وقد قال لى (يرتجف) انك تحتقريني في قلبك .

كانديدا : (تلتفت بسرعة الى أوجين) هل صدر منك هـــذا القـــول ؟

مارشبانكس : (مرتعد الفرائض) لا .

كانديدا : (فيما يشبه الوحشية) اذن فقد كذب عليّ جيمس. هل هذا ما تعنيـــه ؟

مارشبانكس : لا ، لا : انا . . انا . . (يائسا) كنت اتحدث عن زوجة داود . ولم يكن ذلك في بيتهما ، وانما حين رأته يرقص امام جمهور الشعب .

موريـــل : (يلتقط طرف العبارة بمهارة المجادل) يرقص امام جمهور الشعب يا كانديدا . ويظن انه كان يحـــرك قلوبهم برسالة، علما بان ما كانوا يحسون به لم يكـــن يتجاوز . . شكوى بروسى .

(تهم بالاعتراض فيرفع يده ليسكتها) . لا تحاولى الظهور بمظهر المستهجن يا كانديدا . .

كانديدا : أحـــاول !

موريـــل : (مستمرا) اوجين كان على حق . وكما اخبرتـــنى بعدها بساعات قليلة فان أوجين دائما على حـــق .

وهو لم يقل شيئا لم تقوليه انت بعبارة ابلغ . هـــو شاعر يرى ببصيرته كل شيء . أما انا فقس مسكين لا يعي شيئا .

كانديدا : (نادمة) هل تكترث لما قاله غلام أحمق لاني قلت شيئا مثله وانا أمزح ؟

موريـــل : ذلك الغلام الاحمق يستطيع ان يتحدث بالهام طفل وبدهاء ثعبان . لقد ادعى انك ملكه ولست ملكي : وسواء كنت مخطئا في ذلك ام مصيبا فالذى حـــدث انني اصبحت اخشى ان يكون ذلك صحيحا . انـــا لا أريد ان ابقى معذبا بالهواجس والشكوك . ولـــن أحيا معك وبين جوانحي وساوس اخفيها عنك . انا لن اصبر على ما تولده الغيرة من حط ذميم لقـــدر الانسان . لقد اتفقنا — هو وأنا — على ان تختارى — أحدنا الآن . وانا في انتظار قرارك .

كانديدا : (تتراجع خطوة في بطء ، وقد مست خطابته قلبها بالرغم من صدق الشعور الذى تستند اليه) كـــذا ! عليّ اذن أن اختار . أليس كذلك ؟ لعل من المفروغ منه انني لابد ان اكون ملكا لاحدكما او للآخر .

موريـــل : (بحزم) تماما . لابد أن تختارى وان يكون اختيارك نهائيا .

مارشبانكس : (متلهفا) موريل : انت لا تفهم . هى تعني انهـــا ملك لنفسها .

كانديدا : (تستدير اليه) اعني ذلك واكثر من ذلك بكثـــير يا سيد اوجين كما ستكتشفان كلاكما بعد لحظـــة .

على اني اريـــد ان اسألكما ، يا صاحبي السـيادة والعظمة ، عما ستبذلان من أجلي ؟ أنا ، فيما يبدو معروضة في المزاد . بكم تزايد يا جيمس ؟

موريـــل : (موئنبا) كاند . . (ينهار : عيناه وحلقـه تترع بالدموع ويتحول الخطيب الى حيوان جريـح) . فقدت القدرة على الكلام . .

كانديدا : (تذهب اليه بحركة تلقائية) يا أعز الناس . .

مارشبانكس : (في انزعاج وحشي) قف : هذا ليس انصافـا . لا ينبغي ان تقع عليك عينها يا موريل وانت تتعذب. انا ايضا اقاسي اشد العذاب ، ومع هذا لا أبكي .

موريـــل : (يستجمع كل قواه) أجل : معك حق . ليسـت الشفقة ما ازايد به (يخلص نفسه من ذراعي كانديدا)

كانديدا : (متقهقرة ، وبرودة تسري في جسمها) معـذرة يا جيمس : انا لم أعن أن أمسك . انـا في انتظـار سماع مزايدتك .

موريـــل : (في اتضاع أبي) ليس لدى ما اعرضه عليك سوى قوتي لحمايتك وامانتي لأمنك وقدرتي وجهـدي لاعالتك ومركزي لعزتك . هذا هو كل ما يجـدر بالرجل ان يقدمه الى المرأة .

كانديدا : (بهدوء تام) وانت يا أوجين ، ماذا تقدم ؟

مارشبانكس : ضعفي ووحشتي وحاجة قلبي .

كانديدا : (معجبة) هذا عرض طيب يا أوجين . عرفـت الآن كيف أختار .

(تكف عن الكلام وتنقل نظرتها المستطلعة من أحدهما الى الآخر كما لو كانت تزنهما. موريل الذى تحول اطمئنانه الشامخ الى هلع يتفطر له القلب من عرض أوجين ، يفقد كل قدرة على اخفاء توجسه . اما أوجين ، الذى أرهفت اعصابه الى اقصى درجات التوتر : فلا تتحرك عضلة من عضلاته)

موريل : (في صوت مبحوح ونداء ينفجر من اعماق كربه) كانديدا !

مارشبانكس : (جانبا في وضة احتقار) جبان !

كانديدا : (بنبرة ذات دلالة) سأمنح نفسى لاضعفكما .

(اوجين يحدس ما تعنيه على الفور فيصفر وجهه كالصلب في الأتون) .

موريل : (يحنى رأسه في سكون الانهيار) قبلت قرارك يا كانديدا .

كانديدا : فهمت يا أوجين ؟

مارشبانكس : ويلى ! صنعت انا . لن يطيق الحمل .

موريل : (غير مصدق ، يرفع رأسه وصوته بفجائية مضحكة) هل تعنيني يا كانديدا ؟

كانديدا : (بابتسامة قصيرة) لنجلس ونتحدث في الموضوع على راحتنا كثلاثة اصدقاء . (الى موريل) اجلس ، يا عزيزى . (موريل . في حالة من لا يعرف رأسه من رجليه ، يأخذ كرسيا من جوار المدفأة : كرسى الاطفال) . اعطنى ذلك المقعد يا أوجين . (تشير الى

المقعد الوثير . يتناوله في صمت بل وبما يشبه القوة الوئيدة . ويضعه الى جانب موريل . الى الوراء قليــلا . تجلس عليــه . اما هو فيأخذ كرســي الضيف ويجلس عليه دون ان تنم تقاطيع وجهه عن شيء. حين يتخذ الجميع اماكنهم تبدأ الحديث فيخيم عليهما لدى سماع نبرتها الحادثة السليمة الحنون سكون كأنه السحر) . انت يا أوجين تذكر ما كاشفتني عن نفسك : ان احدا لم يعن بأمرك منذ توفيت مربيتك العجوز : وكيف ان شقيقاتك الانيقات واشقاءك الناجحين كانوا موضع تدليل امك وأبيك : وكم كنت تعيسا في كلية « ايتون » : وكيف ان اباك يحاول بتجويعك ان يرغمك على العودة الى جامعة

اوكسفورد : وكيف انك اضطررت الى العيش دون راحــة ولاحفاوة ولا ملجأ : دائما وحيد ، دائما – تقريبا – محروم من الحنان معرض لسوء الفهم ايهــا الفتى المسكين .

مارشبانكس : (وفيا لمصيره النبيل) كان عندى كتبي . . والطبيعة . وأخيرا التقيت بك .

كانديدا : دعنا الآن من ذلك ، فانى اريد منك ان تنظر الى هذا الفتى الآخر : فتاى ! المدلل منذ المهد ! نحن نذهب مرتين في الشهر لزيارة أسرته . لابد أن تأتى معنا يا أوجين لترى صور البطل . بطل ذلك البيت .جيمس عندما كان طفلا ! أجمل الأطفال طرا . جيمس ممسكا بجائزته المدرسية الاولى ، التى فاز بها في سن

النضج ، سن الثامنة ! جيمس كابتن فريق كرة القدم! جيمس وهو يرتدى اول سترة « فراك » ! جيمس في كل المناسبات المشرفة ! أنت تعلم كم هو قوى ، ارجو الا يكون قد آذاك . وكم هو بارع وكم هو سعيد . (بصرامة تزداد عمقـــا) سل أم جيمس واخواته الثلاث عما تحملنه ليوفرن عليه كل عناء سوى أن يكون قويا وبارعا وسعيدا . سلني انا عما تحملته لاكون امه واخواته الثلاث وزوجتـــه وام اولاده في نفس الوقت . سل بروسى وماريا عما نجد في شغل البيت من مشقة حتى اذا لم يكن عندنا ضيوف يساعدوننا في تخريط البصل . سل الباعة الذين يريدون ان يزعجوا جيمس ويفسدوا مواعظه الجميلة من الذى يكفهم عنه . حين يكون هناك مال يعطى فهو الذى يعطيه . وحين يكون هناك مال يرفض ،فانني انا التى ترفضـــــه .

انا ابنى قلعة من الراحة والسماح والحب من أجلـــه واقف دائما كالحارس لاطرد عنه هم المشاغل اليومية التافهة . لقد جعلته سيدا هنا ، رغم انه لا يعرف ذلك وقد اعياه منذ لحظة ان يشرح لك كيف حدث هذا . (بسخرية عذبة) وحين توهم انى قد أفر معك ، كان كل مايقلقه هو . . ما الذى سيصير اليه أمرى ! ولكى يغرينى بالبقاء عرض على (تميل الى الامام لتملس على شعره بلطف مع كل جملة) قوته لحمايتى ! وجهده لاعالتى ! وعزته لمركزى ! و . . (ترق) آه . لقد خلطت ايقاعاتك الجميلة وافسدتها ،

أليس كذلك يا حبيبي ؟ (تضع خدها باعزاز على خده) .

مـوريل : (يركع . مقهورا على أمره . بجوار كرسيها ويقبلها ببراءة كبراءة الاطفال) كل ماقلته حق . كل كلمة فيه . كل ما فيَّ صانعته . بعمل يدك ومحبة فؤادك . انت زوجتى وامى واخواتى : أنت خلاصة ما أحظى به من محبة وعناية .

كانديدا : (بين ذراعيه . تبتسم لاوجين) هل انا لك أم واخوات يا اوجين ؟

مارشبانكس : (ينهض باشارة تقزز شرسة) لا . هيهات . ها أنذا خارج اليك ياظلام الليل !

كانديدا : (تنهض مسرعة) أيعقل ان تخرج هكذا ياأوجين؟

مارشبانكس : (وكلماته ترن بصوت رجل تجاوز مرحلة الطفولة) انا اعرف الساعة حين تدق . وانا اتعجل الوقت لافعل ماليس من فعله بد .

مـوريل : (الذى نهض بدوره) كانديدا : لاتدعيه يقدم على عمل طائش .

كانديدا : (مطمئنة وهى تبتسم لاوجين) لاخوف من ذلك . لقد تعلم ان يعيش بلا سعادة .

مارشبانكس : انا لم أعد انشد السعادة : الحياة أنبل من هذا . أيها القس جيمس : هاهى سعادتى اقدمها اليك بكلتا يدى : أنا احبك لانك ملأت قلب المرأة التى احببتها. وداعا . (يمضى تجاه الباب) .

كانديدا : كلمة واحدة أخيرة . (يقف ولكن دون ان يستدير اليها . تسعى اليه) كم تبلغ من العمر يا أوجين ؟

مارشبانكس : انا الآن من عمر هذا العالم . وقد كنت هذا الصباح في الثامنة عشرة .

كانديدا : الثامنة عشر ! هل لى ان أسألك ، من أجل خاطرى ، ان تؤلف مقطوعة شعرية قصيرة من جملتين سأقولهما لك ؟ وهل تعدنى بان ترددهما لنفسك كلما مررت بخاطرك .

مارشبانكس : (دون ان يتحرك) قولى الجملتين .

كانديدا : حين اكون في الثلاثين . ستكون هى في الخامسة والاربعين . وحين اكون في الستين ، ستكون هى في الخامسة والسبعين .

مارشبانكس : (يتحول اليها) بعد مائة سنة سيكون عمرنا واحدا . ولكن فؤادى ينطوى على سر أفضل من هذا . والآن دعيني أذهب ، فقد عيل صبر الليل في الخارج .

كانديدا : وداعا . (تأخذ وجهه بين يديها ، وعندما يحدس نيتها ويقع على ركبتيه ، تقبل جبينه . يطير خارجا الى ظلام الليل . تتحول الى موريل وتمد ذراعيها االيه) آه ياجيمس !

يتعانقان ، ولكنهما يجهلان السر الذى تضعه جوانح الشاعر .

النهـــــــاية .

مقدمة بقلم المترجم

لمسرحية "رجل المقادير"

لم يخصص برناردشو فى مقدمة مجموعة « مسرحيات سارة » لمسرحية **رجل المقادير** – التي قدمت لاول مرة عام ١٨٩٦ أى بعد مرور قرن بالضبط من الزمان على حملة ايطاليا التي بدأت بها فتوحات نابليون – غير فقرة مقتضبة قال فيها انها « مشهد » لم يقصد منه غير اظهار براعة شخصيتيه الاساسيتين فى التمثيل . والواقع أن **رجل المقادير** اكبر من هذا بكثير ، فبرناردشو يعالج فيها موضوعا من الموضوعات الرئيسية فى تفكيره لانه يتعلق بداء عانت منه الانسانية فى كافة عصورها وبلات كثيرة ، هو داء الحرب . واختار شو نابليون بونابرت بالذات بطلا لهذه المسرحية ، باعتباره اكبر فاتح فى العصر الحديث .

ان شو يكره الحرب للخراب الذى تحدثه والارواح التي تزهقها وللآلام البشرية التي تجرها فى ركابها ، وهو كذلك يكره الغزاة والفاتحين ، ويكره المجد الحربى ، ويكره أداة الحرب وهي الجيوش ، ويكره العقلية العسكرية والروح العسكرية . وهو يرى ، بالاضافة الى فظائع الحروب التي لا حصر لها ، ان العسكرية تقضي على الكرامة الانسانية ، وعلى الصفات الانسانية العليا لان منطقها يخضع الرتبة الدنيا للرتبة العليا خضوعا يجعل الانسان يتخلى عن أنبل واشرف ما فيه وهو حريته لانسان مثله أو أقل منه حيث المناقب والصفات الذاتية . وقد تناول شو هذا الموضوع فى مسرحية **السلاح والانسان** وهو يعود اليه فى مسرحية **رجل المقاديـر** ليعالجه من زاوية جديدة وان كان هدفه من المسرحيتين واحد هو تحطيم المثل الاعلى العسكرى لصالح المثل الاعلى الانساني .

على ان هناك زاوية ثالثة فى موضوع الحرب لم يغفل عنها برناردشو هي زاوية الحرب او المقاومة التي يشنها أهل بلد ما فى وجه عدو محتل أى ما يعرف بالحرب الدفاعية . فلئلا يتصور احد انه من دعاة الانهزامية او الاستسلام فى مواجهة الغاصب حرص شو ، فى مسرحيات مثل مسرحية **القديسة جان دارك** التي استمدها ايضا من تاريخ فرنسا ، على أن يؤيد مثل هذه الحرب وهو يرى بصفة عامة ان مثل بطولة جان دارك هي البطولة التي لا تعادلها بطولة .

وقد بدأ شو مسرحية رجل المقادير بنبذة قصيرة عن مؤهلات نابليون وعن صفاته وماضيه العسكرى وعن حالة الجيش الفرنسي الذى كان يحارب به فى ايطاليا . ووردت فى هذه النبذة وفى المسرحية ذاتها اشارات تحتاج الى توضيح لان لها اساسا تاريخيا لا يستقيم بدونه فهم المسرحية فهما سليما ، ولذا فسنبدأ هذه المقدمة بكلمة عن كل منها :

ـ شو يقول مثلا : ان القصف بالمدافع هو الفن الذى تخصص فيه نابليون ، ويقول : ان اكثر الفضل فى ترقيته الى رتبة الجنرال يرجع الى يقينه فى فعالية اطلاق المدافع على الناس . كذلك فان نابليون يقول فى المسرحية وهو يحدث السيدة عن الخوف : انه انتقم لعاره بان أمطر الرعاع بوابل من قذائف مدفعيته . وشو فى ذلك ليس بعيدا عن الحقيقة ، فقد كان نابليون متخصصا فعلا فى المدفعية كما ان من الثابت تاريخيا ان هذا التخصص كان من العوامل المهمة التي وصلت به الى رتبة الجنرال ، فقد أعلنت فرنسا الحرب على النمسا بعد ثلاثة اعوام من قيام الثورة الفرنسية اى فى عام ١٧٩٢ (وكانت الملكة مارى انطوانيت ، التي اعدمتها الثورة هي وزوجها الملك لويس السادس عشر ، نمسوية الاصل) وكان اكثر ضباط الجيش من أبناء الطبقة الارستقراطية وقد غادروا فرنسا بعد سقوط الملكية ، وأصبحت البلاد ، التي تحدت نصف أوروبا ، تواجه الحرب فى الداخل وفى الخارج . وتصادف فى حالة البلبلة والفوضى الشاملة التي كانت تعيشها البلاد أن أعلن أهالي ميناء طولون الواقع على شاطىء البحر الأبيض المتوسط العصيان على الحكم الجمهورى وطلبوا تدخل الاسطول البريطاني لمساندتهم . وكان الأمر محتاجا الى ضابط مدفعية لمواجهة الموقف ووقع الاختيار على الضابط الشاب ، الكورسيكي الاصل ، نابليون برنابرت . وتمكن نابليون بفضل مدفعيته من القضاء على حركة العصيان وكسب من ذلك شهرة كبيرة . كذلك قامت فى باريس عام ١٧٩٥ حركة عصيان أخرى يتزعمها الملكيون واستطاع نابليون ان يخمد هذا العصيان بالمدفعية فى خلال يوم واحد وأنقذ الجمهورية للمرة الثانية وحصل على رتبة الجنرال ، وهذه ــ على الارجح ــ هي الواقعة التي المح اليها نابليون فى حديثه مع السيدة .

ـ وفى المسرحية حديث عن « باراس » . وباراس شخصية سياسية لعبت دورا مهما فى أحداث الثورة الفرنسية ، وكان من أعضاء المجلس النيابي الذى حكم على لويس السادس عشر بالاعدام ، واصبح احد المديرين الخمسة الذين كانت تتكون منهم حكومة الديركتوار التي تولت مقاليد فرنسا فى ١٧٩٥ والتي حلها نابليون فى ١٧٩٩ ، وكان فاسقا لا ينكص عن شيء اذا دفع له الثمن . وكان باراس ، باعتباره من رجال الثورة البارزين ، حاضرا فى طولون خلال حركة العصيان الاولى وشاهد بلاء نابليون فى اخمادها . وحين قامت حركة العصيان فى باريس عام ١٧٩٥ عين باراس قائدا لحامية باريس وكان هو الذى طلب من الحكومة تعيين نابليون مساعدا له والذى اتاح له من ثم فرصة الظهور .

ـ وقال شو فى وصف نابليون انه « اتقن فنونا عسكرية شتى مثل فن التهرب من الواجب » . وهو يشير بذلك الى ما حدث من نابليون بعد أن بزغ اسـمه فى عصيان طولون . لقد اسندت اليه قيادة المدفعية فى الجيش الفرنسي الذى خرج لغزو ايطاليا (فى حملة سابقة على الحملة التي تحدثنا عنها المسرحية) ولكنه رفض اطاعة بعض الاوامر فصدر قرار بايقافه . وكان حين استدعى لاخماد عصيان ۱۷٥۹ يعاني فقرا مدقعا اضطره الى بيع ساعته وكتبه .

ـ وأخيرا يقول شو ان بعض الفضل فى ترقية نابليون الى رتبة الجنرال يرجع الى انه استخدم زوجه فى اغراء اعضاء الديركتوار ، والمقصود هو زوجته الاولى « جوزفين » . وكانت هذه السيدة أرملة لاحد النبلاء الذين أصدرت عليهم الثورة حكم الاعدام ونفذته فيهم ، وهي من أصل مارتينيكي ، وكانت على صلة بعديد من الشخصيات البارزة فى صالونات باريس . وقد رأت هذه السيدة ، التي اصبحت بعد اعدام زوجها بلا عائل ولا موارد ، ان الناس تتوقع لنابليون بعد ان ذاع صيته للمرة الثانية عام ۱۷۹٥ مستقبلا زاهرا كما بهره هو نجاحها فى الاوساط الراقية فتزوجا ، وبعدها بأقل من شهر اسندت الى نابليون قيادة حملة ايطاليا التي اختارها شو مسرحا لأحداث المسرحية . وفى الحديث الذى دار فى المسرحية بين نابليون وبين السيدة قالت هذه الاخيرة ردا على سؤال نابليون عن صاحبة الخطاب : انها مخلوقة مغرورة غبية متبرجة كذبت على زوجها فيما يتعلق بسنها وبدخلها وبمركزها الاجتماعي ، وانها عاجزة عن الوفاء لمبدأ من المبادىء او لشخص من الاشخاص . وهذه كلها صفات عرفت بها جوزفين فى التاريخ ، كما انها ، سواء قبل زواجها من نابليون او بعده ، لم تكن معروفة بالاستقامة . وكان نابليون فيما يقول الرواة ، يحبها حبا جما ، الا انها هي لم تكن تبادله هذا الحب . وكان يكتب لها خلال حملة ايطاليا خطابات ملتهبة كان أكثرها يظل بلا رد . وقد الحت أسرة نابليون عليه كثيرا فى أن يترك جوزفين لسوء سلوكها ولكنه كان يصر على التمسك بها . واذا كان نابليون قد جعل الكنيسة ـ بعد أن اصبح امبراطورا ـ تلغى زواجه بها ، لقد كان السبب الاساسي ، او الرسمي ، فى ذلك هو كونها لم تنجب له ولدا . وفى المسرحية قالت السيدة وهي تخاطب نابليون : ان زوج كاتبة الخطاب « رجل على قـدر كبير من الكفاءة والطموح » وانه يعرف زوجته ظهرا لبطن ومع ذلك فهو لا يستطيع ان يمنع نفسه من حبها . وكل هذا يطابق وصف نابليون ووصف علاقته بزوجته مما يقطع فى الدلالة ، مع شواهد أخرى فى المسرحية، بأن السيدة ـ ولو انها لم تذكر اسماء ـ انما كانت تعني جوزفين ونابليون . وقد اضافت السيدة الى ما تقدم ان زوج صاحبة الخطاب « لا يستطيع ان يمنع طبيعة الرجل فيه من استخدامها ـ اى من استخدام زوجته ـ للتزلف الـى باراس » ، والمعروف ان باراس كان ممن توسطوا فى زواج نابليون من جوزفين . وتقول بعض كتب التاريخ ـ ودائرة المعارف البريطانية ـ ان جوزفين كانت احدى خليلات باراس .

لقد بنى شو المسرحية حول خطاب غرامى كتبته جوزفين الى باراس وقع فى يد أحد الحاقدين فبعث به ضمن بريد نابليون نكاية فى طرفى العلاقة . وغنى عن البيان ان قصة هذا الخطاب قصة الفها شو من نسج خياله ولو انه ، من باب المداعبة للقارىء ؛ تحدث عنها فى أكثر من موضع فى المسرحية كما لو كانت قصة تاريخية واقعية .

ولأن برناردشو لا يعترف بالعظمة الحربية ولا يحترمها ، ولانه يريد منا أن نشاركه فى ذلك ، فقد جعل دأبه فى هذه المسرحية السخرية من نابليون ومن كل ما هو عسكرى وحربي . من ذلك قوله عن نابليون : انه كان يغالط في مصاريف السفر وانه لاحظ لاول مرة منذ اختراع البارود ان قذيفة المدفع اذا اصابت انسانا اردته قتيلا وسمى هذا اكتشافا خطيرا ، وان الجيش الفرنسي غزا ايطاليا سلبا ونهبا كما غزا الجراد جزيرة قبرص ، وان كل ما كان يطمع فيه الجندى الفرنسي هو ان يحمل فى مخلاته نصف دستة من شوك المائدة الفضية كغنيمة ، وانهلولا نكران الجميل المعروف عن الايطاليين لشعروا بالامتنان للقوات الفرنسية التى تنهبهم وتسطو على ممتلكاتهم ، وان الاكل من جميع الاطباق فى نفس الوقت كان بداية أفول نجم نابليون .كذلك صور لنا نابليون وشعره ينغمس فى طبق اليخني ، وجعله يطلب من جوزيبي ان يقتل زوجته ويأتيه بدمها ليستخدمه كمداد أحمر ، ويقول له ان المرء لا يجد أي ارضاء فى قتل انسان لا يمانع فى ذلك . وجعلنا شو نضحك كذلك على الحارس بشاربه المستعار وعلى الملازم بسذاجته وتحته مع رئيسه . وعلى الجيش النمسوى الذى عجز رغم ما فيه من ضبط وربط ومن نظام عسكرى عن الصمود أمام جيش من الرعاع .

وبعد أن مهد شو لهجومه على نابليون بهذه السخرية اللاذعة رتب شخصيات المسرحية واحداثها بحيث يكشف كل منها عن جانب او اكثر من جوانب شخصيته ليتضح فى نهاية الامر انه انسان عادي وأن عظمته ظاهرية وانه يكفى قليل من التمحيص لاثبات مدى ما تنطوى عليه شخصيته من شر وانها شخصية يعتورها كثير من التهافت والعيوب .

نابليون مثلا يقول لجوزيبي ان النبيذ اثمن من الدم ، لان الدم لا يكلف شيئا اما النبيذ فيكلف نقودا . وهو لا يغضب حين يطلعه جوزيبي على رأى الناس فيه وهو انه حريص فى كل شيء الا فيما يتعلق بحياة الانسان . وهو يسر حين يتنبأ له جوزيبي بانه سيصبح امبراطورا على أوروبا ، ويطلب المزيد . وهو فى موضع اخر يحدث جوزيبي عن شيطانه المفترس حديثا بليغا . على انه يحرص فى الموضوع على اخفاء تطلعاته ، فيطلب من جوزيبي ، فى تواضع مصطنع بعد أن سمع منه كل ما كان يتمنى سماعه ، الا يحدثه عن نفسه ، ثم هو لا يعترف بان شيطانه المفترس اسمه الطموح ، بل يحاول أن يظهر بمظهر الضحية فيقول في المناسبة الاولى أن الفاتح «يحكم للكل ويحارب للكل ويكون خادما للكل تحتستار كونه سيدا للكل »ويقول فى المناسبة الثانية كلاما مشابها عن الشيطان الذى « يطلعك على كل ممالك الارض

ويعرض عليك ان يجعلك سيدا عليها بشرط ان تصبح خادما لها » . الطموح اذن والدموية والاستهانة بأرواح الادميين والنفاق هي المعاني التي نخرج بها من حديث نابليون مع جوزيبي .

اما الملازم فهو يقوم فى هذه المسرحية بدورين هامين ، أولهما هو التشكيك فى عبقرية نابليون العسكرية ، وثانيهما هو السماح لنا بعقد مقارنة بينه وبين نابليون . ومهما يكن من بلاهة هذا الضابط فقد قذف فى وجه نابليون بحقيقة كالقنبلة حين وضح ان الفضل فى هزيمة النمسويين وفى كسب معركة لودى لم يكن لعبقرية نابليون العسكرية وانما لسلاح الفرسان الذى عبر النهر وجعل الجيش النمسوى يدير له جناحه ، وانه ، اى نابليون ، لم يجروء على اصدار الامر بمهاجمة القنطرة الا بعد أن رأى الفرسان فى الضفة الاخرى من النهر . ونحن اذا جردنا نابليون من رتبة الجنرال التي علمنا ظروف حصوله عليها ، وجردناه من صفة النبوغ العسكرى بعد أن أحطنا بالملابسات التي أدت بالجيش الفرنسي الى كسب معركة « لودى » ، فما الذى يبقى منه؟ يتبقى الرجل والانسان . فاذا قارنا بينه وبين رجل وانسان آخر هو الملازم وكان معيار هذه المقارنة هو معيار الرجولة ومعيار القيم الانسانية العليا ، لرجحت الكفة فى صالح الملازم بفرق كبير . ومما يثبت رجولة الملازم ، رغم الجناية العسكرية الخطيرة التي ارتكبها ، لهجته فى مخاطبة نابليون التي وصلت الى حد التجريح حين قال له ان الجنتلمان لا يفهمه الا جنتلمان ، وشجاعته أمام احتمال احالته الى المحاكمة العسكرية . واذا كان ما حكاه الاسير عن أخته الساحرة وما رآه بعينه من صنيعها قد افزعه لحظة فهو خوف غريزى يحسه أى انسان ــ وقد احس به جوزيبي أيضا امام الظواهر الخارقة ، ومهما يكن من أمر فان هذه اللحظة لم تدم طويلا ، وما كاد جوزيبي يناشد نخوته حتى تغلب على خوفه واقتحم ما كان يعتقد أنه الخطر . يقابل هذا ان نابليون تصرف ازاءه مرتين تصرفا لا يتفق وكرامة الرجولة : ففي المرة الاولى هدده بعزله من رتبته العسكرية أن هو لم يعثر على الرسائل ، لمجرد الانتقام من السيدة التي أعربت له عن رأيها فيه بصراحة ، وفى المرة الثانية انفجر فيه مهددا باعدامه لانه نازع فى بطولته فى معركة لودى . وفيما يتعلق بالقيم الانسانية فان خطر الملازم منها اكبر بكثير من خطر قائده ، فعلى حين يدوس نابليون على أحداث الالوف وعشرات الالوف لتحقيق اغراضه نجد ان الملازم يقرر الصداقة ويرتكب على مذبحها مخالفة خطيرة فى حق واجبه العسكرى ويتألم لان الجانب الضعيف اى الانساني ، فى طبيعته قد أسيء استغلاله ، أضعاف الــه للمخالفة فى ذاتها او لعواقبها الوخيمة التي تنتظره . وهو حين يهدده قائده بالعزل لا يهتم بالجزاء الذى سيوقع عليه رغم انه افظع جزاء يوقع على ضابط (والعزل معناه تجريد الضابط من رتبته العسكرية وتخفيضه الى أسفل السلك العسكرى) ولكن يهتم بالعار الذى سيلحق آلايه من من هذا العزل امام الالايات الاخرى . وهو بعد هذا لا يحمل ضغينة لقائده بل يقول له ، رغم كل شيء ، وكأنه يعــزيه ، « سنهزم النمسويين لاجل خاطرك ، بالرسل او من دونها » . وهو ، مع انه كان

يحمل للشخص الذى خانلقته حقدا شمل تفكيره كله ووصل به الى حد الرغبة فى الانتقام بالقتل ، لم يكد يسمع مناشدة السيدة بشأن أخيها المزعوم حتى لان وخفض جناحه . كذلك فقد نسي كل غضبه وثورته مجرد أن وعدته السيدة بوضع أخيها وفرسه تحت تصرفه . وأخيرا فان فى طبع الملازم من التواضع والامانة بقدر ما فى طبع نابليون من الغرور والمغالطة . لقد كان فى وسع الملازم ان يدعي انه هو الذى اكتشف المكان الذى أمكن منه عبور النهر ، ولكنه لم يرض ان يعزو لنفسه الفضل اغتصابا فقال ان الذى اكتشفه هو فرسه وان فرسه هو قاهر النمسويين اما نابليون فهو يجب أن يحمد بما لا يفعل ، وهو يتصيد الثناء بالحق وبالباطل ، ويتفاخر بنفسه فى مثل قوله وجعجعته انه انسان « كرمه نحو المهزومين بعد المعركة لا يقل عن قوة شكيمته فى وجه العدو قبلها » وهو قول يكذبه الواقع الملموس .. وحصيلة هذا كله أن انتصار نابليون فى معركة لودى كان لظروف خارجة عن ارادته وانه اقل رجولة واقل انسانية واقل شهامة وأقل تواضعا من ضابط بسيط فى جيشه لا يتمتع بمثل ذكائه ولا بمثل طموحه ، ولا يحلق مثله فى اجواز الفضاء العالية .

وتجيء السيدة بعد ذلك فتزيح القناع تماما عن وجه نابليون بحيث تتضح بصورة أعمق وأشمل العيوب التي ظهرت فى مواقفه المختلفة مع جوزيبي ومع الملازم ، وتبرز فى شخصيته عيوب ونقاط ضعف أخرى كثيرة . واول هذه العيوب هو الزيف . ان نابليون يقول للسيدة ـ وهي أقوال أثرت عنه فعلا او سجلت فى مذكراته ـ انه ليس الا خادما لجمهورية فرنسا وانه يكسب المعارك من أجل بلده ومن أجل الانسانية . ويقول اننا لا ينبغى أن نعيش لانفسنا وحسب ، واننا يجب أن نفكر في غير آناء الليل واطرافت النهار وأن نعمل من أجل الآخرين ونقودهم ونحكمهم لمصلحتهم هم وان التضحية بالذات هي أساس كل خلق كريم . ولكن هذه كلها ألفاظ يغطي بها حقيقته التي واجهته بها السيدة فى عبارات مدوية لم تحاول ان تلطف من وقعها . لقد قالت له السيدة ان طبيعته هي طبيعة المغامر الكورسيكي الوضيعة السافلة ، وقالت انه يضحي بآلاف الارواح من أجل انتصاراته واطماعه ومقاديره ، وان الرجال والنساء عنده ليسوا الا ادوات يستخدمها لاغراضه حتى اذا كان فى ذلك تحطيمهم ، وانه ارد ن يكسب معركة لودى لنفسه لا لأى شخص آخر ، وقالت نه حقير وأناني ، وأنه عديم الخوف والحياء . ولم يغضب نابليون ـ او لم يغضب كثيرا ـ من هذه النعوت التي تحطم ادعاءاته من اساسها ، لأنه كان يعرف ان الحق ما تقوله السيدة . وهو اذا كان قد حاول ان يعدل عن مواقفه التي انزلق بها لسانه على بعض هذا الكلام ، فقد كانت الحقيقة تفلت منه دون وعي فى مناسبات أخرى . فعندما قالت له السيدة أن شجاعتها ما هي الا عبودية وانها لا تجديها شيئا لاغراضها الخاصة ، وانها هي لا تقدم على ما يفزعها الا بدافع من الحب أو بدافع من الشفقة او من الحرص على انقاذ شخص آخر وحمايته صدرت منه صحة عفوية تكذب كل كلامه السابق عن انكار الذات والتضحية . كذلك كان اطراؤها له ينزل على قلبه بردا وسلاما كما حدث حين امتدحت شجاعته وحين قالت له انه لم يولد من الرعايا ،

وحين حدثته عن سر قوته ، وحين تنبأت بأنه سيكون امبراطورا على فرنسا ثم على أوروبا ثم على العالم . لقد كان يتمنع على هذا الاطراء من حيث الشكل فى بادىء الأمر ولكن ما كان يشعر به لدى الاستماع اليه من سعادة غامرة جعله يتخلى فى النهاية عن كل حياء وتحفظ . ان شخصا يستعذب مثل هذا المديح ويجد الحديث عن مستقبله الامبراطورى الزاهر كل هذا الصدى فى نفسه ليس انسانا يكسب المعارك من أجل الانسانية ويعمل من أجل الاخرين ، وهو اذا ادعى ذلك ليس الا ممثلا يجيد التمثيل . وقد قال شو عن نابليون فعلا انه ذو موهبة ورامية فذة وضرب على ذلك عدة نماذج فى حديثه وفى مواقفه مع السيدة . فهو يقول للسيدة : « أنا كورسيكي قح فى ولعي بالقصص ولكنى استطيع ان احكيها أحسن منك » ، ثم هو يحاول بصفة فعلية ان يثبت لها ان قدرته على التمثيل لا تقل عن قدرتها ، وهو يتلهى بذلك ويجد فيه متعة خاصة . وقد اتهمته السيدة بالحقارة لأنه فى الوقت الذى كان يصرح بأنه لا يشعر بأقل فضول للاطلاع على محتويات الخطاب اعترف بأنه قرأه حين كان فى الكرمة . وقد رأيناه كذلك يطالب الملازم بالبحث عن الخطابات بدعوى انه هو سيحاسب لأنه لم يتبع ما ورد بها من تعليمات وان مصير فرنسا وأوروبا والانسانية يتوقف عليها علما بأن هذه الخطابات كانت فى جيبه وانه كان يتفاخر امام السيدة بانه يستطيع أن يهزم اعداءه دون حاجة الى الاستعانة بخطابات او جواسيس .

على أن هناك جانبا آخر مهما من شخصية نابليون تكشف عنه وقائع المسرحية والحوار الذى يدور فيها بين نابليون والسيدة هو الجانب الذى بنى عليه المؤلف احداث المسرحية ونعنى به حياته الخاصة . فبرنارد شو يقول ، كما رأينا ، ان نابليون اتخذ من زوجته وسيلة للتزلف الى باراس ، وجعل شو السيدة تواجهه بهذه الحقيقة المهينة . ولكن هذا ليس اسوأ ما فى الموضوع . لقد كانت الزوجة تظن ان زوجها سيزلزل الارض والسماء اذا اطلع على الخطاب المرسل منها الى صديقتها ، شأن اى رجل شريف ، ولذا طلبت من صديقتها الحيلولة دون وقوع ذلك الخطاب فى يده . وركبت هذه الصديقة كل انواع الصعاب وجاءت الى ميدان المعركة وخاطرت بحياتها لتتوصل الى استرداد الخطاب قبل أن يسلم الى نابليون . ولكنها بعد أن نجحت فى ذلك سمعت كلاما له العجب ، فان نابليون القائد الأعلى والفاتح العظيم يرى أن خير ما يفعله الرجل الذى تخونه زوجته هو ان يحرص – تفاديا للفضيحة وللمبارزة ولضياع مستقبله – على أن يغمض عينيه ويظل فى جهل بكل شيء . ثم هو يطبق هذه الفلسفة عمليا فى حالته الخاصة فيكتفي ، بعد ان وقف على خيانة زوجته ، بالتظاهر بأنه لم يقرأ الخطاب الذى يقيم عليها الحجة ، وهو ، حين يضطر الى الاعتراف بقراءة هذا الخطاب ، يكتفي باحراقه وكأنه ما كان . وهو ، حين تقول له السيدة قبل ذلك انها ستراه وهو يفقد شرفه يجيبها اجابة الرجل الذى لا يقيم للشرف وزنا كبيرا . حين رأت السيدة كل هذا تشجعت واخذت تصفعه ببعض الحقائق القاسية فقالت عن صديقتها انها امرأة تتحكم فى الرجال بخداعهم وهم يرحبون بذلك ويسلمون لها قيادهم وانه رغم علمه بنقائصها وخداعها لا يستطيع أن يمنع نفسه من حبها . وقالت ان صديقتها لا تعرف زوجها ، وهي تعنى بذلك انها

لو كانت تعرفه معرفة صحيحة لما تخيلت انه سينور حين يعلم بخيانتها ولما جشمنها كل ما تجشمه من عناء فى سبيل الحصول على الخطاب وفى سبيل محاولة منعه بعد ذلك من قراءته . ولم تثر كرامة نابليون لهذا الكلام الذى يهد الجبال واثبت على نفسه انه انسان بلا شرف .

وفكرة أخيرة سخر شو هذه السيدة فى القضاء عليها فى هذه المسرحية هي ان نابليون رجل على قدر كبير من الدهاء . لقد كانت قصة نابليون مع هذه السيدة هي قصة القط مع الفأر ، أو قصة الأسد . كما قال عن نفسه ــ والفريسة . ولكن اسد نهاية المسرحية لم يكن هو أسد بدايتها . لقد كان الصراع بين السيدة وبينه صراعا بين شخصيتين وبين ذكاءين ، وكانت الدائرة فى كل مراحل هذا الصراع تدور على نابليون ، مع انه هو صاحب المركز الأقوى ، لصالح السيدة . لقد رأيناه ، بعد أن كان فى البداية « يتسلى باللعب برهة مع ضحيته » يقدم لها اعتذاره ، ورأيناها تلطمه بأبشع الاتهامات فى غير وجل ، بل وتحتقره وتتعالى عليه وتتهمه بالوقاحة ؛ وهو يقترب اليها ويطرى ذكاءها وشجاعتها ويعرض عليها صداقته ويحاول محاولات يائسة أن يثير تقديرها واعجابها . ولأن السلاح فى معركته مع السيدة لم يكن سلاح المدفعية بل سلاح الشخصية وسعة الحيلة فقد هزم نابليون وركع الأسد وانتصرت عليه السيدة باعترافه هو نفسه وانقذ الملازم المسكين من المصير الذى كان يتربص به ؟ .

نابليون اذن ــ فى نظر برناردسو ــ ليس انسانا عظيما ولا عسكريا عظيما ولا سياسيا عظيما ، بل هو أبعد ما يكون عن ذلك كله . اما اذا سأل سائل : كيف اذن فتح اوروبا كلها ودخل التاريخ وملأ اسماع العالم ، فان شو يرد بأن الذى ساعده على ذلك مجموعة من العوامل يرجع بعضها اليه (وأكثرها غير مشرف) وبعضها الآخر لظروف أجنبية عنه . اما العوامل التي ترجع اليه فهي ــ طبقا لرأى السيدة ــ طموحه الشديد وايمانه بنفسه وقدرته على أن يقاتل ويقوم بفتوح لنفسه لا لأحد آخر ، وانه لا يخاف مصيره ، واقدامه وقوة ارادته . يضاف الى هذا خبرته فى المدفعية والطبوغرافيا وقسوة قلبه وعدم احترامه لقواعد الحرب وكونه انسانا مجردا من الضمير والديانة والولاء والوطنية والمثل العليا ، واخيرا معرفته الواقعية بالناس . واما العوامل الخارجة عن ارادته فهي أولا حالة الجنود الفرنسيين الحفاة العراة الذين كان يحارب بهم والذين عرف بواقعيته وبالتلويح لهم بغنائم الحرب كيف يحولهم الى قوة لا تقاوم (ويلاحظ ان الكلمات التي خاطب بها نابليون الجنود مقتطفة من منشور وزعه على قواته قبل معركة لودى) وهي ثانيا أن الجيوش التي حاربها كانت كالجيش النمسوى تكبلها العسكرية الاكاديمية الارستقراطية بنظمها العتيقة كما تكبلها هيئات بلادها الحاكمة وصالوناتها . والعامل الأخير هو ــ فى رأى برناردشو ــ ان العالم مولع بالمعجزات والابطال وان عامة الناس فى البلاد التي فتحها نابليون اتخذته وثنا بينما مكنه اشرافهم من رقابهم .

هذا هو ما اراد شو أن يقوله عن نابليون الفاتح . وقد تكون بعض الوقائع الصغيرة التي تسبها اليه في هذه المسرحية موضع خلاف بين المؤرخين ولكن المأخذ الرئيسي الذى أخذه عليه وهو طموحه الشخصي مسألة ليس عليها خلاف حتى بين المؤرخين الفرنسيين أنفسهم كما يتضح من هذه الفقرة التي جاءت في كتاب من كتب التاريخ المقررة على طلبة المدارس الثانوية الفرنسية : « كان رأى نابليون ـ من طراز الفاتحين العظام من أمثال الاسكندر الاكبر وقيصر ، وكان مثلهم يحلم بامبراطوريات هائلة وسلطان لا تحده الحدود . وكان ذا طموح لا يشبع وذا تطلع عارم الى المجد . وهكذا تحدد مصير فرنسا لعشرة أعوام : استبداد في الداخل وحرب في الخارج » . والمقصود هي الأعوام العشرة لتي حكم نابليون فيها فرنسا كامبراطور . ويلاحظ أن شو لم يمس كفاية نابليون خارج نطاق الحرب بل اعترف بأنه دك معاقل الفساد السياسي في فرنسا ، وهذا ايضا صحيح من الناحية التاريخية ، وحسد الفرنسيين على انه حكمهم وتحسر ، في تهكم ، على الانجليز لأنهم لم يستفيدوا من حكم كما استفادوا من حكم الرومان بقيادة يوليوس قيصر .

على أن شو لم يقتصر ، كما قدمنا ، في هذه المسرحية على مهاجمة نابليون ، بل هاجم العسكرية ذاتها في موضعين ، احدهما هو العبارة التي قال فيها أن الطريقة العسكرية التي يفرض القائد بها ارادته على الجنود هي الكرباج ، والثاني هو القصة ، المضحكة في ظاهرها ، التي كان بطلها حارس نابليون فان الجاويش الذى له السلطة على هذا الحارس اعتبر ان افتقاره الى الشارب نقص في رجولته واصر على أن يرسم له شاربا مستعارا بصبغة الاحذية ، وبرنارد شو يعتبر ان في ذلك اهدارا للكرامة الانسانية . وفضلا عن ذلك فان شو يهاجم الجيش الفرنسي كله والجيش النمسوى كله ، فقد كان كلاهما غازيا لأرض ليست أرضه هي ايطاليا ، فيصفهما بأنهما « حشدان من الحشرات الضارة » ، تنظر اليهما الشمس نظرة أسوأ من نظرتها الى الخنازير . وأخيرا فان شو لم يترك الفرصة تضيع دون أن يهاجم الانجليز (ورغم انه كان يكتب للانجليز بالانجليزية التى هي لغته أيضا ويعيش ، رغم انه ايرلندى الأصل ، في اجلترا يكتب في صحفها وينشر فيها كتبه ويعرض مسرحياته ، فقد كان يجد متعة خاصة في التهكم على الانجليز وفي كشف عيوبهم لأنفسهم بطريقة تثير الضحك) فوضع على لسان نابليون كلاما يعبر عن رأيه هو في الانجليز . ويتلخص هذا الرأى في أن الرجل الانجليزى منافق ، وان السياسة الانجليزية منافقة مثله ، وان انجلترا حين تحارب تحارب باسم حماية الدين المسيحي او حماية الحرية او الدفاع عن رعاياها . ولكنها في واقع الأمر تدافع عن مصالحها الخاصة . ومما يذكر في هذا الصدد ان فرنسا خرجت من حروب نابليون أصغر رقعة مما كانت وان امبراطورية نابليون قد صفيت بعد هزيمته في ووترلو وخرجت انجلترا من هذه التصفية بنصيب الأسد .

رجل المقادير

١٨٩٨

تأليف : جورج برنارد شو
ترجمة وتقديم : محمود علي مراد
مراجعة : د. عبد الرزاق العدواني

العنوان الاصلى للمسرحية

THE MAN OF DESTINY

1896

Being The Third of Four Pleasant Plays

رجل المقادير

الثانى عشر من مايو ١٧٩٦ في شمال ايطاليا . قرية « تفازانو » على الطريق من بلدة « لودى » الى « ميلانو » . الوقت عصر . الشمس تسطع في سلام على سهول لومبارديا ، وهى تعامل جبال الألب باحترام وتعامل كثبان النمل بتسامح . لا تشمئز الخنازير في القرى يشير تقززها، ولا الفتور الذى تقابل به في الكنائس يجرح احساسها . ولكنها تحتقر ، وتحتقر بلا هوادة ، حشدين من الحشرات الضارة هما الجيشان الفرنسي والنمسوى . وقد حاول النمسويون قبل ذلك بيومين في بلدة « لودى » أن يمنعوا الفرنسيين من عبور النهر باستخدام القنطرة الضيقة الموجودة هناك ، ولكن الفرنسيين ، بقيادة جنرال في السابعة والعشرين اسمه نابليون بونابرت لا يحترم قواعد الحرب ، اجتاحوا القنطرة التى تكتسحها نيران العدو ، تساندهم مدفعيتهم بقصف يدك الجبال ساعد فيه الجنرال الشاب بيديه . ان القصف بالمدافع هو الفن الذى تخصص فيه : لقد تدرب على المدفعية في ظل نظام الحكم القديم واتقن فنونا عسكرية شتى مثل فن التهرب من أداء الواجب ، وفن الاحتيال على الصراف بشأن مصاريف السفر ، وفن تعظيم الحرب بصوت المدافع ودخانها على نحو ما تصور كافة اللوحات العسكرية . على انه ذوعين فاحصة ، وقد لاحظ ، لاول مرة منذ اختراع البارود ، أن قذيفة المدفع إذا اصابت انسانا اردته قتيلا . وبالاضافة إلى هذا الاكتشاف الخطير الذى وعاه وعيا كاملا ، فقد بلغ درجة التفوق في الطبوغرافيا وفي احتساب الزمن والمسافات . وقد أوتى طاقة مذهلة على العمل ومعرفة

واقعية سليمة بالطبيعة الانسانية في المسائل العامة وقد أتيح له خلال الثورة الفرنسية أن يختبر هذه المعرفة في المجال المذكور بصورة لا زيادة فيها لمستزيد . وهو ذو خيال لاتشوبه أوهام ، وذو قدرة خلاقة لاتشوبها ديانة أو ولاء أو وطنية أو أى مثل من المثل العليا الشائعة . لا لأن هذه المثل فوق ما يستطيع : بالعكس ، لقد تلقنها كلها في صباه وهو الآن ، بفضل موهبته الدرامية الفذة ، بارع إلى اقصى حد في اللعب عليها بفن الممثل وفن المخرج .

وفيما عدا ذلك فهو ليس طفلا مدللا . لقد عانى من الفقر وسوء الحظ ومما تتعرض له الاسر الكريمة رقيقة الحال من تقلب الاحوال ، ومن خيبة الاخفاق المتكرر كشخص يريد أن يشتغل بالتأليف ، ومن مهانة السائرين في كل ركب الذين ترفض خدماتهم ، ومن اللوم والمجازاة كضابط فاشل غير أمين ، ومن احتمال الفصل من الخدمة . ولولا أن هجرة النبلاء قد خلقت مجاعة للكفاءات العسكرية جعلت أحط الملازمين خاقا يصل إلى رتبة الجنرال ؟ لسرح من الجيش تسريحا مهينا : وقد هشمت غروره هذه الامتحانات التي امتحن بها واضطرته إلى الاستكفاء الذاتى وجعلته يدرك أن العالم لن يعطى لامثاله من الرجال شيئا لا يستطيعون انتزاعه منه عنوة واقتدارا . والعالم في هذا غير منزه من الجبن والخطل .

فقد استطاع نابليون أن يجعل نفسه مفيدا بدك معاقل الفساد السياسى بلا شفقة : وبالفعل ، فان من المستحيل حتى وقتنا هذا أن يعيش الانسان في انجلترا دون أن يتملكه الشعور أحيانا بمدى ما فقده هذا البلد بكونه لم يخضع لسلطانه كما خضع لسلطان يوليوس قيصر .

على أن ساعته لم تكن قد حانت بعد في عصر هذا اليوم من شـــهر مايو ١٧٩٦ . ولم يكن قد مضى وقت طويل على ترقيته الى رتبـــــة

الجنرال ، وكان بعض الفضل في هذه الترقية يرجـع الى أنه استخدم زوجه في إغراء أعضاء الديركتوار (١) (الذى كان يحكم فرنسـا وقتذاك) ، وبعضه يرجع الى ندرة الضباط التى تسببت فيها هجـرة النبلاء كما سبق القول ، وبعضه الى قدرته على معرفة أى بلد من البلاد بكل طرقه وانهاره وتلاله ووديانه معرفته براحة يده ، ولكن اكـثر الفضل فيها كان يرجع الى يقينه الجديد في فعالية اطلاق المدافع عـلى الناس . وكان جيشه من حيث النظام في حالة صدمت بشدة شـعور بعض الكتاب الحديثين الذين مثلت القصة التالية أمامهم . الى درجـة جعلتهم ، من فرط ما استولت على أفكارهم امجاد « الامبراطـور » اللاحقة ، يرفضون تصديقها : ولكن نابلنون لم يكن وقتها قد غـدا امبراطورا بعد : وكان رجاله يسمونه بالجاويش الصغير فقد كـان لا يزال في المرحلة التى يحاول فيها السيطرة عليهم باستعراض شجاعته واقدامه . وهو ليس في مركز يسمح له بفرض ارادته عليهم بالطريقة العسكرية التقليدية أى السوط . ان الثورة الفرنسية ، التى نجت من القمع لسبب واحد هو عادة الملكية في التأخر اربع سنوات على الاقل في دفع مرتبات الجنود قد استعاضت عن هذه العادة ، بقدر الامكان ، بعادة أخرى هى عدم دفع مرتبات للجنود على الاطلاق ، مع الاكتفـاء بالوعود وبتملق وطنية الجنود بطريقة لا يقرها قانون عسكرى مـن النوع المطبق في الجيش البروسى . وهكذا أشرف نابليون على جبـال الالب وهو يتولى قيادة رجال ليس معهم نقود ، في أسمال باليـة ، لا يقبلون بالتالى أن يخضعوا لمقتضيات النظام العسكرى الدقيق خصوصا

---

(١) الديركتوار هو الاسم الذى يطلق على الجهاز الذى حكم فرنسا بعد قيام الثورة الفرنسية خلال الفترة منذ ٢٧ أكتوبر ١٧٩٥ حتى ١٩ نوفمبر ١٧٩٩ . وكان هذا الجهاز يتكون من خمسة « مديرين » كان باراس أحدهم .

من جانب ضباط وصلوا الى رتبة الجنرال بين يوم وليلة . ورغم أن هذا الظرف كان من شانه أن يربك أى قائد مثالى ، فقد وجد فيه نابليون ما يساوى ألف مدفع . لقد خاطب جيشه قائلا « ان قلوبكم تنبض شجاعة ووطنية ولكنكم حرمتم المال والملبس وليس لديكم ما تتبلغون به . ايطاليا فيها كل هذه الاشياء وفيها مجد ايضا . وهذان يحرزهما جيش مخلص يقوده جنرال يرى ان الغنيمة حق طبيعي للجندى المقاتل . انا مثل هذا الجنرال . الى الامام يا أولادى ! » وقد أعطته النتائج في ذلك تبريرا كاملا . لقد غزا الجيش ايطاليا كما غزا الجراد جزيزة قبرص » كان الجنود يحاربون طيلة النهار ويسيرون طيلة الليل ويقطعون مسافات مستحيلة ويظهرون في اماكن لا يصدقها العقل، لا لأن كلا منهم كان يحمل عصا فيلدمارشال (١) في مخلاته ولكن لانه كان يطمع في أى يحصل فيها في اليوم التالى على ؟ بعض ، شوك المائدة الفضية .

ويجب أن يكون مفهوما بهذه المناسبة أن الجيش الفرنسى ليس في حرب مع الايطاليين بل هو في ايطاليا لينقذهم من طغيان النمسويين الغزاة وليخلع عليهم نظام الحكم الجمهورى : فاذا جاء ونهبهم بنفس الطريقة فهو لايفعل أكثر من التصرف في ممتلكات اصدقائه ومن واجب هؤلاء الاصدقاء ان يشعروا نحوه بالامتنان ، وربما كان هذا شعورهم لولا ان نكران الجميل من العيوب التى جرت بها الامثال عنهم والنمسويون الذين يحاربهم هذا الجيش ، جيش نظامى يبعث على الاحترام الكامل .

جيش فيه ضبط وربط ، يقوده سادة من أولاد الذوات يجيدون أساليب القتال التقليدية اجادة تامة ، وعلى رأسهم القائد « بوليو »

(١) مشير .

وهم يمارسون فن الحرب الكلاسيكى بأوامر تأتيهم من فيينا ، وتحيق بهم الهزائم المنكرة على يد نابليون الذى يتصرف على مسئوليته متحديا كل سوابق المهنة ومتحديا كذلك تعليمات باريس . وحتى إذا اتفق وكسب « النمسويون » معركــة من المعارك فان الأمر لا يحتاج إلى أكثر من الانتظار حتى يضطرهم روتينهم إلى العودة إلى قاعدتهم لتناول شاى العصر على سبيل المجاز ثم استعادة ماكسبوه ، وهو اسـلوب اتبعه نابليــون فيما بعد بنجاح بـاهر في معركــة « مارنجو » . وعلى العموم فقد وجــد نابليون في مقــدوره أن يدحر عــدوه الذى تكبله الاداة الحكومية النمسوية وكلاسيكية الجنــرالات ومتطلبات الهيكل الاستقراطى لمجتمع فيينا ، دون حاجة إلى معجزات بطولية خارقة . بيد أن العالم مولع بالمعجزات والابطال ، وهو عاجز تماما عن تصور فعل عوامل مثل العسكرية الاكاديمية او مجتمع صالونات فيينا . ومن ثم فقد بدأ — أى العالم — بالفعل يصنع صورة « الامبراطــور » ويجعل بالتالى من الصعب على الروائيين بعد مائــة سنة أن يصدقوا المشهد الصغير الذى تقع أحداثه الآن في قرية « تفازانو » والذى لم يسجل بعد في التاريخ .

أحسن مكان في « تفازانو » هو فندق صغير . وهو أول بيت يصل اليه المسافر الذى يجتاز المكان في طريقه من « ميلانو » الى « لودى » وهو يقع في كرمة . غرفة الفندق الرئيسية ، وهى ملاذ بهيج من حر الصيف ، تنفتح في مؤخرتها على هذه الكرمة باتساع يجعلها اشبه بفرندة فسيحة . الاطفال الذين أوتوا من الشجاعة حظا أكبر من غيرهم والذين أثارهم هرج القوات الفرنسية ومرجها واغارتها في الساعة السادسة يعلمون أن القائد الفرنسى قد اتخذ هذه الغرفــة قاعدة له ، وهم موزعون بين رغبتهم القوية في اختلاس نظرة الى الداخل من النوافــذ الامامية وبين فــزعهم من الحــارس وهو

جنتلمان شاب انخرط في سلك الجندية وليس له شارب طبيعي مما جعل جاويشه يرسم في وجهه بصبغة الاحذية السوداء شاربا تقشعر منه الابدان . ولما كان زيه العسكرى الثقيل ككافة الازياء العسكرية في ذلك الوقت ، مصمما للاستعراضات دون أقل اعتبار لمقتضيات الصحة أو الراحة ، فان العرق يتصبب منه بغزارة في قيظ الشمس ، كما أن شاربه المدهون قد سال في قنوات صغيرة وصلت إلى ذقنه واحاطت برقبته ، الا حيث جف مكونا لطعا من الورنيش وحيث تلطخ رسمه المنتشر في اشكال كاريكاتورية على هيئة خلجان وألسنة أرضية صغيرة تمتد في البحر .

كل هذا يجعل منظره مضحكا بصورة تفوق الوصف في نظر التاريخ بعد مائة عام ، ولكنه منظر تسيب له ؟ ركب طفل شمال ايطاليا الذى يعاصره والذى يرى أن من الامور الطبيعية جدا أن يعقد ذلك الجندى ، في سبيل تخفيف ما ينتابه من ملل في نوبة حراسته ، الى طعن طفل شارد بحربة بندقيته والى افتراسه نيئاً . ومع ذلك فان صبية شكسة ، تتحرك فيها رغم حداثة سنها غريزة تجعلها تحس بحظوة لدى الجنود تختلس إلى الداخل نظرة من أكثر النوافذ أمنا . وتستمر هذه النظرة برهة ولكن لفتة ثم صلصلة من الحارس تجعلها تسلم ساقيها للريح . ومعظم ما رأته هذه الصبية سبق لها أن رأته : كرمة في الخلف فيها مكبس للنبيذ وعربة يد بين أشجار العنب ، وباب قريب عن يمينها يؤدى إلى مدخل الشارع ، وصوان هو أفضل صوان عند صاحب الفندق إلى الخلف في نفس الجانب وحركة الاعداد للغداء تدور حوله على قدم وساق ، والمدفأة في الجانب الآخر وبالقرب منها أريكة ، وباب آخر مؤد إلى الغرف الداخلية بينها وبين الكرمة ، والمائدة في الوسط وقد جهزت عليها وجبة تتكون من

طبق رز » معد بطريقة أهل ميلانو ، وجبن . وعنب . وخبز . وزيتون و » قنينة » نبيذ أحمر وسط قش مجدول .

صاحب الفندق ، جوزيبي جراندى ، شخص تعرفه الفتاة جيدا . وهو رجل في الاربعين ، اسمر ، ممتلىء حيوية ، طلق المحيا في خبث ، شعره أسود متموج ، رأسه في شكل رصاصة ، ذو ابتسامة عريضة . وهو بطبعه مضيف لايبارى ولكنه في هذا اليوم في أحسن حالاته المعنوية فقد شاء حسن حظه أن يكون نزيله هو القائد الفرنسى وفي ذلك وقاية له من نهب الجنود . وهو يضع في اذنيه قرطا من الذهب (١) لولا هذا الظرف لاخفاه بعناية تحت مكبس النبيذ مع بعض الأدوات الفضية التى يملكها .

أما نابليون ، الذى يجلس في مواجهة الصبية في جانب المائدة القصى ، ، فانها تـــراه للمرة الاولى . وهـــو منهمك في شيئين : وجبته التى اكتشف طريقة يلتهما بها في عشر دقائق وذلك بالاكل من جميع الاطباق في وقت واحد (وكانت هذه الطريقة هى بداية أفول نجمه) وخريطة حربية كان يحدد عليها بين الحين والآخر مواقع القوات يأخذ قشرة عنب من فمه يغرزها على الخريطة بابهامه . ؟ وليس في لبس نابليون ولا في شخصه أثر للبهدلة الثورية ، ولكن مرفقه أزاح معظم الصحاف والأكواب من أماكنها . أما شعره الطويل فكان ينغمس في طبق الرز » عندما كان ينساه وينحنى باهتمام أكبر على الخريطة .

جوزيـــبي : ألا يريد صاحب العظمة . .

نابليـــون : (مكبا على الخريطة وهو يلتقم الطعام بيده اليسرى بحركة ميكانيكية) صه . أنا مشغول .

---

(١) على عادة الرجال قديما فى بعض مناطق ايطاليا .

جوزيـــبي : (ببشر تام) تحت أمرك ياصاحب العظمة .

نابليـــون : إلى بحبر أحمر .

جوزيـــبي : وا أسفاه ياصاحب العظمة . ليس في الفندق منه شيء .

نابليـــون : (بممازحة كورسيكية) اقتل شيئا واثتنى بدمه .

جوزيـــبي : (بابتسامة عريضة) مامن شيء هنا يمكن قتله سوى جواد عظمتك والحارس والسيدة التى تقطن في الدور العلوى وزوجتى .

نابليـــون : اقتل زوجتـــك .

جوزيـــبي : بكل سرور يا صاحب العظمة . ولكنى للأسف لست على هذه الدرجة من القوة ، ولـــو حاولت ذلك لقتلتنى هى .

نابليـــون : في هذا مايفى بالغرض .

جوزيبي : هذا شرف كبير لى من عظمتك . (يمـــد يده الى « فياسكة » النبيذ) قد يصلح[1]، بعض النبيذ[2] لمـــا تريده عظمتك .

نابليـــون : (يبادر فيحمى الفياسكة وبلهجة جادة تماما) النبيذ ! لا : هذا اسراف . انتم كلكم سواء : اسراف ! اسراف ! اسراف ! اسراف ! (يعلّم على الخريطة بالصلصة مستخدما شوكته كقلم) أزل ما على المائدة . (ينهى نبيذه ويدفع كرسيه الى الخلف ويمسح فمه بفوطته ويمد ساقيه ويستلقى الى الوراء وهو لايفتأ يقطب جبينـــه ويفكر) .

جوزيـــبي : (يخلي المائدة ويجمع ادوات الطعام في صينية موضوعة على الصوان) كل انسان وتجارته يا صاحب العظمة ، نحن أصحاب الفنادق لـــدينا الكثير مـــن الخمر الرخيص : ولا يهمنا ان يسكب . اما الجنرالات العظام مثلك فلديهم الكثير من الدم الرخيص ولا يهمهم ان يسفك أليس كذلك يا صاحب العظمة ؟

نابليـــون : الدم لا يكلف شيئا : اما النبيذ فيكلف نقودا .(ينهض ويروح الى المدفأة) .

جوزيـــبي : يقولون إنك ، يا صاحب العظمة حريص في كل شيء إلا فيما يتعلق بحياة الانسان .

نابليـــون : حياة الانسان ، ياصاحبي ، هي الشيء الوحيد الذي يحرص على نفسه . (ينطرح على الأريكة ويتخذ وضعا مريحـــا) .

جوزيـــبي : (معجبا به) آه ياصاحب الظمة . يا لحماقتنا جميعا بالقياس اليك ! ليتني استطيع ان اكتشف ســـر نجاحك !

نابليـــون : لكي تنصب نفسك امبراطورا على ايطاليا ، هه ؟

جوزيـــبي : هذه مسألة متعبة يا صاحب العظمة : أنا أترك لك كل ذلك . ثم ماذا يكون من أمر فندقي لو أنني اصبحت امبراطورا ؟ ألا ترى سرورك وانت تنظر الىّ بينما اهتم انا من أجلك بفندقي وأقوم بخدمتك ؟ أنا كذلك سأكون مسرورا بالنظر اليك وقد أصبحت امبراطورا

على أوروبا وحكمت البلد من أجلي . (يرفع غطاء المائدة بخفة يد وهو يواصل ثرثرته ، دون أن يحرك الخريطة من موضعها . واخيرا يمسك طرفيه بيديه ووسطه بفمه لكي يطويه) .

نابليــون : امبراطورا على أوزوبا ، هه ؟ لماذا على أوروبا فقط؟

جوزيــبي : فعلا لماذا ؟ امبراطورا على العالم يا صاحب العظمة ! ولم لا ؟ (يطوى غطاء المائدة ويلفه وهو يؤكد عبارات مع كل خطوة من خطوات هذه العملية) .لافرق بين انسان وآخر (طيّه) : لافرق بين بلد وآخر (طية) : لا فرق بين معركة وأخرى . (في الطية الأخيرة يبسط الغطاء على المائدة ويلفه بمهارة ، ثم يضيف مختتما كلامه) والذى يفتح بلدا يفتح الكل . (يأخذ الغطاء الى الصوان ويضعه في أحد ادراجه) .

نابليــون : ويحكم للكل ، ويحارب للكل ، ويكون خادما للكل تحت ستار كونه سيدا للكل . جوزيــبي .

جوزيــبي : (لدى الصوان) نعم . يا صاحب العظمة . !

نابليــون : انا لا اسمح لك بأن تحدثني عن نفسي .

جوزيــبي : (يقترب من طرف الاريكة عند موضع القدمين) ارجــو المعذرة . شدما تختلف ياسيدى عن سائــر العظماء . هذا هو الموضوع الذى يفضلونه على سائر الموضــوعات .

نابليــون : حدثني عن ثانى موضوع يحظى بتفضيلهم ، ايا كان.

جوزيــبي : (في غير تحفظ) بكل سرور يا صاحب العظمة . هل

تصادف ان وقعت عين عظمتكم على السيدةالموجودة بالدور العلوى ؟

نابليــون : (يجلس في الحال) كم سنها ؟

جوزيى : السن المناسب ، ياصاحب العظمــة .

نابليــون : تعنى سبعة عشر أم ثلاثين ؟

جوزيــبي : ثلاثون ، ياصاحب العظمــة .

نابليــون : مليحـــــة ؟

جوزيــبي : ليس في استطاعتى ان أرى بعينى عظمتك : هذه مسألة يجب ان يحكم فيها كل انسان بنفسه . وهى في رأيي آية في الجمال يا صاحب العظمة . (بخبث) هل تأمرون بأن أعدلها وجبتها الخفيفة هنا ؟

نابليــون : (بغتة وهو ينهض) لا : لا تعد شيئا هنا حتى يعود الضابط الذى انتظره . (ينظر الى ساعته ويأخذ في السير ذهابا وايابا بين المدفأة والكرمة) .

جوزيــبي : (باقتناع) صدقنى يا صاحب العظمة . لقد أسر ه النمسويون الملاعين . لو أنه كان طليقا لما جرؤ على تركك في انتظاره .

نابليــون : (ينعطف عند حافة ظل الفراندة) جوزيى : اذا صح هذا فسيثيرنى ثورة لن أرضى معها الا بشنقك انت وجميع من في فندقك بما في ذلك السيدةالموجودة بالطابق العلوى .

جوزيــبي : كلنا فداء لعظمتك بصدر رحب ، باستثناء السيدة

فأنا لا أملك التحدث باسمها . ولكن اى سيدة تستطيع مقاومتك يا سيدى الجنرال ؟

نابليون : (بمرارة ، يستأنف سيره) كذا ! أنت لن تشنق أبدا . واى ارضاء يجده الانسان في شنق رجل لا يمانع في ذلك .

جوزيبي : (بأسف) ليس في ذلك ارضاء على الاطلاق ياصاحب العظمة . (نابليون ينظر الى ساعته من جديد في قلق واضح) . اى انسان يستطيع ان يرى انك رجل عظيم ياسيدى الجنرال : انت تعرف كيف تنتظر . ولو ان جاويشا او ملازما ثانيا كان في مكانك الآن لأخذ يسب ويلعن ويتوعد ويهد البيت على رؤوسنا بعد ثلاث دقائق .

نابليون : جوزيبى : تملقك شيء تعافه النفس . اذهب وتكلم في الخارج . (يعاود الجلوس الى المائدة وفكاه بين يديه ومرفقاه على الخريطة التى يتأملها بانقباض) .

جوزيبي : بكل سرور يا صاحب العظمة . لن يزعجك أحد . (يحمل الصينية ويتأهب للانسحاب) .

نابليون : ارسله الىّ في اللحظة التى يعود فيها .

جوزيبي : في الحال ، يا صاحب العظمة .

صوت السيدة : (تنادى من مكان بعيد في الفندق) جوزيـــبي ! (الصوت موسيقى جدا والنبرتان الاخيرتان تحدثان فاصلا صعوديا) .

نابليون : (يجفل) من صاحبة هذا الصوت ؟

جوزيـــبي : السيدة ، يا صاحب العظمة .

نابليـــون : سيدة الطابق العلوى ؟

جوزيـــبي : أجل ، يا صاحب العظمة . السيدة الغريبة .

نابليـــون : الغريبة ؟ من أين أتت ؟

جوزيـــبي : (بهزة من كتفيه) من يدرى ؟ لقد وصلت قبل عظمتك بقليل في عربة أجرة مملوكة للنسر الذهبي بمدينة « بورجيتو » . وصلت بمفردها يا صاحب العظمة . بلا خدم ولا حشم . حقيبة فيها لوازمها وصندوق ثياب ولا شيء غيرهما . الحوذى قال انها تركت جوادا في النسر الذهبي . فرس قتال بعدة عسكرية .

نابليـــون : امرأة بفرس قتال ! فرنسية أم نمسوية ؟

جوزيـــبي : فرنسية ، يا صاحب العظمة .

نابليـــون : لابد أنه فرس زوجها وان زوجها قتل في معركة « لودى » . مسكين .

صوت السيدة : (النبرتان الاخيرتان تحدثان الآن فاصلا نزوليا آمرا) جوزيـــبي !

نابليـــون : (ينهض لينصت) هذا ليس صوت امرأة قتل زوجها أمس .

جوزيـــبي : فقد الازواج لا يوسف عليه في كل الحالات ياصاحب العظمة . (يرتفع صوته) حاضر يا سيدتى حاضر . (يتجه الى الباب الخلفى) .

نابليـــون : (يضع يدا قوية على كتفه ليستوقفه) مكانــك . دعهــا تأتى .

الصــوت : جوزيبي ! ! (بصير نافد) .

جوزيــبي : دعني أذهب ، يا صاحب العظمة . تلبية نداء النزيل مسألة شرف بالنسبة لى كصاحب فندق . انا أناشدك كجنــدى .

صوت رجل : (في الخارج ، لدى باب الفندق ، صائحا) اما من أحد ؟ يا صاحب الفندق . اين انت ؟ (شخص ما يطرق بقوة بمقبض كرباج على دكة في الممشى) .

نابليــون : (فجأة يصبح القائــد العسكرى كمــا كان ويطرد جوزيبي باشارة) اخيرا وصل الرجل الذى انتظره. (يشير الى الباب الداخلى) انصراف . اهتم بشئونك: السيدة تناديك . (يذهب الى المدفأة ويقف وظهره اليها وقد اتخذ سمة حزم عسكرية) .

جوزيــبي : (يحبس انفاسه ويخطف صينيته) سمعا وطاعــــة يا صاحب العظمة . (يهرع خارجا من الباب الداخلى)

صوت الرجل : (ضيق الصدر) أكلكم ينام أم ماذا ! . .
(الباب الآخر يفتح بركلة قدم غير مهذبة . ملازم ثان معفر يقتحم الغرفة . هو شاب فارع الطول ابله في الرابعة والعشرين ، تنم بشرته وهيئته عن أنه من أبناء الذوات ، وهو يستمد من هذا ثقة لم تفلح الثورة الفرنسية في زعزعتها ولو قليلا . له شفة غليظة غبية وعين مشرئبة سريعة التصديق ، وانف عنيد، وصوت جهورى معتز بنفسه . شــاب لا يعرف الخــوف

ولا يوقر احدا . عديم الخيال عديم العقل . لديه مناعة مستحكمة ضد الافكار النابليونية واى افكار أخرى . متبجح بدرجة مذهلة ، تؤهله صفاته بشكل خاص للاندفاع الى الاماكن التي تخشى الملائكة وطأها . وهو مع ذلك ذو حيوية صلبة مهذارة ترج به في صميم الامور . وهو الآن يغلى بغيظ يعزوه الناظر السطحى الى ان موظفى الفندق لم يخفوا الى خدمته ولكن العين الفاحصة تستطيع ان تستشف فيه نوعا من العمق المعنوى يوحى بحنق أطول مدى وأبعد اثرا . وهو حين يلمح نابليون يفاجأ بالقدر الكافي لكى يراجع نفسه ويحييه التحية العسكرية ، ولكن لا يبدو من هيئته ان لديه ذلك الاحساس الذى يجعله يتنبأ بمعارك مارنجو واوسترلتز ووترلوو بجزيرة سانت هيلانا (١) وبلوحات الفنانين ديلاروش وميسونيه النابليونية ، والذى تنتظره منه القرون اللاحقة .

نابليون : (والساعة في يده) اخيرا وصلت يا سيدى. التعليمات التى أعطيت لك تقول اننى سأكون هنا في السادسة وانى سأجدك في انتظارى بالبريد المرسل إلى من باريس وبعدد من الرسائل الرسمية . الساعة الآن الثامنة الا عشرين دقيقة . وقد كلفت انت بهذه المهمة باعتبارك فارسا قوى الاحتمال يمتطى اسرع فرس

---

(١) انتصر نابليون فى معركة مارنجو على النمسويين وفى معركة أوسترلتز عليهم وعلى الروس . وفى معركة ووترلو هزمته قوات أوروبا المتحالفة بقيادة ولنجتون . وسانت هيلانا جزيرة نفى فيها بعد هزيمته فى ووترلو .

في المعسكر . وها أنت تصل بتأخير قدره مائة دقيقة. وتصل سائرا على قدميك . أين فرسك ؟

الملازم : (يخلع قفازه متبرما ويقذف به وبقبعته العسكرية وبسوطه على المائدة) أين هى ؟ هذا بالضبط هو ما أود ان أعرفه يا سيدى الجنرال . (متأثرا) لا يمكن ان تتصور الى أى حد كنت مولعا بتلك الفرس .

نابليون : (بسخرية غاضبة) حقا ! (بارتياب مفاجئ) أين خطاباتى والرسائل الرسمية ؟

الملازم : (شاعرا باهمية وبلهجة يغلب فيها الرضى ، للخير غير العادى الذى يحمله) لا أدرى .

نابليون : (لا يصدق اذنيه) لا تدرى !

الملازم : علمى علمك يا سيادة الجنرال . والذى أرجحه الآن هو انى سأحال الى المحكمة العسكرية . انا لا يهمنى ان أقدم للمحاكمة العسكرية ولكن (بتصميم رزين) ليكن في علمك ، يا سيادة الجنرال ، أنى إذا قبضت على ذلك الفتى الذى تبدو عليه البراءة ، سأشوه لـه وسامته . المخاتل الكذاب ! سأجعله عبرة لمن يعتبر . سأ . .

نابليون : (يسير من المدفأة الى المائدة) من تعنى بالفتى الذى تبدو عليه البراءة ؟ تمالك نفسك ياسيدى وادل بأقوالك

الملازم : (يواجهه في جانب المائدة المقابل وهو يميل عليها بقبضتيه) انا في خير حال يا سيدى الجنرال : وأنا على أتم استعداد للادلاء باقوالى . سأجعل المحكمة

العسكرية تفهم تماما أن الخطأ لم يكن خطئي . لقد استغل بعضهم الجانب الطيب من طبيعتى ، وذلك شيء لا أخجل منه . ومهما يكن من احترامى لك يا سيدى الجنرال كقائد لى فانى اكرر ان عينى اذا وقعت على ذلك الشيطان ابن الشيطان . : .

نابليون : (بغضب) سبق أن قلت ذلك .

الملازم : (ينصب قامته) وانا اقوله مرة أخرى . انتظر فقط حتى اعثر عليه . انتظر فقط : هذا كل ما في الامر. (يطوى ذراعيه باصرار ويتنفس بشدة ، بشفتين مطبقتين) .

نابليون : انا منتظر يا سيدى منتظر شرحك .

الملازم : (باطمئنان) ستغير لهجتك يا سيدى الجنرال حين تسمع ما حدث لى .

نابليون : لم يحدث لك شيء يا سيدى : انت حى وليس بك عاهة . أين الاوراق التى عهد بها اليك ؟

الملازم : لم يحدث لى شيء ! حقا لقد عاهدنى على الاخوة الابديه ألم يكن هذا شيئا ؟ وقال ان عينى تذكرانه بعينى أخته . ألم يكن هذا شيئا ؟ وبكى — بكى بالفعل — عندما علم بقصة القطيعة بينى وبين انجليكا. ألم يكن هذا شيئا . ودفع ثمن زجاجتى نبيذ رغم انه لم يقرب غير الخبز والعنب . قد لا تعتبر انت هذا شيئا . واعطانى مسدسه وحصانه ورسائله الرسمية— رسائل على اكبر درجة من الاهمية — وتركنى

أبتعد بها . (منتصرا . وهو يرى انه قد أذهـــل نابليون ذهولا تاما) ألم يكن هذا شيئا ؟

نابليــون : (وقد أوهنته الدهشة) وما الذى جعله يفعل ذلك ؟

المــلازم : (كما لو كان السبب غنيا عن البيان) ليعرب لى طبعا عن ثقته في شخصى . (لا يمكن القول ان فك نابليون قد سقط من الدهشة ولكن مفصلات هذا الفـــك اصبحت بلا عصب يشدها) . وكنت انا جديـــرا بثقته فأعدتها كلها اليه بشرف . ولكن هل تتصور ؟ حين ائتمنته انا على مسدسى وعلى حصانى وعـــلى رسائلى الرسمية . .

نابليــون : وما الذى جعلك تفعل هذا بحق الشيطان ؟

المــلازم : قلت لك : لأعرب له عن ثقتى فيه . وقد خان هذه الثقة ! عبث بها ! ولم يعد ابدا ! اللص ! النصاب ! الوغد الزنيم . الغادر ، المجرد من الشعور ! لعلك لا ترى في ذلك شيئا . ولكن دعنى أقول لك ياسيادة الجنرال : (يلجأ من جديد الى المائدة بقبضتى يده زيادة في التأكيد) قد تستطيع انت ان تتحمل مثل هذه الاهانة من النمسويين . اما أنا ، أنا فلتعلم اننى اذا قبضت على . .

نابليــون : (يدور على عقبيه في غثيان ويستأنف غدوه ورواحه محنقا) نعم : قلت هذا من قبل اكثر من مرة .

المــلازم : (هائجا) اكثر من مرة ! سأقوله خمسين مرة . وأكثر من هذا سأنفذ ما أقول . اسمع يـــا سيادة

الجنرال . سأريه ثقتي فيه . اؤكد لك انى سأفعل .
سأ . .

نابليـــون : أجل ، أجل ، ياسيدى ستفعل بلا شك . اى نوع من الرجال هو ؟

المـــلازم : اعتقد انك لابد تستطيع من سلوكه ان تعرف اى نوع من الرجال هو .

نابليـــون : أف ! صفه لى . !

المـــلازم : أصفه ! هو يشبه . . على العموم كان يكفى ان ترى شكله : لو رأيته فسيعطيك هذا فكرة عن وصفه . ولن يكون بهذا الوصف بعد خمس دقائق من عثوري عليه . وخذها مني : اذا حدث و . .

نابليـــون : (يصيح ثائرا وهو ينادي صاحب الفندق) جوزبى ! (الى الملازم وقد نفد صبره تماما) أمسك عن الكلام يا سيدى ، ان استطعت .

المـــلازم : (متشكيا) احذرك أن من العبث ان تحاول القاء اللوم على . كيف كان يمكننى ان اعرف اى نوع من الرفاق هو ؟ (يأخذ كرسيا موضوعا بين الصوان والباب الخارجى ويضعه بجوار المائدة ويجلس عليه) . لو عرفت كم أنا جائع ومنهك القوى لراعيتنى اكثر .

جوزيـــبي : (يعود) أى خدمة ، ياصاحب العظمة ؟

نابليـــون : (يجاهد ليكظم غيظه) خذ هذا . . هذا الضابط . اطعمه ، وضعه في فراش اذا اقتضى الامر . وعندما يعود الى صوابه حاول ان تعرف ما الذي حدث له

واتئني بالحبر . (الى الملازم) اعتبر نفسك موقفا ايها السيد .

المــلازم : (بتصلب متجهم) كنت أتوقع ذلك . الجنتلمان لا يفهمه الا جنتلمان . (يلقى سيفه على المائدة).

جوزيـــبي : (بجذب مشفق) هل هاجمك النمسويون ايها السيد الملازم ؟ كان الله في عونك !

الملازم : (بازدراء) هاجمني — ! كان بوسعى ان أقصم ظهره بين سبابتي وابهامى . ليتني فعلت ذلك . كلا : الجانب الطيب من طبيعتى هو السبب : وهو الشيء الذى لا حيلة لى فيه . قال لى انه لم يقابل في حياته رجلا أحبه كما أحبني . وقد لف عنقى بمنديله لان بعوضة لدغتني وكان وشاحى قد قرح موضع اللدغة . انظر ! (يجذب المنديل من الوشاح . جوزيبي يأخذه ويفحصه) .

جوزيـــبي : (الى نابليون) هذا منديل امرأة ، يا صاحب العظمة. (يشمه) وهو معطر .

نابليـــون : ماذا تقول ؟ (يأخذه وينظر اليه بامعان) كـــذا ! (يشمه) فهمت ! (يسير متفكرا عبر الغرفة ، وهو ينظر الى المنديل ، وأخيرا يحشره في صـــدر سترته) .

المــلازم : منديل مناسب له على اى حال . وقد لاحظت ان له يدى امرأة حين مس عنقى بطريقته المعاتبة المتوددة. الكلب ، المخنث ، الخسيس ! (يخفض صوته

بتركيز مترتعش) ليكن في علمك يا سيادة الجنرال . اذا حدث و . .

صوت السيدة : (من الخارج ، بالطريقة السابقة) جوزيـــبي !

الملازم : (متحجرا) من صاحب هذا الصوت ؟

جوزيـــبي : سيدة في الطابق العلوى يا سيدى الملازم . انها تناديني .

الملازم : سيدة !

الصـــوت : جوزيـــبي ، جوزيـــبي ، أين انت ؟

الملازم : (بنبرة من تهيأ للقتل) اعطني ذلك السيف . (يختطف السيف ويسلّه) .

جوزيـــبي : (يندفع الى الامام ويقبض على ذراعه الايمن) ماذا جرى لعقلك ياسيدى الملازم ؟ انها سيدة : الـــم تسمعني ؟ هذا صوت سيدة .

الملازم : بل صوته ، اؤكد لك . دعني . (ينفلت ويندفع الى حافة الفراندة ويقف هناك منتضيـــا سيفه وهويرصد الباب كقطة ترصد جحر فأر) .

(يفتح الباب وتدخل السيدة الغريبة . هى سيدة طويلة القامة ، رشيقة بصورة غير عادية ذات وجه ترتسم فيه سمات دقيقة من الذكاء واللماحية ونظرة تساؤل : جبين تتجلى فيه مخايل الفطنة ، وانف تدل فتحتاه على الحساسية ، وذقن ينم عن شخصية قوية : ملامح كلها حادة وكريمة وأصيلة . غاية في الانوثة ولكنها ابعد ما تكون عن ضعف الانثى : قـــدها الاهيف يثبت في اطار قوى : اليدان والقدمان والعنق

والكتفان اعضاء قوية مفيدة ، مكتملة النمو بالقياس الى قامتها التى تفوق في الطول بشكل ظاهر قامة نابليون وصاحب الفندق ولا يتميز عليها الملازم . على ان اناقتها والجاذبية التى تشعها تكتمان سر حجمها وقوتها . وهي ، اذا حكمنا عليها من لبسها ، ليست من انصار أحدث « مودات » عصر « الديركتوار » ، او لعلها تستخدم ملابسها القديمة في السفر . وسواء كان الامر هذا او ذاك فهي لاترتدى جاكتة ذات شراشيب من النوع المهرج ، ولاثوبا يقلد الثياب الاغريقية القديمة ، ولا أى شيء تتردد أميرة لامبال (١) في ارتدائه . ثوبها الحريرى الذى نقشت عليه زهور ، ذو خصر طويل وثنية في الخلف من نوع الثنيات التى تظهر في لوحات الفنان« واتو » وان كان جزؤه الاسفل المنتفخ قد استبدلت به « جونلة » بسيطة تتناسب بدرجة أكبر مع طول صاحبته .وفتحة العنق في الثياب واسعة أضيف اليها « ايشارب » هفهاف وهي شقراء شعرها ذهبي داكن، وعيناها رماديتان . تدخل هذه السيدة بثبات المرأة التى ألفت مزايا الطبقة والحسن . صاحب الفندق، وهو رجل ذو شمائل ممتازة، يكن لها اعجابا كبيرا . اما نابليون ، فلا يكاد بصره يقع عليها حتى يتملكه الارتباك . يغمق لونه وتتصلب حركاته وتبدو وقد فقدت شيئا من حريتها.

(١) صديقة وفية للملكة مارى أنطوانيت زوجة الملك لويس السادس عشر .

تتقدم السيدة داخل الغرفة بخطوة تنطق بتربيتها العالية لتحييه واذا بالملازم ينقض عليها ويقبض على معصمها الايمن . ما أن تتعرف عليه حتى تشحب كالأموات ويتخذ وجهها تعبيرا لاتخطئه العين : تعبير من يكتشف بطريقة أبعد ما تكون عن توقعه انه أخطأ خطأ فيه حتفه. يهولها هذا الأكتشاف في غمرة طمأنينتها وأمنها وانتصارها . في اللحظة التالية تغشاها من تحت « الايشارب » الهفهاف موجة من اللون الغاضب تغرق محياها كله، ويستطيع اى انسان ان يدرك ان هذه الموجة قد غمرت جميع جسمها . حتى الملازم ، وهو عديم الملاحظة في الاحوال العادية ، يمكنه ان يرى الشيء اذا طلى له باللون الاحمر. يفسر تضرج لونها بانه اعتراف لا إرادى بالذنب من جانب الخديعة السوداء وهى تواجه ضحيتها ، ويخاطبها فى نعيق عال بصوت القصاص اذا ينتصر.)

الملازم : وقعت في يدى ايها الفتى . هكذا تتنكر في زى امرأة؟ (بصوت كالرعد وهو يترك معصمها) اخلع هذا الثوب .

جوزيبي : (محتجا) سيدى الملازم !

السيدة : (برهبة ولكن في شدة الاستياء لانه جرؤ على مسها) ايها السيدان : انا في عرضكما . (الى نابليون) انت ياسيدى ضابط : جنرال . وستتصدى لحمايتى . اليس كذلك ؟

الملازم : لا تسمع كلامه يا سيادة الجنرال . دعنى اتول امره.

نابليـــون : أمره ؟ أمر من ياسيدى ؟ لماذا تعامل هذه السيدة هذه المعاملـــة .

المـــلازم : السيدة ! هـــذا رجل ! الرجل الذى اوليتـــه ثقتى . (يرفع سيفه) سأريك ايها . .

السيـــدة : (تجرى خلف نابليون وتحتضن في خضم هلعهاالذراع التى يمدها امامها كدرع إلى صدرها شكرا لك ياسيادة الجنرال . كفه عنى .

نابليـــون : هراء ما تقوله ايها السيد . هى سيدة ما في ذلك شك (فجأة تترك ذراعه ويصعد الدم اليها من جديد) . وانت محبوس . ضع سيفك ايها السيد . فورا .

المـــلازم : سيدى الجنرال : صدقنى انه جاسوس نمسوى . لقد القى في روعى عصر هذا اليوم أنه أحد اركان حرب الجنرال ماسينا ، وها هو الآن يحاول ايهامك انـــه امرأة . ايجوز لى ام لا يجوز ان اصدق عينىّ ؟

السيـــدة : لابد يا سيادة الجنرال انه يعنى أخى . انه ملحق بهيئة اركان حرب الجنرال ماسينا . هو يشبهنى تماما .

الملازم : (عقله يتشتت) اتعنين انك غير أخيك وانك أختك؟ الأخت التى تشبهنى شبها عظيما ؟ والتى لها عيناى الزرقاوان الجميلتان ؟الزرقاوان الجميلتان ؟ هذا كذب : عيناك لاتشبهان عينىّ بل هما طبق الاصل من عينيك أنت .

نابليـــون : (يحاول ضبط اعصابه التى توشك على الافلات) ايها الملازم : اطع اوامرى وغادر هذه الغرفة مادمت قد اقتنعت أخيرا بأن هذه السيدة ليست رجلا .

الملازم : ليست رجلا ! لا أظن . ما من رجل يخون ثقة . .

نابليون : (وقد طفح كيله) كفى ياسيدى : سامع ؟ هل ستترك الغرفة ؟ أنا أمرتك بالانصراف .

السيدة : ارجوك ان تدعنى انا أذهب بدلا منه .

نابليون : (بلا مجاملة) معذرة ياسيدتى . مع كل احترامى لاخيك ، انا لا أفهم ما الذى يريده أحد ضباط هيئة اركان حرب الجنرال ما سينا من خطاباتى . لدى بضعة اسئلة أريد ان اوجهها اليك .

جوزيبي : (بكياسة) هيا بنا ياسيدي الملازم (يفتح الباب) .

الملازم : انا ذاهب . يا سيادة الجنرال : اعتبر بما حدث لى : حاذر من الجانب الطيب في طبيعتك (الى السيدة) سيدتى : اقدم لك اعتذارى . لقد ظننتك نفس الشخص ولكن من الجنس المضاد . وقد ضللنى ذلك بطبيعة الحال .

السيدة : (تسترد بشاشتها) ما كان لك في ذلك ذنب . شدما يسرنى انك لم تعد غاضبا علىّ ايها السيد الملازم (تمد له يدها) .

الملازم : (ينحنى بشهامة ليقبلها) سيدتى . لم يعد بى أقل . . (يراجع نفسه وهو يتطلع الى اليد) يدك هى يد أخيك . وفي اصبعك نفس خاتمه ! .

السيدة : (في عذوبة) نحن توأمان .

الملازم : هذا يفسر الموضوع . (يقبل يدها) . ألف معذرة . انا لم أكترث لمسألة الرسائل الرسمية : هذا موضوع

يهم سيادة الجنرال اكثر مما يهمني : الذى يهمني انا هو أن الجانب الطيب من طبيعتي قد أسيء استغلاله . (يأخذ قبعتــه وقفازه وسوطه من على المائــــدة ويتأهب للانصراف) . ارجو عدم المواخذة ياسيادة الجنرال على رحيلي . تفضل بقبــول اعتذارى . (يخرج من الغرفة وهو يتحدث . جوزيبي يتبعه ويغلق الباب) .

نابليــون : (يشيعهما ببصره ، بغيظ مركز) المغفل ! السيدة الغريبة تبتسم بعطف . يذرع الغرفة مقطبا حتى يصل إلى النقطة التي تقع بين المائدة والمدفأة وقد زايله ارتباكه الآن وقد خلا بها .

الســيدة : كيف اشكرك ، ياسيدى الجنرال ، على حمايتك ؟

نابليــون : (يلتفت اليها فجأة) رسائلي : الى بالرسائل ! (يمد يده لتضع فيها الرسائل) .

الســيدة : سيدى الجنرال ؟ (بحركة لا ارادية تضع يديها على « الايشارب » كما لو كانت تريد أن تحمي شيئا فيه) .

نابليــون : لقد احتلت على ذلك الاحمق واخذتها منه . وتنكرت في زى رجل . اريد رسائلي . هى هناك في صدر ثوبك ، تحت يديك .

الســيدة : (ترفع يديها من موضعهما) من القسوة ان تحدثني بهذا الشكل ! (تأخــذ منديلها من الايشارب) انت تفزعني . (تمس عينيها كمــالو كانت تريد تريد أن تمسح دمعة) .

نابليــون : من الواضح انك لا تعرفينني ، ياسيدتى ، وإلا لوفرت على نفسك مئونة تصنع البكـــاء .

السـيدة : (تبدو كأنها تبتسم من خلال دموعها) بل أعرفك . انت الجنرال المشهور بونابــرت .
(تنطق الاسم بلهجة ايطالية مشددة : بوو — نابار — تى) .

نابليــون : (بغضب وبالنطق الفرنسى) بونابرت ، ياسيدتى بونابرت . الاوراق ، من فضلك .

السـيدة : ولكنى أؤكد لك . . (يختطف المنديل بغلظة) .. سيدى الجنرال ! (باستنكار) .

نابليــون : (يخرج المنديل الآخر من صدره) لقد أعدت أحد منديليك لضابطى الملازم حين نصبت عليه .
(ينظر إلى المنديلين) . نفس المنديلين . (يشمهما ونفس الرائحة ، (يلقى بهما على المائدة) . أنا في انتظار رسائلى ، وسآخذها ، عند اللزوم ، بنفس البساطة التى أخذت بها المنديل .

السـيدة : (في تأنيب واستنكار) هل انت — ياسيدى الجنرال — من النوع الذى يهدد النساء ؟

نابليــون : (بلا مواربة) أجـل .

السـيدة : (وقد اهتزت ثقتها بنفسها تحاول كسب الوقت) ولكنى غير فاهمة . أنا . .

نابليــون : بل انت فاهمة تماما . لقد حضرت إلى هنا لأن سادتك النمسويين قدروا اننى على مبعدة

ستة فراسخ . أنا دائما أحل في حيث لا ينتظرنى أعدائى . لقد سرت بقدميك إلى عرين الأسد . والآن ! انت سيدة شجاعة ، فكونى سيدة عاقلة ليس عندى وقت أضيعه .
الأوراق . (يتقدم خطوة بهيئة تنذر بالسوء) .

السيدة : تنهار في غضبة الطفل الذى ضاقت به الحيل ، وترتمى وهى تبكى على الكرسى الذى تركه الملازم على كثب من المائدة) أنا شجاعة ! ما أقل ما تعرف ! لقد قضيت اليوم في احتضار من الذعر . أنا أشعر بألم هنا من توتر قلبي مع كل نظرة شك وكل حركة تهديد .
اتظن أن كل انسان له شجاعتك ؟ رباه . ما بالكم ايها الشجعان لا تعلمون الاعمال التى تقضى بها الشجاعة ؟ لماذا تلقونها على عاتقنا نحن الذين لا نملك من الشجاعة قيراطا ولا درهما ؟ ما أنا شجاعة : أنا انفر من العنف ، وأشعر بالتعاسة امام الخطر .

نابليون : (باهتمام) ما بالك اذن تلقين بنفسك في الخطر ؟

السيدة : لانه ما من سبيل آخر : أنا لا استطيع ان اثق بأحد. والآن لم يعد في شيء فائدة : كل هذا بسببك . انت الذى لا تعرف الخوف لانك عديم القلب ، عديم الشعور ، عديم . . (تقطع حديثها وترتمى على ركبتيها) اتوسل اليك يا سيدى الجنرال . دعني اذهب : دعني اذهب ولا توجه الىّ اسئلة . سترد اليك رسائلك وخطاباتك : اقسم لك .

نابليـــون : (يمد يده) نعم : انا في انتظارها .

(تلهث وقد ثبطت ملاحقته التى لا ترحم همتهـــا وجعلتها تفقد الامل في أن تلين قلبه بالملاطفة . تتطلع اليه في حيرة وتنقب في ذهنها عن وسيلة تتغلب بها عليه ولكنه يقابل نظرتّها دون ان يتزحزح :

الســـيدة : (تنهض اخيرا بزفرة قصيرة صامتة) سأحضرهـــا لك . انها في غرفتى . (تستدير ناحية الباب) .

نابليـــون : سأرافقك يا سيدتى .

الســـيدة : (ترفع قامتها في سمة نبيلة من الرقة الجريحـــة) لا يمكننى يا سيدى الجنرال ان اسمح لك بدخـــول مخدعـــى .

نابليـــون : فلتبقى هنا اذن ، يا سيدتى ، بينما اكلف من يبحث في مخدعك عن أوراقي .

الســـيدة : (تعدل عن خطتها بقلب حاقد) وفـّر تعبك . انها ليست هناك .

نابليـــون : كلا : سبق ان أخبرتك اين هى (يشير الى صدرها)

الســـيدة : (بضراعة محببة) سيدى الجنرال : خطاب واحـــد خاص قصير اريد ان احتفظ به . واحد فقط . تعطف عليّ بـــه .

نابليـــون : (ببرود وتجهم) هل هذا طلب معقول يا سيدتى ؟

الســـيدة : (متشجعة لانه لم يرفض طلبها صراحة) لا . ولهذا السبب فلابد أن تجيبه . هل كل طلباتك انتمعقولة؟ آلاف الارواح من أجل انتصاراتك واطماعـــك

ومصيرك ! ثم ان مطلبي شيء ما أتفهه . وما أنا الا امرأة ضعيفة ، اما أنت فرجل شجاع . (تتصفح وجهه بعينين يملأهما توسل رقيق وتكاد تركع امامه من جديد) .

نابليون : (منتهرا) قومي ، قومي (يتحول عنها عابسا ويقوم بجولة عبر الغرفة ثم يتوقف لحظة ليقول ملتفتا) ما تقولينه تخريف وانت تعلمين ذلك . (تجلس في خضوع على الاريكة . حين يستدير ويلمح يأسها يشعر بانه حقق انتصارا كاملا وان له الآن أن يتسلى باللعب برهة مع ضحيته . يرجع ويجلس جنبا الى جنب معها . يبدو عليها الانزعاج وتتزحزح مبتعدة عنه قليلا . ولكن شعاعا من الامل المنتعش يتألق في مقلتها . يبادرها كرجل يستطيب نادرة خفية) ومن ادراك انى رجل شجاع ؟

السيدة : (مندهشة) انت ! الجنرال بونابرت (بالنطق الايطالي) .

نابليون : نعم ، انا ، الجنرال بونابرت (يضغط على النطق الفرنسي)

السيدة : كيف يمكن آن تسأل مثل هذا السؤال ؟ أنت ! الذى وقفت منذ يومين فقط لدى القنطرة في « لودى » ورائحة الموت تملأ الجو ، تقاتل في تراشق بالمدافع عبر النهر ! (ترتعد) . انت تقوم باعمال شجاعة .

نابليون : وانت كذلك .

السيدة : أنا ؟ (بفكرة غريبة مفاجئة) اتراك جبانا ؟

نابليون : (يضحك بلا بشاشة ويضرب على ركبتيه) هذا السؤال الذى لا يجب ان توجهيه إلى جندى الجاويش يسأل عن طول المجند وعن سنه وعن نَفَسه وعن اطرافه ولكنه لا يسأل أبدا عن شجاعته.

السيدة : (كما لو كانت لا تعتبر ذلك مادة للضحك) تستطيع أن تسخر من الخوف . اذن فانت لا تعرف ماهو الخوف .

نابليون : أريد أن أسألك شيئا . هبي انه كان في امكانك أن تحصلي على ذلك الخطاب بالحضور إلى عبر تلك القنطرة في « لودى » أول من أمس ! هبي انه لم يكن هناك سبيل آخر ، وان هذا كان سبيلا مضمونا . . لو انك فقط نجوت من المدفع ! (ترتعد وتغطى عينيها هنيهة بيديها) . أكان يراودك خوف ؟

السيدة : خوف فظيع . خوف كالاحتضار . (تضغط على قلبها بيديها) أن مجرد التفكير في ذلك يوجعني .

نابليون : (لا يلين) هل كنت تحضرين في طلب الرسائل ؟

السيدة : (تغمرها صورة الفزع) لا تسلني كنت أحضر

نابليون : لمــه ؟

السيدة : للضرورة احكامها . لانه ما من سبيل آخر .

نابليون : (باقتناع) لان رغبتك في الحصول على الخطاب كانت قوية لدرجة تنسيك خوفك .

(ينهض فجأة ويتخذ هيئة خطابية مقصودة) شعور واحد يشترك فيه الناس جميعا : الخوف . ومن بين آلاف الصفات التي قد يتصف بها الانسان فان الصفة الوحيدة التي تجدينها مشتركة بين اصغر عازف للطبل في جيش وبيني هي قطعا . . الخوف . الخوف هو الذى يحفز الرجال على القتال : أما الذى يجعلهم يولون الادبار فهو عدم الاكتراث : الخوف هو عصب الحرب الاول . الخوف ! أنا أعرف الخوف معرفة خبير . أعرفه خيرا منك وخيرا من أى امرأة . ذات مرة شاهدت الرعاع في باريس يفتكون بفرقة من الجنود السويسريين الاشداء لانى خشيت التدخل : عندما تابعت هذا المنظر ببصرى شعرت بانى جبان من رأسى الى اخمص قدمى . ومنذ سبعة شهور انتقمت لعارى بان امطرت الرعـــاع بوابل من قذائف مدفعيتي . ما رأيك في هذا ؟ هل حال الخوف يوما بين أى رجل وبين شيء يريده حقيقة . . أو أى امرأة ؟ اطلاقا . تعالى معى وسأريك عشرين ألف جبان يقبلون أن يخاطروا يوميا بحياتهم في سبيل ثمن كأس براندى (١) وهل تظنين انه ليس في الجيش نساء اثبت جنانا من الرجال رغم ان حياتهن اثمن من حياتهم ؟ أنا لا يهمني خوفك أو شجاعتك . وإذا كنت قد أتيت الى في « لودى » لما شعرت بخوف : ما أن

(١) نوع من الخمـــور .

تبلغي القنطرة حتى يغيض كل شعور آخر امام ضرورة ... ضرورة . . شق طريقك الى والحصول على ما تريدين .

والآن ، هي انك فعلت كل هذا ! هي انك قد خرجت والخطاب في يدك وأنت تعلمين أن الساعة حين أزفت فان الخوف لم يجعل قلبك هو الذي يتوتر بل قبضتك على غرضك ! وانه لم يعد خوفا بل استحال إلى بأس شديد وقدرة على النفاذ وهمة وعزيمة كالحديد ! كيف تجيبين اذن لو سألك سائل عما إذا كنت جبانة ؟

السيدة : (تنهض) انت لعمرى بطل . بطل حقيقى .

نابليون : ما من شيء اسمه بطل حقيقى . (يحوم في الغرفة مستخفا بحماسها وان كان غير مستاء من نفسه بحال من الاحوال لانه أثاره) .

السيدة : بل هو شيء موجود . هناك فرق بين ما تسميه شجاعتى وبين شجاعتك . انت أردت أن تكسب معركة « لودى » لنفسك لا لأى شخص آخر . اليس كذلك ؟

نابليون : طبعا . (يستدرك فجأة) لا ، ابدا (يلم شتات نفسه باجلال ويقول ، كرجل يقود قداسا دينيا) ما أنا الا خادم لجمهورية فرنسا أترسم في تواضع خطى ابطال العصور القديمة الكلاسيكية. أنا اكسب المعارك من أجل الانسانية : اكسبها لبلدى لا لنفسى .

السيدة : (كاسفة البال) ما انت اذن في الواقع سوى بطل انثوى . (تعود إلى الجلوس وقد تبخر كل حماسها)

نابليون : (في شدة الدهشة) انثوى !

السيدة : (فاترة الهمة) أجل ، مثلى . (باكتئاب عميق) اتظن انى لو كنت لا أريد تلك الرسائل الا لنفسى كانت الشجاعة تواتيني للمغامرة من أجلها وسط المعركة ؟ كلا : لو كان هذا كل ما هنالك لما واتتني الشجاعة حتى لالتماس مقابلتك في الفندق الذى تقيم فيه .

شجاعتى ماهى الا عبودية : هى لا تجديني شيئا لاغراضي الخاصة . أنا لا أقدم على ما يفزعنى الا بدافع من الحب أو بدافع من الشفقة أو من الحرص على انقاذ شخص آخر وحمايته .

نابليون : (باحتقار) منهى التفاهة ! (يتحول عنها في استهانة) .

السيدة : ها انت ترى انني لست شجاعة حقا . (يعاودها فتور همتها) ولكن بأى حق تحتقرنى إذا كنت حين تكسب المعارك لاتكسبها الا لاجل الآخرين لبلدك ! وبدافع من وطنيتك : هذا هو ما اسميه أنا بالانثوية : ولا يفعل هذا الا فرنسى !

نابليون : (هائجا) انا لست فرنسيا .

السيدة : (ببراءة) حسبت انك قلت انك كسبت معركة « لودى » من أجل بلدك يا سيدى الجنرال بو . هل انطق اسمك بالايطالية ام بالفرنسية ؟

نابليــون : أنت يا سيدتى تحملين صبرى فوق ما يطيق . انا من رعايا فرنسا بالميلاد ولكنى لست من مواليد فرنسا .

السـيدة : (تتظاهر بأن اهتمامها بشخصه قد زاد كثيرا) أنت فيما أظن ، لم تولد من الرعايا اطلاقا .

نابليــون : (في غاية السرور) هه ؟ ماذا ؟ هذا رأيك ؟

السـيدة : أنا واثقة مما أقــول .

نابليــون : ربما كنت على حــق . (رضاه عن نفســه ، الذى تنطوى عليه هذه الموافقة يقرع سمعه . يمسك عــن الكلام ويحمرّ وجهه . يبادر فيتخذ هيئة مهيبة تماثل هيئة ابطال العصور القديمة الكلاسيكية ويعطى لكلامه نبرة اخلاقية سامية) . ولكننا ـ أيتها الصغــيرة ـ لا ينبغى ان نعيش لا نفسنا وحسب . تذكرى دائما وابدا أننا يجب أن نفكر في غيرنا آناء الليل واطراف النهار ، وأن نعمل من أجل الآخرين ، ونقودهــم ونحكمهم لمصلحتهم هم . التضحية بالذات هــى اساس كل خلق كريم .

السـيدة : (تعود الى الاسترخاء بزفرة) يستطيع المرء ان يرى بسهولة انك لم تحاول ذلك قط يا سيادة الجنرال .

نابليــون : (مستنكرا وقد نسى كل ما يتعلق ببروتــوس (١) وسيبيو(٢) ما الذى تعنينه بهذا القول يا سيدتى ؟

---

(١) بروتوس أحد قضاة روما عاش فى القرن الأول قبل الميلاد واشترك فى قتل يوليوس قيصر لاستبداده وهو معروف بالتاريخ بأنه جمهورى متطرف يضحى بكل شىء ـ حتى بحياته ـ فى سبيل مبادئه .

(٢) سيبيو بطل رومانى عاش فى القرن الثانى قبل الميلاد . وهزم هينبال وقرطاجة .

السـيدة : اما لاحظت ان الناس تهول دائما من شأن ما يعوزها؟ الفقراء يظنون انه لا ينقصهم سوى الثروة ليكونو ا في غاية السعادة والطيبة . وما من شخص الاويقدس الصدق والنقاء والايثار لنفس السبب : لان الناس لم يخبروها . آه لو كانوا يعلمون .

نابليـون : (بتصميم غاضب) لو كانوا يعلمون ! خبريني من فضلك . وأنت . هل تعلمين ؟

السـيدة : أجل ، فقد كان من سوء حظي ان أولد طيبة القلب. (ترفع نظرها اليه لحظة) واؤكد لك يا سـيدى الجنرال ان هذا من سوء الحظ . انا حقيقة اتصـف بالصدق والايثار وباقي هذه الصفات . ولكنها ليست في الواقع الا جبنا وضعف شخصية وعجزا عـن تحقيق الانسان لذاته وعن الشعور بذلك شعورا حقيقيا وقويا وايجابيا .

نابليـون : ماذا ؟ (يلتفت اليها بسرعة بومضة من الاهتمـام الشديد) .

السـيدة : (بحرارة وحماسها يتصاعد) ما سر قوتك ؟ مجرد أنك تؤمن بنفسك . انت تستطيع ان تقاتل وانتقوم بفتوح لنفسك لا لأحـد آخر . وأنت لا تخـاف مصيرك . انت تعلمنا ما يمكن ان نكونه كلنـا اذا أوتينا ارادتك واقدامك . ولهذا السبب (تركـع فجأة على ركبتيها امامه) بدأنا نعبدك . (تقبـل يديـه) .

نابليـون : (محرجـا) العفو ، العفو . انهضى ، ارجـوك ، يا سـيدتى .

السـيدة : لاترفض هذا الاجلال من جانبي : انـه حقك . ستكون امبراطورا على فرنسا .

نابليـون : (فورا) حذار . خيانة !

السـيدة : (في اصرار) نعم . امبراطورا على فرنسا ثم عـلى اوروبا وربما على العالم . وما أنا الا أول شخص من رعاياك يقسم لك يمين الطاعة والولاء . (تقبل يـده ثانية) يا جلالة الامبراطور !

نابليـون : (مغلوبا وهو يرفعها) أرجوك ، ارجوك . لا . لا . هذا جنون . هيا : خلّ عنك ! خل عنك ! (يربت عليها) هكذا أحسن ، هكذا أحسن ! يا فتاتى .

السـيدة : (تغالب دموعا سعيدة) أجل . انا أعلم ان من التطفل ان أخبرك بما لابد أنك تعرفه خيرا منى بمراحـل . ولكنى أرجو الا تكون غاضبا على .

نابليـون : غاضبا ! لا ، لا . البتة ، البتة . هيا : انت امـرأة غاية في الحصافة ورقة الشعور وطلاوة الحديـث . (يربت على خدها) . هل نعقد عهدا للصداقة بيننا؟

السـيدة : (وقد استخفها الجـذل) واكون صديقة لك ! ستسمح لى بان اكون صديقتك ! وافرحتاه ! (تمد كلتا يديها بابتسامة مشرقة) . انظر : ها أنا أعرب لك عن ثقتى فيك .

(هذا الصدى الغافل لقصة الملازم يهدم ما بنتـه .

نابليون يجفل . عيناه يتطاير منهما الشرر : تصـــدر منه زعقة غضب مدوية) .

نابليـــون : ماذا ! ! !

الســـيدة : ماذا جـــرى ؟

نابليـــون : تعربين لى عن ثقتك فيّ ! لكي أعرب بدورى عـــن ثقتي فيك بتركك تغافليني وتهربين بالرسائل . اليس كذلك . آه يا دليله (١) . كنت تجربين أحابيـــلك فيّ وانخدعت انا بالبساطة التي انخدع بها ضابطـــى الحمار . (مهددا) الىّ بالرسائل . بسرعة : لـــن اتركك تهزئين بى الآن .

الســـيدة : (تعدو خلف الاريكة) سيادة الجنرال . .

نابليـــون : قلت لك ، بسرعة . (يهرع الى منتصف الغرفـــة ويقطع عليها الطريق وهى تتجه شطر الكرمة) .

الســـيدة : (وقد أرغمت على المواجهة تترك لغضبها العنـــان) كيف تجسر على مخاطبتى بتلك اللهجة ؟

نابليـــون : أجسر ؟

الســـيدة : أجل تجسر . من أنت حتى تأذن لنفسك بمخاطبـــتى بهذه الوقاحة . ما أسهل ما تغلبك طبيعة المغامـــر الكورسيكى الوضيعة السافلة .

نابليـــون : (وقد جن جنونه) ليتها الشيطانة اللعينة . (بضراوة للمرة الاخيرة هات تلك الأوراق والا انتزعتها منك . . بالقوة !

---

(١) المرأة التي أسلمت شمشون لأعدائه بعد أن قصت شعره الذى كانت تكمن فيه قوته.

السـيدة : انتزعتها مني : بالقوة .

(ينظر اليها كنمر على وشك الوثوب وإذا بها تشبك ذراعيها متقاطعين عـلى صدرها في شكل صليب وفي هيئة كهيئة الشهيدة . الحركة والموقف الذى اتخذته يوقظان غريزته المسرحية على الفور : ينسى غضبه امام رغبته في أن يثبت لها انه لا يقل عنها قدرة على التمثيل ايضا . يتركنها برهة نهبة القلق ثم يطلق اساريره فجأة . يضع يديه خلف ظهره ببرود استفزازى ويتنشق قليلا من السعوط . يمسح اصبعيه بعناية ويضع منديله في جيبه . هيئتها البطولية المضحكة تصبح مضحكة أكثر مع مرور الوقت .)

نابليـون : (اخيرا) وبعد ؟

السـيدة : (تضرب اخماسا في اسداس وذراعاها لايزالان متقاطعين في هيئة تبتل) ماذا تراك فاعل ؟

نابليـون : أفسد روعة وقفتك الدرامية .

السـيدة : أيها المتوحش ! (تتخلى عن وقفتها المسرحية وتسير حتى طرف الاريكة ثم تستدير وتعيرها ظهرها . تميل عليها وتواجهه ويداها وراء ظهرها) .

نابليـون : هذا أفضل . والآن اسمعى . أنا استلطفك . وأكثر من هذا فانى اقدر احترامك .

السـيدة : انت إذن تقرر مالا تملك .

نابليـون : سأملكه فورا . والآن انتبهى إلى ما أقول . هبى انى تركت نفسى تتأثر بما ينبغى لبنات جنسك من

احترام وبحسنك وبطولتك إلى آخر هذا الكلام ! هبي انه ما من شيء سوى هذا الهراء العاطفي يقف بين هذه العضلات ، عضلاتي ، وبين تلك الأوراق التي في حوزتك والتي اريدها وانوى أخذها ! هبي انني ، والغنيمة في متناول قبضتي ، تخاذلت وانصرفت خالي الوفاض أو — اسوأ من هذا — انني سترت ضعفي بتمثيل دور البطـــل الهمام ولم اعاملك بقسوة كنت لا أجد في نفسي الجرأة على استخدامها ! ألن تكون نتيجة ذلك ان تحتقريني من اعماق روحك النسائية ؟ هل هناك امرأة تبلغ هذه الدرجة من الحمق ؟ أقول لك الحق : بونابرت يستطيع أن يرتفع إلى مستوى الموقف ويتصرف عند اللزوم كما تتصرف المرأة . هل فهمت ؟

(سيدة تنصب عودها دون أن تنبس بكلمة وتخرج رزمة أوراق من صدرها .
تعصف بها ، مدى لحظة ، رغبة جامحة في أن تقذف بها في وجهه ، ولكن تربيتها العالية تحول بينها وبين أي تنفيس غير كريم عما يجيش في صدرها . تسلمه الأوراق بادب مكتفية بالاعراض عنه بوجهها . ما ان يتناول الاوراق حتى تنطلق مسرعة إلى الجانب الآخر من الغرفة . تجلس وتداري وجهها بيديها .)

نابليـــون : (يتأمل الاوراق بشعور من الارتياح الظافر) حسنا . حسنا . (قبل أن يفضها يحدجها بنظرة وهو يقول) عن اذنك . (يرى انها تخفي وجهها) . حاقدة.

عليّ ، أليس كذلك ؟ (يفك الرزمة التى كان ختمها مكسوراً ويضعها على المائدة ليفحص محتوياتها) .

السـيدة : (بهدوء ، تخفض يديها لتريه أنها لاتبكى وانما فقط تفكر) لا . انت على حق . ولكنى أشعر بالأسف من أجلك .

نابليـون : (يتوقف وهو يلتقط الورقة المستقرة بأعلى الرزمة) تشعرين بالأسف من أجلى . وما الداعى ؟

السـيدة : سأراك وانت تفقد شرفك .

نابليـون : أليس هناك أسوأ من هذا ؟ (يأخذ الورقة)

السـيدة : وسعادتك .

نابليـون : سعادتى ! ليس في هذه الدنيا شيء يسبب لى من الضجر ما تسببه السعادة . هل كان من الممكن أن أصل إلى ما وصلت اليه لو انني تعلقت باهداب السعادة ؟ هل لديك شيء آخر ؟

السـيدة : لا .

نابليـون : عظيم .

السـيدة : اللهم الا انك ستظهر أمام فرنسا بمظهر الرجل الاحمق .

نابليـون : (مبتدرا) ماذا تقولين ؟ (اليد التى تفض الورقة تتوقف بطريقة لا ارادية . السيدة ترميه بنظرة لا تفصح عن معناها ، في صمت لا يعكره شيء) . ما : ما قصدك ؟ هه ؟ حيلة أخرى من حيلك ؟ اتظنين

انى اجهل ما تحتويه هذه الاوراق ؟ سأقول لك . أولا افادة لى بشأن تقهقر « بوليو » شيئان لا ثالث لهما يستطيع أن يفعلهما . . هذا المغفل الذى لم يؤت مخا ولكن كتلة من الجلد . . أما ان يسد على نفسه المنافذ في « مانتوا » أو أن يخرق حياد « البندقية » بالاستيلاء على « بسكييرا » انت احدى جواسيس هذا القائد الذى يفكر بكتلة من الجلد في رأسه : لقد اكتشف انه كان ضحية لخيانة فأرسلك لتتسقطى الاخبار لعل وعسى . كما لو كان ذلك يمكن أن ينقذه من براثنى . الاحمق العجوز ! أما باقي الأوراق فما هي سوى خطاباتى الخاصة الواردة من باريس والتى لا تعلمين عنها شيئا .

السيدة : (على الفور وبلهجة رجال الاعمال) سيدى الجنرال : لنجرى قسمة عادلة . خذ المعلومات التى بعث بها جواسيسك بشأن الجيش النمسوى وأعطنى خطابات باريس . حسبي ذلك .

نابليون : (وقد انبهرت أنفاسه لما في هذا العرض من برود قسمة عا . . (يلهث) يبدو لى ، ياسيدتى ، انك اصبحت تعتبرين خطاباتى مملوكة لك ملكية خاصة وانني أحاول سرقتها منك .

السيدة : (بحرارة) لا : اقسم بشرفي انى لا اطلب شيئا من خطاباتك : أنا لا أطلب الاطلاع على كلمة موجهة منك أو اليك . هذه الرزمة فيها خطاب مسروق : خطاب كتبته امرأة لرجل : لرجل غير زوجها : خطاب يحمل بين طياته العار والفضيحة ..

نابليــون : خطاب غرامى ؟

السـيدة : (بين المرارة والحلاوة) وهل يثير مثل هذه الحفيظة غير خطاب غرامى ؟

نابليــون : وما السر في موافاتى به؟لوضع الزوج تحت رحمتى؟

السـيدة : لا ، ابدا : هذا الخطاب لن يفيدك في شىء . اقسم لك انك لن تخسر شيئا باعطائه لى . لقد ارسل لك من باب النكاية ليس الا : ارسل لك بغرض واحد هو الاساءة إلى المرأة التى سطرته .

نابليــون : لماذا اذن يرسل إلىّ لا الى الزوج ؟

السـيدة : (تباغت تماما بهذا السؤال) ويحى ! (تغوص ثانية في الكرسى) أنا لا . . لا أدرى .
(تنهار) .

نابليــون : ها ، ها ! لم يغب ذلك عنى : قصة صغيرة من تأليفك لاستعادة الأوراق . صدقينى ، أنا لا يسعنى الا ان اشعر نحوك بالاكبار . بودى لو أن لى مثل هذه القدرة على اختلاق الاكاذيب ، اذن لوفرت علىّ تعبا كثيرا .

السـيدة : (تعتصر يديها المتشابكتين) كم كان بودى أن أكون فعلا قد كذبت عليك ! إذن لصدقتنى . الصدق هو الشىء الوحيد الذى لا يقبل تصديقه احد .

نابليــون : (بمباسطة وقحة . يعاملها كما لو كانت احدى بائعات الاطعمة والمشروبات في معسكر من معسكرات الجيش) رائع ! رائع ! (يضع يديه

خلف ظهره على المائدة ويرفع نفسه عليهما ويجلس ويداه على خاصرته وساقاه منفرجتان بزاوية عريضة) دعك من هذا: أنا كورسيكى قح في ولعى بالقصص ولكنى استطيع أن احكيها احسن منك لو اننى وطدت نيتى على ذلك . المرة التالية التى تسألين فيها لماذا لا يرسل الخطاب الذى فيه تشهير بالزوجة إلى زوجها اجيبى ببساطة : لان الزوج لن يقرأه . هل تتصورين ، أيتها الساذجة ، أن رجلا من الرجال يهمه أن يجد نفسه مضطرا تحت ضغط الرأى العام إلى أن يقيم الدنيا ويقعدها ، وأن يدخل في مبارزة، وأن يخرب بيته ويسىء إلى مستقبله باثارة فضيحة ، إذا استطاع ان يتفادى كل ذلك بالحرص على أن يظل جاهلا بكل شيء .

السيدة : (متمردة) هب أن في تلك الرزمة خطابا عن زوجتك انت ؟

نابليون : (يقوم باستياء من على المائدة) هذه ، ياسيدتى ، وقاحة منك .

السيدة : (بذلّة) لا تؤاخذنى . زوجة قيصر فوق الشبهات .

نابليون : (يتكلف هيئة استعلاء) هذا حشر لنفسك فيما لا يعنيك . لقد صفحت عنك وأرجو ، في المستقبل ، الا تقحمى اشخاصا حقيقيين فيما تؤلفين من روايات .

السيدة : (تتجاهل بأدب كلاما لا يعدو في نظرها ان يكون خرقا لما تقضى به قواعد اللياقة) سيدى الجنرال :

هناك فعلا ، في هذه الاوراق ، خطاب من امرأة .
(تشير الى محتويات الرزمة) اعطني هذا الخطاب .

نابليــون : (بلجاجة خالية من الرقة) لمــه ؟

السيــدة : صاحبته صديقة قديمة لى : كنا معا في المدرسة . وقد كتبت تتوسل الىّ ان امنع هذا الخطاب من الوقوع بين يديك .

نابليــون : ولماذا ارسل الىّ .

السيــدة : لان فيه تشهيرا بسمعة « باراس » عضو حكومــة الدير كتوار .

نابليــون : (يقطب جبينه وقد بدا عليه بوضوح انه بهت) باراس ! ! (بعظمة) خل بالك يا سيدتى . باراس عضو الدير كتوار صديق شخصى حميم لى .

السيــدة : (تطرق رابطة الجأش) أجل . اصبحتما صديقين عن طريق زوجتك .

نابليــون : من جديد ! ألم أنهك عن التحدث عن زوجتى ؟ (يظل بصرها شاخصا اليه في فضول دون ان تلقى بالا لتعنيفه . يضطرم غيظه اكثر وأكثر . يتخلى عن تعاليه الذى يضيق هو نفسه به ذرعا الى حدمــــا ويسألها في توجس وهو يخفض صوته) من هــذه المرأة التى تعطفين عليها بهذه الدرجة من العمق ؟

السـيدة : أنا لست في حل يا سيدى الجنرال من اجابتك على هذا السؤال .

نابليــون : (محتدا وقد بدأ يذرع الغرفة من جديد في بلبلة حانقة)

أجل .ساندن بعضكن . كلكن ايتها النسوة ، سواء .

السيـــدة : (بأنفة) نحن لسنا سواء اكثر منكم . اتظن انى أنا اذا احببت رجلا آخر اتظاهر بانى مازلت متعلقة بحب زوجي او اخشى اطلاعه هو او العالم اجمع على الحقيقة ؟ ولكن هذه المرأة تختلف عن ذلك . هى تتحكم في الرجال بخداعهم وهم يرحبون بـــذلك ويسلمون لها قيادهم . (تعيره ظهرها بامتهان)

نابليـــون : (لايعنى بها) باراس ؟ باراس ؟ (بلهجة تهديدية شديدة ووجه مكفهر) حذار .

حذار : سامعة ؟ قد يودى بك ذلك في داهية .

السيـــدة : (تدير وجهها اليه ببراءة) ماذا حدث ؟

نابليـــون : ما الذى ترمين اليه ؟ من هذه المرأة ؟

السيـــدة : (تقابـــل نظرته الغضبى الفاحصة بعدم احتفال وهى تجلس رافعة اليه بصرها) مخلوقة مغرورة غبية متبرجة ، زوجها رجل على قدر كبير من الكفاءة والطموح . وهو يعرفها ظهرا لبطن : يعرف انها كذبت عليه فيما يتعلق بسنها وبدخلها وبمركزها الاجتماعـى وفيما يتعلق بكل ما تكذب النساء الغبيات في شأنه : ويعرف انها عاجزة عن الوفاء لمبـــدأ من المبادئ او لشخص من الاشخاص . ومع ذلك فهو لايستطيع ان يمنع نفسه من حبها . . لايستطيع ان يمنع طبيعة الرجل فيه من استخدامها للتزلف الى باراس .

نابليـــون : (في همسة خافتة وسورة غضب بـــارد) . هذه

طريقتك ايتها الهرّة في الانتقام منى لانى اجبرتك على اعطائى تلك الاوراق .

السيـــدة : هراء ! ام تراك تعنى انك هذا الصنف من الرجال .

نابليـــون : (مستشاطا من الغضب ، يشبك يديه خلف ظهره ، واصابعه ترتعش . يهتف وهو يبتعد عنها في عصبية صوب المدفأة) هـــذه المرأة ستدفعنى الى الجنون (اليهـــا) اذهبي من هنا .

السيـــدة : (لاتتحرك في جلستها) لن اذهب من غير ذلك الخطاب .

نابليـــون : قلت لك اذهبي . (يسير من المدفأة الى الكرمة ثم يقفل راجعا الى المائدة) . مالك عندى خطابات . انا انفر منك . انت امرأة بغيضة ، بشاعتك مـــن بشاعـــة الشيطان . انا لا أقبـــل ازعاجا مـــن نساء هوبيات . اغربى عن وجهى . (يدير ظهره اليها . تميل بخدها على يدها في لهو هادئ وتضحك منه . يستدير ثانية متكهما عليها بغضب) ها ! ها ! ها ! ما الذى يضحكك ؟

السيـــدة : انت ياسيدى الجنرال . كثيرا ما رأيت اشخاصا من بنى جنسك يتصرفون كالاطفـــال حين يشعرون بالاهانة . ولكن لم يسبق لى قط ان رأيت رجـــلا عظيما حقا يفعل ذلك .

نابليون : (بغلظة ، يقذف الكلمات في وجهها) رياء في رياء ! رياء سمج دنىء !

السيــدة : (تهب واقفة ووجنتاها تتوردان بلون كالوهج) لله ما افظعك ! احتفظ بخطاباتك . واقرأ فيها قصة عارك . عارك انت . هنيئا لك . وداعا . (تمضي ساخطة في اتجاه الباب الداخلي) .

نابليــون : عاري أنا . . ! مكانك . ارجعي . ارجعي بالامر . (لا تعبأ بما في لهجته الآمرة من شراسة وتواصل في كبرياء طريقها الى الباب . يندفع نحوها . يقبض على ساعدها ويجررها الى مكانها الاول) . ما الذي تريدينه بهذا القول . فسري كلامك . فسريه والا . .

(متوعدا . تنظر اليه بتحد صامد) ايتها الشيطانة

العنيدة . (يرمي ذراعها) فيم امتناعك عن اجابـة سؤال مهذب ؟

السيــدة : (تحس باساءة بالغة لعنفه) وفيم سؤالك لي ؟ لديك التفسير .

نابليــون : أيــن ؟

السيــدة : (تشير الى الخطابات على المائدة) هناك . ما عليك الا أن تقرأه .

(يختطف الرزمة . يتردد . ينظر اليها بارتياب ثم يلقيها من يده ثانية .)

نابليــون : يبدو انك نسيت اشفاقك على شرف صديقتك القديمة

السيــدة : لا أظنها الآن تجتاز أى خطر . هى لا تفهم زوجها الفهم الصحيح .

نابليـــون : اذن فلأقرأ الخطاب ؟ (يمد يده كما لو كان يهم بالتقاط الرزمة ثانية وعينه عليها) .

السـيدة : لست أرى مناصا لك من ذلك الآن: (يسحب يده في الحال) . لا . لا تخف. ستجد فيه عديدا من الاشياء الطريفة .

نابليـــون : مثلا ؟

السـيدة : مثلا ، مبارزة مع باراس ، ومشهد عائلي ، وخراب بيت ، وفضيحة علنية ، ومستقبل مشكوك فيه . أشياء من كل نوع وصنف .

نابليـــون : حسنا (يرمقها) . يأخذ الرزمة وينظر اليها . يزم شفتيه ويزنها في يده يمد بصره ثانية إلى الشبرة . ينقل الرزمة إلى يسراه ويضعها خلف ظهره . يرفع يمناه ليحك مؤخرة رأسه وهو يبستدير ويمضى إلى حافة الكرمة حيث يقف لحظة ويسرح بنظره في الكروم مستغرقا في التفكير . السيدة ترقبه في صمت بشيء من الاستخفاف. يدور على عقبيه فجأة ويعود ادراجه بقوة عارمة وتصميم (. طلبك مجاب ياسيدتى . شجاعتك واصرارك يستحقان النجاح . خذى الخطابات التى ناضلت من أجلها خير نضال . وتذكرى من الآن فصاعدا انك وجدت المغامر الكورسيكى الجلف الذميم انسانا كرمه نحوالمهزومين بعد المعركة لا يقل عن قوة شكيمته في وجه العدو قبلها . (يقدم اليها الرزمة).

السـيدة : (ترميه بنظرة قاسية دون أن تتناولها) ترى ما الذى

تهدف اليه الآن ؟ انى اتساءل (يقذف بالرزمة هائجا ، على الأرض) اظننى افسدت هذه الهيئة المسرحية . (تركع امامه ركعة خفيفة في تهكم) .

نابليـــون : (ينتشل الرزمة ثانية) خذى الخطابات وأرحلى (يتقدم ويمدها اليها) .

الســيدة : (تراوغه حول المائـــدة) لا : لا حاجة بى إلى خطاباتك .

نابليـــون منذ عشر دقائق ما كنت ترضين بها بديلا .

الســيدة : (حريصة على أن تظل المائدة بينهما) منذ عشر دقائق لم تكن قد اهنتنى اهانة لا يحتملها انسان .

نابليـــون : أنا . . (يبتلع ضغينته) أنا آسف .

الســيدة : (ببرود) متشكرة . (بأدب اضطرارى يقدم اليها الرزمة عبر المائدة . تتقهقر خطوة بعيدا عن متناول يده وتقول) ولكن ألا تريد أن تعرف ما إذا كان النمسويون في « مانتوا » أو في « بسكييرا » ؟

نابليـــون : سبق أن اخبرتك ، ياسيدتى ، ان لدى القدرة على هزيمة اعدائى دون استعانة بجواسيس.

الســيدة : والخطاب ! ؟ أما بك رغبة في الاطلاع عليه ؟

نابليـــون : أنت قلت انه غير موجه الى ، وليس من عادتى أن اطلع على خطابات غيرى . (يقدم لها الرزمة من جديد) .

الســيدة : في هذه الحالة ليس ثمة ما يمنع أن تحتفظ به . كل ما أردته أنا هو أن امنعك من قراءته . (ببشاشة) .

أرجو لك يوما طيبا ياسيدى الجنرال . (تتحول ببرود تجاه الباب الداخلى) .

نابليــون : (يقذف الرزمة بغضب على الاريكة) امنحينى الصبر ايتها السماء !) يمضى بعزم إلى الباب ويضع نفسه امامه) . أما لديك أى أحساس بالخطر الذى تتعرضين له ؟ أم أنك من صنف النساء اللاتى يستطبن الضرب والتعذيب .

السـيدة : شكرا لك ياسيدى الجنرال : لا شك انها لذة تشتهيها النفس . ولكننى افضل أن تعفينى منها . ما أريده ببساطة هو أن اعود الى بلدى . هذا كل ما هنالك . لقد أثمت فسرقت رسائلك ، ولكنها عادت اليك ، وقد غفرت لى ، لانك (تردد في رقة وقع كلماته الخطابى) انسان كرمــه نحو المهزومين بعد المعركة لا يقل عن قوة شكيمته في وجه الاعداء قبلها . الا تريد أن تصافحنى مودعا ؟ (تمد اليه يدها في دمائه) .

نابليــون : (يرفض الدعوة بحركة مــن الغضب المــا ويفتح الباب ليزعق بوحشية) جوزيبى ! (بصوت أعلى نبرة) جوزيبى ! (يصفق الباب ، ويخطو إلى منتصف الغرفة . السيدة تسير مسافة قصيرة في الكرمة لتتفاداه) .

جوزيــبى : (يظهر لدى الباب) ناديتنى عظمتك ؟

نابليــون : أين ذلك الاحمق ؟

جوزيبي : تناول غداء طيبا كأوامر عظمتك وهو الآن يشرفني بالمقامرة معي لقتل الوقت .

نابليون : ابعث به الى . احضره إلى هنا . وتعال معه (جوزيبي بنفس الاستعداد ، يسرع خارجا . نابليون باقتضاب إلى السيدة قائلا) أنا مضطر إلى ازعاجك بالبقاء هنيهة اخرى ياسيدتي . (يذهب إلى الأريكة) .

(تأتي من الكرمة على طول الجانب المقابل من الغرفة حتى تبلغ الصوان ، تقف هناك وتميل على الخزانة وهي تلاحظه . يأخذ الرزمة من على الاريكة ويضعها بعناية وبحركات متعمدة في جيب سترته وهو ينظر إلى السيدة بتعبير من يريد أن يقول انها لن تلبث أن تكتشف معنى هذه الحركات وانها لن تسر لهـذا المعنى . يسود الصمت بينهما إلى أن يصل الملازم وفي اثره جوزيبي الذى يقف في احترام تحت الطلب لدى المائدة . الملازم ، بدون قبعة ولا سيف ولا قفاز ، وقد حسنت الوجبة مزاجه وحالته المعنوية كثيرا ، يختار الجانب الذى تقف فيه السيدة وينتظر على راحة أن يبدأ نابليون الحديث) .

نابليون : سيادة الملازم .

الملازم : (مشجعا) سيادة الجنرال .

نابليون : لم افلح في اقناع هذه السيدة باعطائي كثيرا من المعلومات . ولكن الذى لاشك فيه ان ذلك الرجل الذى احتال عليك واخذ مافي عهدتك كان ـ كما اعترفت لك ـ اخاها .

الملازم : (ظافرا) ألم اقل لك ياسيدى الجنرال ! ألم اقل لك !

نابليـــون : عليك أن تجد ذلك الرجل . هذه مسألة يتعلق بهـــا شرفك .ان مصير الحملة ، ومصير فرنسا ، وأوروبا بل ربما مصير الانسانية ، قد يتوقف على المعلومات التى تتضمنها تلك الرسائل .

المـــلازم : نعم . وأنا أظن انها فعلا رسائل خطيرة الشأن (كما لو كان هذا لم يخطر له من قبل) .

نابليـــون : (بحزم وعزم) خطيرة لدرجة انك ، اذا لم تستردها ، ستعزل من درجتك العسكرية في حضور آلايك .

المـــلازم : الى هذا الحد ! ثق ان فرقتك لن تسرّ لذلك .

نابليـــون : انا شخصيا آسف من أجلك . ولو ان المسألة في يدى لاسدلت عليها ستار الكتمان . ولكنى سأحاسب لانى لم اتبع ما ورد بتلك الرسائل من تعليمات ،وسيكون من واجبى ان اثبت للعالم اجمع انى لم اتلقها عـــلى الاطلاق وذلك مهما كانت النتائج بالنسبة لك .أنـــا آسف ولكنك ترى انه لاحول لى ولاطول في هذا الموضوع .

المـــلازم : (بسماحة نفس) هون عليك ياسيدى الجنرال : هذه في الحقيقة منتهى الطيبة من جانبك . لايهمك ما يحدث لى : سأخرج من هذا المأزق بطريقة أو بأخرى. وسنهزم النمسويين لاجل خاطرك ، بالرسائل او من دونها . ولكنى ارجو الا تصر على قيامى بالبحث عن صاحبنا الآن عبثا فليس لدى اى فكرة عن المكان الذى يجب ان ابحث عنه فيه .

جوزيـــبى : (باجلال) أنسيت ياسيادة الملازم : ان فرسك معه

المـــلازم : (ينتشر) نسيت . (بتصميم) سأذهـــب في أثره يا سيدى الجنرال : سأعثر على ذلك الفرس . اذا كان حيا ، في اى مكان في ايطاليا . ولن انسى الرسائل : اطمئن . جوزيبي : اذهب واسرج واحدا مـــن خيلك الجرباء العجوزة التى تستخدم في نقل البريد بينما اذهب انا واحضر قبعتى العسكرية وسيفى وحوائجى . الى الامام « مارش » بالخطوة السريعة . انطلق (يستحثه) .

جـــوزيبى : حالا ، يا سيادة الملازم ، حالا (يختفى في الكرمة حيث يتخضب ضوء الشمس الآن بحمرة الاصيل) .

المـــلازم : (ينظر حواليه في طريقه الى الباب الداخلى) وعلى فكرة ، ياسيادة الجنرال . ترى هل سلمت سيفى لسيادتك ام لم اسلمه ؟ (١) آه . تذكرت (مرتبكا) كله بسبب وضع رجل في الحبس وكل هذه الخزعبلات الانسان لا يعرف ابدا اين يجد . . (يخرج من الغرفة وهو يحدث نفسه) .

السيـــدة : (لا تزال لدى الصوان) ماذا يعنى كل هذا ياسيادة الجنرال ؟

نابليـــون : لن يوفق في العثور على أخيك .

السيـــدة : بالطبع لا . ليس لمثل هذا الشخص وجود .

نابليـــون : وستكون الرسائل قد ضاعت بصفة نهائية .

---

(١) تقضى التقاليد العسكرية بأن يسلم الجندى الذى يصدر أمر بحبسه ، سلاحه إلى رئيسه قبل أن يذهب إلى الحبس .

السيـــدة : هراء ! انها داخل سترتك .

نابليـــون : سيكون من الصعب عليك – فيما يلـــوح لى – ان تثبّى مثل هذه الدعوى الطائشة . (تنتقض السيدة . يضيف بتوكيد حاسم) تلك الاوراق مفقودة .

السيـــدة : (بلهفة ، تتقدم من ركن المائدة) ويضيع هبـــاء مستقبل ذلك الشاب السيّىء الحظ ؟

نابليـــون : مستقبله ! هذا الفتى لا يستحق ثمن البارود الذى يتكلفه اعدامه رميا بالرصاص . (يستدير باحتقار ويمضى الى المدفأة ويقف عندها وظهره الى السيدة).

السيـــدة : (بكآبة) أنت شديد القسوة . ما الرجال والنساء عندك الا ادوات تستخدمها لاغراضك ، حتى اذا كان في ذلك تحطيمهم .

نابليـــون : (يلتفت اليها) اينا حطم هذا الفتى ؟ أنا أم أنت ؟ من الذى احتال عليه وسلبه الرسائل ؟ هل فكرت وقتها في مستقبله ؟

السيـــدة : (تشعر بتبكيت الضمير) ابدا ! لم يخطر لى على بال. كان ذلك عملا شريرا من جانبي ، ولكن لم تكن لى فيه حيلة كيف كان يمكنني بغير ذلك ان أحصل على تلك الاوراق ؟ (بضراعة) سيدى الجنرال : ارجوك ان تنقذه من العار .

نابليـــون : (يضحك بمرارة) انقذيه انت ، ما دمت بارعة الى هذا الحد : انت التى قضت عليه . (بعنـــف وحشى) انا امقت الجندى الردىء .

(يخرج وقد حزم أمره على شيء ، عبر الكرمة . تتبعه بضع خطوات ببادرة استعطاف ولكن عودة الملازم تقطع عليها مناشدتها . الملازم يرتدى قفازه وقبعته العسكرية وسيفه وهو جاهز للخروج . اثناء عبوره الغرفة الى الباب الخارجى تقطع عليه السبيل)

السيــدة : سيادة المــلازم .

المــلازم : (شاعرا باهميته) لا تعطلينى ، ارجوك . الواجب ، يا سيدتى ، الواجب .

السيــدة : (بتوسل) قــل لى ياسيدى . مــاذا ستصنع لاخى المسكين ؟

المــلازم : هل تحبينــــه كثيرا ؟

السيــدة : سأموت كمدا اذا اصابه شيء. ارجوك الا تمسه بسوء، (الملازم يهز رأسه متكدرا) . أجل . أجل . حرام عليلــك ان تقتلــه . انصت الىّ . اذا ارشدتك الى مكانه . . اذا تعهدت لك بأن أسوقه اليك كسجين لتسلمه انت للجنرال بونابرت . . هل تعدنى وعد شرف كضابط وكجنتلمان الا تشتبك معه في قتال او تغلظ عليه في المعاملة بصورة من الصور ؟

المــلازم : ولكن هبى انه هاجمنى . ان مسدسى معه .

السيــدة : هو أجبن من ذلك .

المــلازم : انا لست متأكدا تماما من هذا . هو قادر على اى شيء.

السيــدة : اذا هاجمك او قاومك باى صورة ، فانى احلّك من وعدك :

الملازم : ما قصدت أن أعد بشيء . اسمعي : أنت وهو في الشر سواء . هذا استغلال منك للجانب الطيب من طبيعتي . وماذا عن فرسي ؟

السيدة : مما تقضي به الصفقة ان تسترد فرسك ومسدسك .

الملازم : كلام شرف ؟

السيدة : كلام شرف . (تمد يدها) .

الملازم : (يأخذها ويبقيها في يده) اتفقنا : سأكون معه في وداعة الحمل. واخته آية في الجمال. (يحاول تقبيلها).

السيدة : (تنفلت مبتعدة عنه) أيها السيد الملازم! لقد نسيت . المسألة يتوقف عليها مستقبلك . .ومصير أوروبا . . والانسانية .

الملازم : دعيني من مصير الانسانية ! (يتجه نحوها) قبلة واحدة .

السيدة : (تتراجع حول المائدة) استرد اولا شرفك كضابط. وتذكر انك لم تقبض بعد على اخي .

الملازم : (باغراء) اخبريني ، ارجوك ، أين هو ؟

السيدة : يكفي ان ارسل اليه اشارة ، وسيكون هنا خلال ربع ساعة .

الملازم : اذن فهو ليس بعيدا .

السيدة : لا : هو قريب جدا . انتظره هنا : وحين يتلقى رسالتي فسيحضر الى هنا في الحال ويضع نفسه طوع امرك . فهمت ؟

الملازم : (بارهاق ذهني) المسألة في الحقيقة معقدة الى حدما ، ولكني اظن ان الامور ستسير على ما يرام .

السيـــدة : والآن ، وحتى ذلك الوقت ، الا تظن من المستحسن ان تعقد اتفاقا مع الجنرال ؟

الملازم : اسمعى : هذا الموضوع يزداد تعقيدا بشكل مخيف: اى اتفاق ؟

السيـــدة : اجعله يعدك بانك اذا قبضت على اخى فسيعتبر انك قد أبرأت ذمتك كجندى . وهو على استعداد للوعد باى شيء في مقابل هذا الشرط .

الملازم : فكرة لا بأس بها . شكرا لك : اظن انني سأجربها .

السيـــدة : افعل . وهناك مسألة يجب ان تأخذها قبل كل شيء في اعتبارك :. لاتجعله يلمس مقدار براعتك .

الملازم : فهمت . لئلا يغار منى .

السيـــدة : لاتقل له الا انك مصمم على القاء القبض على أخى او الهلاك من دونه . هو لن يصدقك ، ثم اذا بك تقدم أخى . .

الملازم : (يستوقفها وقد فهم التدبير) واشمت فيه ! يالك من امرأة داهية (يصيح) جوزيبى !

السيـــدة : صه ! ولا كلمة عنى لجوزيبى . (تضع اصبعها على شفتيها . يفعل مثلها . ينظر كل منهما الى الآخر محذرا ثم تبتسم له ابتسامة ساحرة وتحول حركـــة اصبعها الى قبلة ترسلها له ثم تعود خارجة من الباب الداخلى . الملازم ، كمن مس تيارا كهربيا ينفجر في سلسلة من الضحكات المكتومة المتتابعة .

(جوزيبى يعود من الباب الخارجى)

جوزيـــبي : الحصان جاهز ياسيدى الملازم .

المـــلازم : لم تأت بعد ساعة ذهابي . رح للجنرال وقل له انى اريد ان أحدثه .

جوزيـــبي : هذا لايصح ابدا ياسيادة الملازم .

المـــلازم : ولمــــــه ؟

جوزيـــبي : في هذا العام الشرير من الجائز ان يرسل جنرال في طلب ملازم ، اما الملازم فلا يحق له ان يرسل في طلب جنرال .

المـــلازم : رأيك اذن ان هذا قد لا يروق له . ربما كنت على حق : يجب الا تفوتنا مثل هذه الامور الآن وقد اصبحنا جمهورية .

(نابليون يعود الى الظهور قادما من الكرمة وهو يشبك ازرار صدر سترته . وجهه شاحب وقـــــد استبدت به افكار طاحنة .)

جوزيـــبي : (غير متنبه الى اقتراب نابليون) بالضبط ،ياسيدى الملازم ، بالضبط . انتم كلكم الآن في فرنسا اشبه باصحاب الفنادق . يجب ان تراعوا آداب الحديث مع الجميع .

نابليـــون : (يضع يده على كتف جوزيبي) وفي هذا اطاحة بكل مالآداب الحديث من قيمة . هذا قصدك ؟

المـــلازم : الرجل الذى كنت أريده ! انظر ياسيادة الجنرال : افرض انى قبضت لك على ذلك الفتى !

نابليـــون : (بصرامة ساخرة) لن تقبض عليه ياصاحبي .

الملازم : هذا ظنك . ولكنك سترى . قليلا من الصبر . ولكن اذا قبضت عليه وسلمته لك ، هل تعتبر الموضوع منتهيا ؟ هل تعدل عما قلته بشأن عزلي من رتبتي العسكرية امام فرقتي ؟

أنا شخصيا لا يهمني ، ولكن ما من فرقة تحب أن تسخر منها باقي الفرق .

نابليون : (وشعاع بارد من الفكاهة ينفذ وانيا من خلال وجومه) ماذا نفعل بهذا الضابط يا جوزيبي ؟ كل كلامه خطأ .

جوزيبي : (على الفور) اجعله جنرالا يا صاحب العظمة ويصبح كل كلامه صوابا .

الملازم : (مجلجلا) هو — هو ! (يلقى بنفسه في حالة شبه هستيرية على الأريكة ليضحك للنكتة ملء جنبيه) .

نابليون : (يضحك ويقرص اذن جوزيبي (أنت مُهْمَل هذا الفندق يا جوزيبي . (يجلس ويجعل جوزيبي يقف امامه كمدرس وتلميذ (هل آخذك معى واصنع منك رجلا ؟

جوزيبي : (يهز رأسه بسرعة عدة مرات) لا لا لا لا لا لا لا لا طول عمرى والناس تريد أن تصنع منى رجلا . عندما كنت صبيا اراد قسيسنا الطيب أن يصنع منى رجلا بتعليمى القراءة والكتابة . ثم أراد عازف الارغن في « مليجنانو » أن يصنع منى رجلا بتعليمى قراءة النوتة الموسيقية . وكان جاويش التجنيد يريد أن يصنع منى رجلا لو كنت اطول مما انـا

ببضع بوصات . ولكن هذا كان معناه دائما انني يجب أن أعمل . وأنا ، شكرا للسماء ، كسول ، وكسلي يمنعني من ذلك ! لذا فقد علمت نفسي الطهي واصبحت صاحب فندق . وعندي الآن خدم يقومون بالعمل . أما أنا فليس لدي ما أتولاه بنفسي سوى الكلام وهو شيء يناسبني تماما .

نابليون : (ينظر اليه بتفكر) هل انت راض ؟

جوزيبي : (باقتناع مبتهج) كل الرضا يا صاحب العظمة .

نابليون : وليس في داخلك شيطان مفترس عليك أن تطعمه بالجهد والانتصار ليل نهار إلى درجة الاكتظاظ : شيطان يجعلك تدفع بعرق ذهنك وجسمك اسابيع من العمل الهرقلي (١) ثمنا لعشر دقائق من المتعة : شيطان هو في وقت واحد عبدلك وطاغية يستبد بك ؟ هو عبقريتك وهو حتفك : شيطان يأتيك بالتاج في يد وبمجداف عبيد السفينة في اليد الأخرى : شيطان يطلعك على كل ممالك الأرض ويعرض عليك أن يجعلك سيدا عليها بشرط أن تصبح خادما لها ! أليس فيك شيء من هذا ؟

جوزيبي : لا شيء منه البتة . وأنا أؤكد لك ، ياصاحب العظمة ، أن شيطاني المفترس اسوأ من ذلك بكثير . هو لا يعرض علي تيجانا ولا ممالك ، ويتوقع أن يحصل على كل شيء مقابل لا شيء .

---

(١) هرقل نصف اله من آلهة الرومان مشهور بالقوة الخارقة وتروى عنه أساطير عديدة في ذلك .

السجق ! والعجة ! والعنب ! والجبن ! والعصيدة والنبيذ ! ثلاث مرات في اليوم ياصاحب العظمة : وهو لا يرضى باقل من ذلك .

الملازم : حسبك ياجوزيبي : انت تجعلني أحس بالجوع من جديد .

(جوزيبي ، بهزة اعتذار من كتفه ، يسحب نفسه من الحديث) .

نابليون : (ينبرى للملازم بتأدب ساخر) أرجو الا أكون أنا قد جعلتك تحس بالطموح .

الملازم : مطلقا : أنا لا أحلق في اجواز الفضاء العالية . وفضلا عن ذلك فأنا أسعد حالا بوضعى الراهن : الرجال من امثالى مطلوبون في الجيش في الآونة الحاضرة الثورة ، في الحقيقة ، كانت بالنسبة للمدنيين شيئا عظيما . ولكنها لن تنجح في الجيش . انت ياسيادة الجنرال تعرف الجنود : هم يفضلون أن يكون ضباطهم من ابناء الاسر .

والضابط الصغير لابد أن يكون « جنتلمانا » لشدة اختلاطه بالرجال . أما الجنرال ، أو حتى الكولونيل فليس ما يمنع أن يكون من الحثالة مادام يفهم شغله بما فيه الكفاية . الملازم جنتلمان : أما الباقي فكله مسألة حظ ! ولكى اثبت لك ذلك فانى اسألك : من في رأيك هو الذى كسب معركة لودى ؟ سلنى أنا : الذى كسبها هو فرسى .

نابليون : (ينهض) هوسك يشطح بك بعيدا ياسيدى . فتح عينك .

الملازم : مطلقا . اتذكر تبادل اطلاق نيران المدفعية الحمراء عبر النهر : النمسويون يقصفون مواقعك ليمنعوك من العبور ، وانت تقصف مواقعهم لتمنعهم من اشعال النار في القنطرة ؟

ألم تلاحظ اين كنت أنا عندئذ؟

نابليون : آسف . كان لدى ما يشغلني فيما أحسب .

جوزيبي : (بفورة اعجاب) يقولون انك ياسيادة الجنرال قفزت من صهوة جوادك واشتغلت بيديك في اطلاق المدافع الكبيرة .

الملازم : هذه كانت غلطة ؛ : الضابط لا يجب أن ينزل ابدا إلى مستوى رجاله . (نابليون ينظر اليه نظرة تحمل نذيرا لخطر ويشرع في السير كالنمر غدوا ورواحا) . ولولا اننا نحن سلاح الفرسان قد عثرنا على موضع من النهر يمكن خوضه وعبرنا إلى الضفة الاخرى وجعلنا « يوليو » العجوز يدير لك جناحه لكنت لا تزال حتى هذه الساعة تقصف مواقع النمسويين . انت سيد من يعلم انك لم تجروء على اصدار الأمر بمهاجمة القنطرة الا بعد أن رأيتنا في الضفة الاخرى وبناء عليه فانا أقول ان الذى كسب معركة لودى هو ذلك الذي وجد موضع النهر الذي يمكن العبور منه . وسؤالى هو : من وجد ذلك الموضع ؟ أنا كنت أول من عبر النهر وأنا اعرف الرد : فرسى هو الذي وجده . (باقتناع ، وهو ينهض من الاريكة) ذلك الفرس هو قاهر النمسويين الحقيقى .

نابليـــون : (في شدة الغضب) أيها المغفل : سأجعلك تعدم رميا بالرصاص لانك اضعت تلك الرسائل : سأجعلك تطلق من فوهة مدفع : لا شيء اقل من هذا يمكن أن يؤثر فيك .

(يصرخ فيه بصوت كالنباح) سامع؟ فاهم ؟

المـــلازم : (لا تهتز) إذا لم اقبض عليه ، ياسيدى الجنرال . تذكر إذا .

نابليـــون : إذا ! أيها الحمار : ليس هناك مثل هذا الرجل .

الضـــابط : (يخطو بينهما فجأة ويتحدث بصوت هو — دون أن يكون ثمة مجال لخطأ — صوت السيدة الغريبة) سيدى الملازم : أنا أسيرك . (تسلمه سيفها) .

(نابليون يحملق فيها لحظة كالمصعوق، ثم يمسكها من معصمها ويجرها بخشونة اليه وهو ينظر اليها بامعان مكشرا عن أنيابه ليتأكد من شخصيتها فقد بدأ الظلام الآن يخيم مع دخول الليل وحل ضوء الكواكب الرقراق محل الوهج الاحمر في أعلى الكرمة) .

نابليـــون : اللعنة ! (يطوح يدها بعيدا بصيحة تقزز ويوليهما ظهره وقد وضع يده في صدره .

(حاجبه يتدلى واصابع قدميه . ترتعش)

المـــلازم : (بلهجة انتصار وهو ياخذ السيف) ليس هناك مثل هذا الرجل ! اليس كذلك ياسيادة الجنرال ؟

(الى السيدة) على فكرة : أين فرسى ؟

السيدة : في الحفظ والصون ، في بورجيتو . وهو في انتظارك ، ياسيدى الملازم .

نابليون : (يستدير اليهما) اين الرسائل ؟

السيدة : اتحداك أن تخمن . إذا كان في العالم مكان لا يحتمل أن تكون فيه ، فهى في ذلك المكان . هل قابل احدكم اختى هنا ؟

الملازم : أجل . سيدة لطيفة جدا . انها تشبهك بطريقة لها العجب . ولكنها بالطبع تفوقك حسنا .

السيدة : (بتكتم) اتدرى انها تمارس السحر ؟

جوزيبي : (مرتاعا ، يرسم علامة الصليب على صدره) لا ، لا ، لا . العبث بمثل هذه الامور ليس مأمون العواقب . أنا لا استطيع أن أقبل هذا في بيتى ، ياصاحب العظمة .

الملازم : نعم . دعك من هذا الكلام . انت اسيرى . وأنا بالطبع لا أصدق شيئا من هذه الترهات . ومع ذلك فان هذا الموضوع ليس مما يحتمل المزاح.

السيدة : ولكنني جاد . جاد للغاية . لقد سحرت اختى سيادة الجنرال . (جوزيبي والملازم يرتدان عن نابليون) . سيدى الجنرال : افتح سترتك : ستجد الرسائل في صدرها .

(تضع يدها في لمح البصر على صدره) . أجل : ها هى ذى : انا احس بها . مـا رأيك ؟ (نتصفح وجهـه بتعبير تختلط فيـه المعاتبة بالسخرية) . اتأذن لى ياسيدى الجنرال ؟ (تأخذ أحد الازرار

كما لو كانت تريد أن تفك ازار السترة وتنتظر الاذن) .

نابليـــون : (جامد الوجه) إذا واتتك الجرأة .

الســيدة : شكرا لك . (تفتح السترة وتخرج الرسائل) هذه هى ! (إلى جوزيبى وهى تريه الرسائل) انظر !

جوزيـــبي : (يفر إلى الباب الخارجى) لا ، بحق السماء ! هى رسائل مسحورة !

السيـــدة : (تلتفت الى الملازم) هاهى ذى ، ياسيادة الملازم : إنها لا تفزعك .

المـــلازم : (يتراجع) لاتقترب . (يمسك مقبض السيف) . قلت لاتقترب .

السيـــدة : (الى نابليون) هى ملكك ياسيدى الجنرال . خذها .

جوزيـــبي : لاتمسها يا صاحب العظمة . لا تجعل لنفسك فيهـــا شأنا من الشئون .

المـــلازم : حذار ياسيدى الجنرال : حاذر .

جوزيـــبي : احرقها . واحرقها . واحرق الساحرة معها .

السيـــدة : (الى نابليون) هل احرقها ؟

نابليـــون : (متفكرا) أجل . احرقها . جوزيبى : رح وائت بالنـــار .

جوزيـــبي : (يفأفئ مرتعد الاوصال) تعنى بمفردى ؟ في الظلام؟ وساحرة في البيت ؟

نابليـــون : ايها الجبان الرعديد . (الى الملازم) اذهب انت لو سمحت ، ياحضرة الملازم .

المـــلازم : (محتجا) لا ، ياسيادة الجنرال ! لا . اسمع . ما من احد يستطيع ان يرميني بالجبن بعدما كان مني في معركة « لودى » . اما ان تطلب مني الذهاب وحدى في هذه العتمة دون شمعة بعد مثل هــذا الحديث الشنيع ، فشيء كثير ، ما رأيك في أن تقوم انت نفسك بهذه المهمة ؟

نابليـــون : (بعصبية) انت ممتنع عن اطاعة أمرى ؟

المـــلازم : (باصرار) فعـــلا . لانه امر غير معقول . ولكني سأقول لك ماذا سأفعل . اذاذهب جوزيبي سأذهب معه وأحرسه .

نابليـــون : (الى جوزيبي) تفضل ! الديك حجة بعد هذا ؟ اغربا عن وجهى . .

جوزيـــبي : (بمسكنة وشفتاه ترتجفان) سم . . سمعا وطاعة ، يا صاحب العظمة . (ينصرف على كره منه في اتجاه الباب الداخلى) . لتحرسني السماء ! (الى الملازم) تفضل يا سيادة الملازم .

المـــلازم : بل تفضل انت أولا : انا لا أعرف الطريق .

جوزيـــبي : لايمكن ان تضل عنه . كذلك (يضع يده بضراعة على كمه) فما انا الا صاحب فندق مسكين . اما انت « فابن ذوات » .

المـــلازم : قول لايخلو من صواب . خذ : المسألة لاتستحق منك كل هذا الخوف . امسك ذراعى . (جوزيبي يفعل ذلك) . هذا هو الطريق . (يخرجان وكل منهما يتأبط ذراع الآخر) .

(الدنيا الآن ليل تضيئه النجوم . السيدة تلقى الرزمة على المائدة وتجلس على الاريكة في وضع مريح تستمتع فيه بشعور التحرر من حبكة ثوبها النسائى.)

السيـــدة : هه ياسيادة الجنرال : لقد انتصرت عليك .

نابليـــون : (وهو يتجول في الغرفة) وارتكبت جريمة في حق الاصول : وفي حق الانوثة . أهذا ثوب مناسب ؟

السيـــدة : إنه مثل ثوبك

نابليـــون : هراء ! أنا أخجل من أجلك .

السيـــدة : (ببراءة) نعم : ما أسهل الخجل عند العسكريين . (يزمجر ويعرض عنها . ترمقه بشقاوة وهى تهز الرسائل في يدها) . اما بك رغبة ياسيدى الجنرال في قراءة هذه الرسائل قبل أن تحرق ؟ لابد أنك تذوب من الفضول . الق عليها نظرة . (تطرح الرزمة على المائدة وتحول عنها وجهها) . لن انظر اليك .

نابليـــون : مابى أقل فضول ياسيدتى . اما وانت تتحرقين شوقا للاطلاع عليها فانى اصرح لك بذلك .

السيـــدة : ابدا . سبق لى قراءتها .

نابليـــون : (كالملدوغ) ماذا ؟

السيـــدة : كانت قراءتها اول شيء فعلته بعد أن فررت على فرس ذلك الملازم المسكين . وهكذا ترى انى على علم بما فيها بينما تجهله أنت .

نابليــون : العفو : أنا قرأتها حين كنت هناك في الكرمة منذ عشر دقائق .

السيــدة : لا ! (تقفز) ياسيدى الجنرال : ارجع وأقول انى . في الحقيقة ، لم انتصر عليك . شدما أنا معجبة بك . (يضحك ويربت على وجنتها) . دعنى هذه المرة ، بحق وصدق ، ودون غش ولا رياء ، أقــدم لك فروض الطاعة والولاء (تقبل يده) .

نابليــون : (يسحبها بسرعة) لا ! ارجعى عن هــذا . كفانا سحرا .

السيــدة : لدى كلمة بودى ان اقولها لك . ولكنك ستسيء فهمها

نابليــون : وهل في ذلك ما يمنعك ؟

السيــدة : المسألة على أى حال هى هذا : أنا أحب الى درجة العبادة رجلا لا يتورع عن أن يكون حقيرا وأنانيا .

نابليــون : (باستنكار) ما أنا حقير ولا أنانى .

السيــدة : انت لاتقدر نفسك حق قدرها . ثم انى لا اعنى الحقارة والانانية حقيقة .

نابليــون : اشكرك . خيل الىّ انك ربما تعنين ذلك .

السيــدة : بالطبع انا اعنيه . ولكن الذى اعنيه نوع من الغفلة القوية تتصف به .

نابليــون : هذا احسن .

السيــدة : انت لم تشأ أن تقرأ الخطابات ولكنك كنت متشوقا للوقوف على ماتحتويه . ومن هنا ذهبت الى الحديقة وقرأتها بعيدا عن الاعين ، ثم عدت وتظاهرت بانك

لم تفعل . هذه احقر فعله تصدر من رجل . ماقابلت قط رجلا يقدم على مثلها .ولكنهـا كانت تحقق غرضك تماما . ومن ثم لم يصدك عن فعلها خوف ولا حياء .

نابليون : (على حين غفلة) من أين لك كل هذا التعفف السوقي وهذا (بتوكيد مبين) الضمير الحى ؟ كنت أحسبك سيدة راقية : ارستقراطية . قولى لى من فضلك : هل كان جدك صاحب حانوت ؟

السيدة : كلا ، بل كان انجليزيا .

نابليون : هذا يفسر الموضوع . الانجليز أمة من اصحاب الحوانيث . الآن فهمت لم هزمتنى .

السيدة : حاشا لله . أنا لم اهزمك ، كما انني لست انجليزية .

نابليون : بل انت كذلك : انجليزية « من فوقك لتحتك » . اعيريني سمعك : : سأصف لك الانجليز .

السيدة : (مشرئبة) تفضل . (تجلس على الاريكة بحيوية من يتأهب لتناول وجبة دهنية دسمة وتستعد للاستماع اليه . هو بدوره يشحذ قواه لاداء الدور وقد اطمأن إلى جمهوره .

يتردى قليلا قبل أن يبدأ وذلك لكى يركز اهتمامها بلحظة انتظار . اسلوبه في البداية مصبوب في قالب أسلوب « تالما » في مسرحية « سينا » لكورنى (١) . ولكن هذا الاسلوب يتبدد بعض الشئ في

(١) رائد المسرح التراجيدى الفرنسي (١٦٠٦ – ١٦٨٤)

ظلام الليل ولا يلبث « تالما » ان يترك مكانه لنابليون صوته ينبعث من ثنايا الحلكة بعمق يبعث القشعريرة)

نابليـــون : هناك ثلاثة انواع من الناس في العالم : السفلة ، وأهل الوسط ، والاشراف . السفلة والاشراف يشتركون في شيء واحد هو انعدام الضمير والاخلاق . سفالة السفلة تجعلهم تحت الاخلاق وشرف الاشراف يجعلهم فوق الاخلاق . وأنا لا أرهب هؤلاء ولا هؤلاء . ذلك أن السفلة عديمو الضمير بلا معرفة ، ولذا فهم يصنعون مني وثنا . أما الأشراف فعديمو الضمير بلا عزم ، ولذا فجباههم تعنو لارادتي . وهأنذا أقولها لك : سأشق طريقي في دهماء كافة شعوب أوروبا وفي بلاط كافة ملوكها كما يشق المحراث تربة الحقل . أهل الوسط هم موطن الخطر : فهم يملكون المعرفة والعزيمة معا ، ولكن لهم كما لغيرهم نقطة ضعف هي تلك الوساوس التي تأخذ بخناقهم : اخلاقياتهم وحرص الواحد منهم على أن يكون محترما تكبل ايديهم وأرجلهم بالسلاسل .

الســيدة : اذن ستغلب الانجليز ، فكل اصحاب الحوانيت من أهل الوسط .

نابليـــون : كلا ، لأن الانجليز جنس قائم بذاته . ليس بين الانجليز من تبلغ سفالته درجة انعدام الضمير وليس بينهم من يبلغ شرفه درجة التحرر من سلطانه . ولكن الانجليزى — أى انجليزى يولد بمقدرة في منتهى العجب تجعله يسود العالم . انه إذا اراد شيئا

لا يقول لنفسه ابدا انه يريده . ولكنه ينتظر في صبر ان يهبط عليه، بطريقة لا يتصورها احد، اقتناع تام بان واجبه الاخلاقي والديني يقتضيه أن يقهر أولئك الذين يملكون مايريد، حينئذٍ يصبح انسانا تستحيل مقاومته . انه ، شأن الارستقراطي ، يفعل ما يرضيه ويغتصب ما يشتهيه : هو ، شأن صاحب الحانوت ، يحاول التوصل إلى تحقيق غرضه بمثابرة واخلاص ينبعان من يقينه الديني القوى ومن احساسه العميق بالمسئولية الأدبية . وهو لا يعجز قط عن الظهور بمظهر أخلاقي . وهو بوصفه نصيرا عظيما لمبادئ الحرية والاستقلال القومي يخضع ويضم لنفسه نصف الكرة الأرضية ويسمى ذلك استعمارا . وهو حين يريد أن يفتح سوقا جديدة لبضائعه الفاسدة ، المصنوعة في مانشستر ، يرسل أحد المبشرين ليعلم أهل البلد انجيل السلام . ويقتل أهل البلد المبشر واذابه ينتضي السلاح دفاعا عن المسيحية . هو يقاتل باسمها ، ويغزو باسمها ، ثم يستولى على السوق كمكافأة جادت بها السماء ، وهو ، لكي يدافع عن شواطئ الجزيرة البريطانية ، يضع قسيسا على ظهر احد سفنه الحربية ، ويدق بالمسمار على أعلى صواريها علما عليه صليب ، ثم يبحر إلى اقصى اطراف المعمورة ، ويغرق ويدمر كل من ينازعـــه امبراطورية البحار . وهو يفخر بان أى عبد من العبيد يصبح انسانا حرا في اللحظة التى تطفأ فيها قدمه أرض بريطانيا ، ويبيع في الوقت

ذاته اطفال فقرائه في سن السادسة ليعملوا بالسوط في مصانعه ست عشرة ساعة في اليوم . هو يقوم بثورتين في تاريخه ثم يعلن على ثورتنا الحرب باسم القانون والنظام . انت لن تجدى عملا فائق الشر أو فائق الخـــير الا ويعملـــه الانجليز ، ولكنك لن تجدى قط انجليزيا على خطأ . هو يستند في كل اعماله إلى مبدأ . يحاربك استنادا إلى المبادئ الوطنية ويسرقلك استنادا إلى مبادئ الاعمال والتجارة . ويستعبدك استنادا إلى المبادئ الامبراطوريـــة . ويستأسد عليك استنادا إلى مبادئ الرجولة . ويناصر ملكه استنادا إلى مبادئ الولاء ويقطع رأس ملكه استنادا إلى المبادئ الجمهورية .

شعاره دائما هو الواجب ، وهو لا ينسى ابدا أن الأمة التي تدع واجبها يعمل ضد مصالحها أمة ضائعة . هو . .

السـيدة : حسبك ، حسبك . لحظة . خذ نفسك . ما أريد أن أعرفه هو كيف تعتبرنى انجليزية على هذا الاساس .

نابليـون : (يتخلى عن اسلوبه الخطابى) المسألة في غاية الوضوح . كنت تريدين خطابات تخصنى . وقد امضيت الصباح في سرقتها : أجل سرقتها . سطوت عليها كسطو قطاع الطرق . ثم امضيت فترة العصر في اقناعى بانى كنت مخطئا فيما يتعلق بها : في ادعاء انى أنا الذى كنت أريد سرقة خطاباتك : في

شرح أن كل ما حدث انما حدث بسبب حقارتى وأنانيتى ، وطيبة قلبك ، وتفانيك ، وانكار ذاتك هذا شأن الانجليز .

السيـــدة : كلام فارغ ! أنا على ثقة من أن طبعى ليس فيه ذرة من طبع الانجليز . الانجليز قوم في منتهى الغباء .

نابليـــون : أجل . وهم احيانا أغبى من أن يدركوا انهم قد انهزموا !!) . ومع ذلك فانا اسلم بان مخك ليس انجليزيا . خبريني : رغم ان جدك كان انجليزيا فماذا كانت جدتك ؟ فرنسية ؟

السيـــدة : لا ، لا . ايرلندية .

نابليـــون : (فورا) ايرلندية ! (متروّيا) نعم : لقد نسيت الايرلنديين . جيش انجليزى يقوده جنرال ايرلندى : هذا الجيش قد يكون ندا لجيش فرنسي يقوده جنرال ايطالى . (يتوقف ثم يضيف بلهجة بين المـــزاح والكآبة) مهما يكن من أمر فقد انتصرت عليّ .ومن ينتصر على رجل في البداية فمن الحتم ان ينتصر عليه في النهاية (١) . (يخرج ساهما الى الكرمة التى تسبح في ضوء القمر وينظر الى أعلى) .

(تتسلل وراءه . تجازف وتريح يدها على كتفه وقد غلبها رواء الليل وشجعها ظلامه .)

السيـــدة : (برقة) الام تنظر ؟

---

(١) كانت جيوش الحلفاء التي هزمت نابليون الهزيمـة الحاسمة فى معركـة « ووترلو » بقيادة ويلنجتون وهو ايرلندى الاصل .

نابليــون : (يشير الى اعلى) نجمى .

السيــدة : انت ممن يؤمنون بهذا ؟

نابليــون : أجــــل .

(ينظران الى النجم لحظة وهى مائلة قليلا على كتفه .)

السيــدة : اتدرى ان الانجليز يقولون ان نجم الرجل لايكتمل دون ربطة جورب امرأة . (١)

نابليــون : (مستهجنا : يهز يدها عنه بفظاظة ويقفل راجعا الى الغرفة) المنافقون ! لو أن الفرنسيين هم الذين قالوا ذلك ، لرفع الانجليز ايديهم من الهول والتقى ! (يتجه الى الباب الداخلى ويفتحه ثم يمسكه وهو يصيح) جوزيبي ! اين تلك النار يا رجل ؟(يتقدم بين المائدة والصوان وينقل الكرسى الثانى الى جوار كرسيه) . نحن لم نحرق الخطاب بعد . (يأخذالرزمة).

(جوزيبي يعود وهو لايزال مخطوف اللون مرتعدا ، وفي احدى يديه شمعدان ذو أفــرع فيه شمعتان مضاءتان وفي الأخرى صينية عريضة عليها ادوات اطفاء الشموع .)

جوزيــبي : (في حالة يرثى لها وهو يضع الشمعدان على المائدة) يا صاحب العظمة : إلام كنت تنظر الساعة ؟ هناك في الخرج (يشير عبر كتفه الى الكرمة ولكنه يخشى أن يدير رأسه اليها) .

نابليــون : (يفك الرزمة) وماذا يهمك في ذلك ؟

---

(١) النجم وربط الجورب يرمزان الى اعلى وسام انجليزى .

جوزيـــبي : لان الساحرة ذهبت : اختفت . ولكن احدا لم يبصرها خارجة .

السيـــدة : (تأتي من الكرمة وتقف وراءه) كنا نراقبها وهي تمتطي عصا مكنستك (١) الى القمر يا جوزيبي . لن تراها بعد الآن قط .

جوزيـــبي : بسم العذراء مريم أم المسيح ! (يرسم علامةالصليب على صدره ويهرع خارجا) .

نابليـــون : (يلقي بالخطابات في كومة على المائدة) والآن ! (يجلس الى المائدة في الكرسي الذي وضعه لتوّه)

السيـــدة : نعم . ولكنك احتفظت بالخطاب في جيبك . (يبتسم. يأخذخطابا من جيبه ويطرحه فوق قمـــة الكومة . تتناول هي الخطاب وتنظر الى نابليون قائلة) بشأن زوجة قيصر .

نابليـــون : زوجة قيصر فوق الشبهات . احرقيه .

السيـــدة : (ترفع اداة اطفاء الشموع وتعرض الخطاب بهـــا لشعلة الشمعة) ترى هل تكون زوجة قيصر فوق الشبهات لو انها رأتنا هنا معا !

نابليـــون : (يردد صدى عباراتها ومرفقاه على المائدة وخداه على يديه وهو ينظر الى الخطاب) ترى هل تكون ! (السيدة الغريبة تضع الخطاب المشتعل على صينية

---

(١) صورة الساحرة عند الغربيين هي صورة امراة طاعنة في السن تركب عصا مكنســة .

ادوات اطفاء الشموع وتجلس الى جوار نابليون ، في نفس الوضع ، مرفقاها على المائدة وخداها على يديها ، وتراقب الخطاب وهو يحترق . حين يحترق تماما يحـــول كل منهما عينيه وينظر الى الآخر . ينزل الستار عليهما متلصصا ويواريهما عن الانظار .

النهايـــــة



فهرست

رقم الصفحة	الموضوع

ماصدر من هذه السلسلة

العدد المؤلف		المسرحية
١ ـ مانويل چاليتش		سمك عسير الهضم
٢ ـ چان آنوى		القبّرة (چان دارك)
٣ ـ هال پورتر		البرج
٤ ـ لساو يو		عاصفة الرعد
٥ ـ هارولد بنتر		١ ـ الخادم الاخرس ٢ ـ التشكيلة او عرض الازياء
٦ ـ جون وبستر		الشيطانة البيضاء
٧ ـ تيرانس راتيجان		الاسكندر المقدونى او قصة مغامرة
٨ ـ تيرى مونييه		سباق الملوك
٩ ـ جون مورتيمر		استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠ ـ فريدريش دورنيمات		النيزك
١١ ـ يونسكو ـ اداموف ـ ارابال ـ البى		دراما اللامعقول
١٢ ١/١ ـ اوجست سترندبرج		(من الاعمال المختارة) ستراندبرج ـ ١ ١ ـ مس جوليا ٢ ـ الاب
١٣ ـ نيقوس كازنتزاكى		عطيل يعـود
١٤ ـ بيتر فايس		انشودة انجـولا
١٥ ـ اوليفر جولد سميث		تواضعت فظفرت
١٦ ١/١ ـ موليير		(من الاعمال المختارة) موليير ـ ١ ● مدرسة الزوجات ● نقد مدرسة الزوجات ● ارتجالية فرساى
١٧ ـ دوجلاس ستيوارت		عسكر وحرامية او نيد كيللى
١٨ ـ وليم شكسبير		العين بالعين
١/٢ ـ اوجست ستراندبرج		(من الاعمال المختارة) ستراندبرج ـ ٢ الطريق الى دمشق ـ ثلاثية
٢٠ ـ رومان رولان		١٤ يوليو
٢١ ـ انجس ويلسون		شجرة التوت
٢٢ ـ تيرانس راتيجان		روس او لورانس العرب
٢٣ ـ كارون دى بورمارشيه		حلاق اشبيلية

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٤	وليم شكسبير	هاملت
٢٥	نويل كوارد	الحياة الشخصية
٢٦/١	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ١ نساء تراخيس
٢٧/١	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ١ ١ ـ رجل الله ٢ ـ القلوب النهمة
٢٨	الريكى خارديل بونثيلا	ليلة ساهرة من ليالى الربيع
٢٩/٣	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٣ ١ ـ الاقوى ٢ ـ الرباط ٣ ـ الجرائم انواع ٤ ـ موسيقى الشبح
٣٠	بيتر شافر	اصطياد الشمس
٣١/١	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ١ ١ ـ حكاية فاسكو ٢ ـ السيد بوبل
٣٢	هـ . و . فيرمان .	انتصار حورس
٣٣/١	جورج برنارد شو	(من الاعمال المختارة) جورج برنارد شو ـ ١ ١ ـ بيوت الارامل ٢ ـ العابث
٣٤	فرناندو ارابال	ثلاث مسرحيات طليعية ١ ـ قرافة السيارات ٢ ـ فاندو وليز ٣ ـ الشجرة المقدسة
٣٥/٢	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٢ ١ ـ اوديب الملك ٢ ـ اوديب فى كولون ٣ ـ اليكترا
٣٦/١	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ١ ١ ـ اليكترا ٢ ـ لن تقع حرب طروادة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٣٧/١	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو-١ ١ ـ المغنية الصلعاء ٢ ـ الدرس ٣ ـ جاك أو الامتثال ٤ ـ المستقبل في البيض ٥ ـ الكراسي
٣٨	كوبر ـ تشيرشـــل ـ . شارب ـ بيرمانج	مسرحيات الذامية
٣٩/٢	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ٢ ١ ـ روما لم تعد في روما ٢ ـ المحراب المضيء او (مصباح النعش)
٤٠	انطون تشيخوف	١ ـ شيطان الغابة ٢ ـ الخال فانيا
٤١/٢	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ٢ ١ ـ مهاجر بريسبان ٢ ـ البنفسج
٤٢/١	لويجى برانديلو	(من الاعمال المختارة) لويجى برانديلو ـ ١ ١ ـ ديانا والمثال ٢ ـ الحياة عطاء ٣ ـ لذة الامانة
٤٣	جيمس جويس	١ ـ ستيفن « د » ٢ ـ منفيون
٤٤/١	اوجست سترندبرج	من الاعمال المختارة ـ سترندبرج ـ ٤ ١ ـ الغرماء ٢ ـ الاميرة البيضاء ٣ ـ عيد الفصح
٤٥/٣	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ٣ ١ ـ انتيجونة ٢ ـ اجاكس ٣ ـ فيلوكتيت

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

الثمن

الكويت	١٥٠ فلسا	ليبيا	١٥ قرشا	مسقط	١٢٠ بيسة
السعودية	٢ ريال	المغرب	٢ دراهم	اليمن الجنوبية	١٢٠ فلسا
العراق	١٥٠ فلسا	تونس	٢٠٠ مليم	اليمن الشمالية	٢ ريال
الأردن	١٥٠ فلسا	الجزائر	٢ دينار	البحرين	١٥٠ فلسا
سوريا	١,٥ ليرة	القاهرة	١٥٠ مليما	الخليج العربي	٢ ريال
لبنان	١,٥ ليرة	السودان	١٥٠ مليما		

مطبعة حكومة الكويت

في العدد القادم

الحارس **تاليف : هارولد بنتر**

دخل هارولد بنتر المسرح من أوسع أبوابه ، فقد بدأ حياته ـ كمواطنه العظيم شكسبير ـ ممثلا صغيرا ثم تدرج فى حياة المسرح فأصبح الآن كاتبا ومخرجا ومنتجا وممثلا فى آن واحد . وتعدد نشاطه فشمل المسرح والتلفزيون والسينما . ومن هنا اكتسبت مسرحيات بنتر المرونة التى تجىء عن طريق التمرس الفعلى بخشبة المسرح ، وبعدت عن الاكاديمية الصرف التى تطغى على كتابات أولئك الذين لا يعرفون المسرح الا من خلال الاضابير والاوراق .

ومسرحية الحارس هي التي اعطت بنتر شهرته ، وهي أيضا احدى قمم مسرح العبث الانجليزى بعد الحرب .. وفيها يعالج موقف الانسان بين الأمن والخطر ، استكانته الى ملاذ معيّن ارتضاه لنفسه من حياة العنف والتوتر ، ثم الخطر الذى يتهدد هذا الملاذ فيكاد يعصف به ، ويجعل الحياة محنة دائمة ، فالانسان حتى فى امنه متحسب للاخطار .

ولعل أهم ما يجذب النظر فى هذه المسرحية هو أن حوارها يعتمد على الصمت أكثر مما يعتمد على الكلام ، اذ ان علاقات الشخصيات الثلاث فى المسرحية قد وضعت فى اختبار دائم ، ومحك هذا الاختبار يكمن فيما يقوم بينها من ترابط وتنافر مستمرين .

فى هذا العدد

من الاعمال المختارة

جورج برناردشو ـ ٢

مسرحية **رجل المقادير** تتناول شخصية نابليون التي تحيطها مخيلة الناس بالبطولة الخارقة ، والعبقرية الفذة ، ولكن شو ـ على دأبه ـ ينتزع من هذه الشخصة تلك الفلالات الاسطورية التى احاطت بها ليظهره على أنه المغامر الكورسيكي الطموح الذى يستخدم البشرية كأداة لتحقيق غرضه ، ولو أنه مشى على طريق من الجماجم والاشلاء .

ومسرحية كانديدا تتناول العلاقة الزوجية بأسلوب يكاد يذكر بأسلوب ابسن فى بيت الدمية،اذ تهتز العلاقة الزوجية الرتيبة بين كانديدا وزوجها موريل تحت وطأة الحب الشاعرى الذى يقدمه مارشبانكس وهو حب كان ضروريا لهذه العلاقة الزوجية كى ينفض عنها غبار التقاليد .

وفى السلاح والانسان يعود شو الى مشكلة الحرب ، وتؤخذ أحداث مسرحيته من حرب البلقان ١٨٨٥ ، وفى هذه المسرحية يحاول شو ايضا ان يزيل غشاوة الرومانسية التى تعلقت بفكرة البطولة فى أذهان عامة الناس .

